هيرما فروديت

رواية

نبتون مظهر

- **الكتاب : هيرما فروديت**
- **المؤلف : نبتون مظهر**
- **التصنيف : رواية**
- **يصدر عن**

شعلة الإبداع للطباعة والنشر

- المشرف العام

الشاعر الإعلامي / أشرف عزمي

- الإخراج الفني : **أسماء أشرف عزمي**
- ت :

٠٠٢ ٠١٢٨ ٠٥٣ ٤٥٠٢ / ٠٠٢ ٠١٠٠ ٩٢٦ ٢٠٠٠

- البريد الإليكترونيّ:

shoaletalebdaa@gmail.com

- رقم الإيداع : ١٩٩٧٠ / ٢٠١٩
- **الترقيم الدولي :** 978-977-6681-39-2

حقوق الطبع محفوظة

يعتبر المؤلف مسئولاً مسئوليةً كاملةً عن كلِّ ما وَرَدَ في الكتاب.

الإهداء

إلى جوهرتي الثمينة

ابنتي الغالية / سالي

أهدي حروفي ونبضي

مع امنيات بالسعادة والتوفيق

نبتون

المقدمة

هذه الرواية حدثت بالفعل وهي ناقوس خطر يدق لينبه كل أم لملاحظة بناتها وعدم الوثوق بأي شخص مهما كانت فكرتنا عنه، وكذلك الانتباه لتصرفات بناتنا وأبنائنا ورصد أي تغيير في سلوكهم وشخصيتهم لم ادع في روايتي هذه للتحريض على الجنس أو المثلية إن الوقائع التي حدثت نقلتُها بأمانة لأبيّن سير الاحداث فقط أتمنى أن أكون وُفقت في قرع ناقوس الخطر في الوقت المناسب لينتبه المجتمع لوجود هؤلاء البشر الذين لا ذنب لهم سوى أنهم وُلدوا هكذا فلنحتويهم ونردهم للمجتمع؛ ليكونوا أفرادا نافعين..

نبتون مظهر

بداية النهاية

إنه السادس عشر من أكتوبر، عيد ميلادي الرابع عشر في بيت الدكتورة إلهام أستاذة اللغة الإنجليزية، أمي ..إنسانة راقيه يغار من طلتها القمرُ!! عود بان رغم وصولها الخمسين !!عندما تكلمها تتخيل أنك تكلم دوقه من دوقات القرون الوسطى برقيها، وإذا نظرت لشياكة هندامها تبهرك بتناسق الألوان المناسبة لروعةِ بشرتها.. هي من علية القوم نسبا وحسبا وجاها وتدينا ... كلما أفكر كيف استطاع أبي المرحوم الدكتور: محمد طبيب العظام أن يستبدلها بممرضة من قاع المجتمع بعد كل حبها له !!! ليس لذنب سوى أن الإنجاب تأخر! سحقا للإنجاب.. ماذا جنت منه سوى الألم ..... على الرغم من سحابة الفرح التي تلوح اليوم في أفق الدكتورة، أعرف أنها تعاني وتكابر من أجل تلك الطفلة التي أتت بعد جهد وعناء وكثير من المنشطات... ورحلة التعب والعذاب إلى أن رزقا بتلك الصبية المفعمة بالنشاط والحيوية منذ ولادتها، إنها قرة عين أمها وأبيها فتاتهم المدللة ذات العيون السوداء الواسعة والأنف الجميل مرتفع الأرنبة والفم المرسوم ... وشعر كالليل أسود كثيف.. منذ ولادتها تعجبت منها الممرضات كتلة من الحيوية والنشاط.. ولكن لم تكتمل الفرحة.. ففي القلب غصة من وجود امرأة ثانية.. ورجل خائن !! انتظرته إلهام كثيرا، كان حبه كسرابٍ تبدد عند أول امرأة أشارت له فتعلل بالأنجاب وانساق وراءها..

وكانت عظمة الخالق أن لم تنجب زوجة أبي رغم محاولات كثيرة وبقيت أنا الطفلة المدللة.. أدخلوني أرقي مدرسة، لم يبخلوا عليّ بأي شيء.

سوف أتمُّ اليوم عامي الثالث عشر.. بالفرحة الدكتورة إلهام وهي تضع الزينة والبالونات تشاركها أختها.. خالتي هيام وابنها خالد ... شاب في العشرين لم أكن أعرف في هذا الوقت أنه كان يحبني! وبنتاها ياسمين في السادسة عشر، وورد في الثانية عشر.. والدهم عمو أحمد رجل عصامي أنشأ مصنعا للعصير، كان كقشة تطفو على بحر عشق خالتي قاوم الموج واستطاع الوصول كي يوافقوا على نسبه لهذه العائلة الراقية.

إلهام للبنتين: انفخوا البلالين كويس، وأنت يا خالد النشارة عايزاها كثيرة تنور الجنينة.

خالد: حاضر يا خالتو إحنا عندنا أغلى ولا أعز من مريومة.

الهام: ربنا يخليك ليا وميحرمنيش منكم. تقولها بصوت ملؤه السعادة والفرح.

هيام: هيّا فين العروسة؟

إلهام: فوق في غرفتها مش عارفة بتعمل إيه؟ يمكن بتجهز عشان الحفلة.

يرن الجرس....

إلهام: افتح يا خالد لو سمحت، يذهب ناحية الباب ويفتح.

خالد: التورتة جت يا خالتو.

إلهام: طيب يا حبيبي، (تنادي من داخل الصالون).
حطها عندك في المطبخ، يدخل عاملان يحملان تورتة ثلاثة أدوار.
إلهام: الحمد لله دلوقت البوفيه كامل.
هيام: عقبال كل سنة وتشوفيها عروسة في بيت جوزها.
إلهام: آه يا هيام أتمنى أشوفها دكتورة زي ما كان باباها الله يرحمه عاوز، والجواز يجي بعدين، تضحك وتضحك هيام.
إلهام: طيب أنا طالعه أشوفها، ويلا اجهزي أنت كمان عشان مفيش وقت.
هيام: طيب حبيبتي.
ياترى لماتشوفني هتعمل إيه!؟ الشعر اللي كانت تصرف عليه كانت تنظر له على أنه قطعه فنية من صنع الله وتتباهى به.
إلهام: مريومة جهزتي حبيبتي؟
(تفتح الباب وتصرخ بفزع) إيه ده!؟؟ إيه ده ؟!؟تصرخ إيه اللي أنتي عملتيه ده؟
مريم: معلش يا مامي كان نفسي يكون شعري كدة قصير، وتلتقط الشعر من على الأرض يا مصيبتي ليه كدة يا حبيبتي ؟ شعرك الجميل مقصيتوش ليكي عمري، وبخاف عليه والكل يحسدك عليه.
(تتكلم والعبارات تختنقها) ليه قصيتيه كدة؟! منظرك عامل زي الولد ده النهاردة عيد ميلادك يعني شكلك لازم يكون أحلى شي أنتي نجمة الليله !!!

(تسقط دموع من عينها)، حضنتها بكل قوتها وقلبها كطير ذبيح ودموعها قطرات دم.

متزعليش بسبي أنا حاسة إني فرحانه قوي لما قصيتو مش حضرتك عايزاني أفرح؟؟ أنا فرحانة وسعيدة ومبسوطة أوي إني تخلصت منه.

إلهام: لا حبيبتي كدة غلط أنتي قصيتيه، وأنا زعلانه أوي أوي.

مرت لحظات مطرقة رأسي، وانظر إليها كيف تلملم أشلاء طفلها الذبيح من على الأرض وتحتضنه وتمتزج دمعات الأسى والحزن بحلكة لونه.

أرجوكي مام افهميني ... أنا كدة سعيدة أوي وفرحانة ..لم أستطع النظر إليها كلمتها وصوتي يتحشرج في حلقي لايستطيع الخروج،

فردت علي بصوت هدهدة حزين: طيب يا حبيبتي كملي لبسك وانزلي زمان صاحباتك وصحابك بدأوا ييجو.

حاضر.. لكن يا ماما أنا.... مش هلبس الفستان دة حاسة شكلي هيطلع عبيطة فيه! فاكرة مكنتش عاوزاه من الأول لكن حضرتك حبيتيه فخدتو علشانك.

إلهام: من شهر حبيبتي !!! أحس وهي تقولها بماء مغلي يسكب فوق رأسي فيحرقني ولا أستطيع الصراخ ... كنتي قولتي كنا جبنا فستان غيره مش ممكن تيجي النهاردة تقولي الكلام ده !!

رفعت رأسي ونظرت إلى تلك الايقونة الرائعة المسماة إلهام وقلت بتوسل: حبيبتي هلبس حلو وانزل متخافيش.

ثم في حيرة وهي تحرك يدها: إيه جرى؟ إيه إللي حصلك؟!! أنا حاسة إن فيه تغير في شخصيتك حبيبتي هيه البيريود جت؟

أجبتها وبركان يغلي في داخلي: لا يا ماما مفيش حاجة من دي! ومفيش أي تغير! أنا بس حابه أكون أنا مش ضروري ألبس فستان وأتقيد بيه.

إلهام: طيب يا حبيبتي اللي يريحك أهم شئ تكوني مبسوطة وفرحانة يلا اجهزي.

تغلق الباب وراءها، وتدخل غرفتها لتكمل لبس.

أمام المرآة تكلم نفسها وهي تسرح شعرهاوصوتها يخرق أذني البنت دي مالها؟بقالها كام يوم مش طبيعية! يمكن في حاجه في المدرسة مقالتش عليها، ترمي المشط من يدها وتعدل هندامها وتخرج من الغرفه تنزل السلالم فترى بعضا من صديقاتي وأصدقائي... يفتح خالد -الدي جي -على أغاني أعياد الميلاد.

الصالة مليئة بالأهل والأصدقاء، ماما إلهام وخالتو هيام يتلقون التهاني وأصدقائي بدأوا بالرقص على أنغام الدي جي.

كان أول ظهور لي بالنيو لوك الجديد... أول من هنأني كانت هيا صديقتي الحبيبة أصغر مني بخمسة أشهر... رقيقة كنسمات الربيع هادئه كبحيرة صغيرة في داخلها تكمن النفائس .. تجري هيا تكلمني وتحتضنني ووالدتي متسمرة في مكانها يلتف حولي صديقاتي وأصدقائي وهم فرحون بالنيو لووك.

نانسي: واو حلو أوي سو كيوت.

رامي: جميل حلو النيو لوك دة.

هيا: حلو.

: أو ثانكس أوك بيبي إيه رأيكم مش كدة أحلى؟؟ (يصفق لي الأصدقاء) يلا بينا نحتفل ونرقص أول مرة أحس بخشونة سلامي على أصدقائي!

خالتو هيام: إيه دة حبيبتي تي شيرت وبنطلون مش معقول في عيد ميلادك؟!

: خالتو حبيبتي أنا حاسه براحة وسعادة.

يأتي أصدقائي أحتضنهم وأُقبلهم أولادا وبنات، يقدمون لي الهدايا.

أيمن: واو يا بت اللوك الجديد لائق عليكي أوي! يأخذ من كفي ضربة على كتفه الرقيق .... أوه غريمي هناك فلأذهب لأحييه، أحس بلفحة الهجير تلفح وجهي في ذروة الشتاء عندما أرى رامي يكلم هيا.... مجموعة ألغام تنفجر في داخلي.

هيا: طالعه قمر بالنيو لوك ده.

رامي: أيوا يا واد شكلك حلو كدة.

مريم: بس يا ولا أخدك قلمين أكسرلك سداغك.

يضحك الجميع.....

مريم: يلا بينا نرقص.

تعالي هيا ... أشدها من جنب رامي وأخذها بعيدا عن دوامات الغيرة التي تلتفني.

يلا بينا، أخذتها حيث أصدقائها يرقصون.

يـأتي محمـد ويشـد يـدها ليرقص معهـا، يأخـذ قطعـة مـن قلبي .. ينتزعها مني، تلك الهيا الجميلة ..قطة مدللة لاتعرف أن تقول لا! ما أحلاها ! فانتهرته بشدة، وأحب أن يلاطفني.

مريم: إيه يا واد مالك؟

محمد: شعرك كان جميل طويل زي الليل، كنت بحبك لما تشيليه لفوق وتسيبيه مسدول على كتافك.

كان طويل أوي حتى وأنتي شايلاه فباغته :

إيه دا يالا أنت بتغازلني !؟..

محمد: بصوت متحشرج أبدا! بس بس.....

ضحكت آه من تلك الضحكة الخبيثة، هزت أوصال محمد كأنة لدغ بثعبان من بين فخذيه.

: واد أوعى تكون بتحبني؟ يخرب عقلك! رد عليّ بخجل: وهو الحب حرام والا عيب؟!

ضحكت وتعالت ضحكتي كنت أضن أنه أتى لمراقصه هيا.

يأتي صوت أمي ليقطع خجل محمد، وينقذه من براثن يدي وسلخ كلماتي.

إلهام: يلا البوفيه جاهز وعايزين نطفي الشمع ونقطع التورتة.

يتقدم الجميع... وتنادي أمي وأنا ممسكة بيد هيا. لا أريدها أن تبعد عن ناظري، ولا أريد ذلك الوغد الأفاق أن يقترب منها.

لقد قررت وكفى .. هي لي خاصتي قطتي المدللة لن يمسها أحد غيري

سرت بخطوات متثاقلة لموضع البوفيه العامر بكل ما لذّ وطاب.. وأجبت أمي بحاضر ووقفت أمام التورتة لتكملة طقوس عيد الميلاد.

أطفئ خالد النور.. وأشعل الشمع، فسحبت هيا وقلت: اطفئي معي.. شعرت بدبيب أنفاسها تعانق أنفاسي وهي تنفث نسمات ربيع... لم نكن نعلم أنها تطفئ آخر شمعات حياتي!!!

وسط أغنية (هابي برث داي تو يو) وتصفيق وضحك الحاضرين قطعت التورتة، لم أجد هيا بجانبي إنها خجلة لاتعرف كيف تدير أمور حياتها.

أخذت قسما منها ومما موجود على البوفيه، وذهبت لهيا: خذي حبيبتي أنتي مش هتعرفي تقفي معاهم.

تأخذ هيا الطبق مني وتطبع قبله على خدي أحسست بأتون ..بنار تأز بداخلي وحرارتها تسري في جسدي.

: الجو حار أوي.

هيا: أبدا أنتي بس عشان بتتحركي.

أومأت لها برأسي ثم اردفت.

: قولي لماما نذاكر سوى، وماما تراجعلنا كل حاجه إيه رأيك؟

هيا: أوك هقولها.

تقدمت وقبلت هيا من وجنتها فتضحك هيا.

: دة أنا اللي لازم أشكرك على دعوتك دي خصوصا وأنا معنديش مدرسين.

أنعشتني تلك الكلمات أو ربما تلك القبلة هي من أوصلت الفرح إلى قلبي الحزين منذ فراق أبي، وتركه لنا وموته عند تلك السيدة.. ولكني الآن قد انتشيت فرحا، أريد أن أصفق بجناحي كديك شركسي قد انتصر في حلبه سباق وأردفت أتصنع الخجل: أبدا أنتي: حبيبتي.

تأتي أمي لي بطبق كان منقذ لي من حرارة هذه اللحظة.

إلهام: خذي حبيبتي أنتي مخذتيش طبقك.

: مش عايزة يا ماما أنا شبعانه أوي... ميرسي خالص.

تأخذ الطبق وتذهب براحتك حبيبتي.

خالد ابن خالتي يأتي لي بطبق ويقدمه لي.

: خذي مريومة عملتلك الطبق ده بأيدي أنتي مكلتيش.

كان يقولها وعيناه تشعان بريقاً، وصوته يتراقص كغجريه يوم عيد لكني كنت قاسية معه.

أجبته بكل قسوة وقلة ذوق.

: مش عاوزة كله أنت.

نظر إلي بتلك العينان العسليتان نظرة حزن وطأطأ رأسه دون أن ينبس بكلمه وتوارى من أمامي وسط صخب الموسيقى وضحكات المدعوين.

بعد إكمال الطعام يبدءون بالانصراف، وأنا لم أفارق هيا ضحك ورقص كلما حاول رامي الاقتراب منها اتعلل بشئ لأنفرد بها، ولا أدع له مجالا لهنأ مع قطتي!

تأتي أم هيا لتسلم علي وعلى والدتي: كل سنة وأنتي طيبة حبيبتي وعقبال ١٠٠سنة.

احتضنتها وشكرتها: الف شكر يا طنط.

ام هيا: يالا حبيبتي عشان نمشي إحنا تقريبا آخر المعازيم..

انتبهت سوف تغادر هيا وسأبقى وحيدة فقلت بسرعة: والنبي خليها يا طنط إحنا لسه متكلمناش.

أم هيا: يا خبر كل ده ومتكلمتوش هههههه.

بعد بكرة مدرسة في الفسحة اتكلموا براحتكم.

أحسست أنه لابد من الرحيل فهي مصممة، ولابد من الاستسلام للواقع...

أم هيا: يلا حبيبتي مع السلامة، إلهام أشوفك بكرة.

إلهام تقبلها مع السلامة إن شاء الله.

خرجت معهم لباب الحديقة، ألوّح لهما وقلبي يدق كأنه سيغادر صدري ... أغلقت الباب وعدت أدراجي.

وجدت أمي وخالتي هيام والشغاله يزيلوا ما على السفرة.

ألقيت عليهم تحية المساء

: أنا طالعة أنام تصبحون على خير.

الجميع وأنت من أهل الخير.

دخلت غرفتي ورميت بنفسي على السرير، وأنا بملابسي ورحت في نوم عميق.

إلهام: حبيبتي صباح الورد، الظهر أذّن يلا اصحي تفتح الستائر...

خالتو وخالد والبنات مشيو، أنا لوحدي: أيوه يا ماما سيبيني شوية لسه نعسانة.
إلهام: قومي يا كسلانة ..تزيل من فوقي الغطاء يلا خذي شاور وتعالي افتحي هداياكي.
وأنا أتثائب مش عايزة أشوف (لسه نعسانة).
إلهام: أنتي كمان نمتي بهدومك.
تضحك وهي متجهه إلى الباب(كسولة).
تخرج أمي ولكني لم أستطع النوم ثانية.
آه يا دماغي، جلست على السرير تنهداتي بلغت أعنان السماء.
إيه ده اللي بيجرالي بحلم بهيا !!! أنا وهيا!
إيه ده فيه إيه؟
آه ... مش قادرة أقوم لازم أخد شاور.
الله!!! صدري أصغر بكتير من صدر هيا ! وكمان الشعر في بطني وصدري كثير، هيا مفيهاش شعر في بطنها وصدرها !
لما كانت لابسه المايوه من كام شهر لاحظتها ..يمكن بتشيلو؟ الله أعلم!
آه عليكي يا مريوم إيه اللي بيجرالك؟حقيقي بحس بحجات مكنتش بحس بيها قبل! يمكن البيريود هي السبب؟يلا خليني أخد شاور، وأنزل زمان ماما مستنياني.
صباح الخير ماما، بوسه لأحلى لولو.
إلهام صباح الخير حبيبتي ايه ده برضو البنطلون والجاكت

والكوتش دة مش للألعاب، البوتات والفساتين الجميلة جبتهم لمين؟

والنبي يا ماما خليني براحتي كدة مستريحة أكثر، بتوسل فيها مش عايزاها تزعل مني وكمان مش عايزة ألبس زي مهيه عاوزة.

: طيب يا حبيبتي على راحتك.

طنط فتحيه لسه مكلماني هنتغدى سوى في المطعم عازمانا على بيتزا ومعانا هيا.

: بجد يا ماما !!؟طيب هنروح إمتى؟ قلتها وقلبي كنمر وجد فريسته قفز من بين أضلعي.

إلهام كمان ساعتين.

طيب يا ماما إيه رأيك تقولي لطنط نجيب هيا ونرجع نذاكر سوى هنا؟

إلهام: طيب يا حبيبتي هقولها (تبدو الفرحة والسعادة على وجهي، لقد لاحظت أمي سعادتي).

حبيبتي عشان معندكيش إخوات فرحانة بهيا؟ قالتلها وهي فرحة كأنني وجدت كنزا وسعدت بلقياه.

ذهبنا (لبيتزا هوت) وجدنا طنط فتحية وهيا بالانتظار، سلمنا عليهم وحضنت هيا وقبلتها وجلست جنبها.

: إيه يا قلبي هيه هيا لحقت توحشك هههه.

تضحك تحية، ويضحك الجميع.

طلبنا الطعام.....

كنت في كل فرصة أحاول الاحتكاك بيد هيا مسكت يدها بقوة بعد أن طلبت منها مناولتي (الكاتشاب) لا أريد إفلاتها.

إلهام: بقلك إيه وراكي إيه بعد الغدا.

فتحية: ولا حاجة.

إلهام: حلو أوي نرجع البيت سوى، والبنات يذاكرو ولو فيه حاجة وقفت معاهم أنا موجودة، وأنا وأنتي نقضي وقت ظريف ونتصل بأحلام تيجي معانا، جوزها مسافر الصعيد. إيه رأيك؟

فتحية؟ أنا معنديش مانع ..ثم تلتفت إلى هيا.. إيه يا يويو نروح؟

هيا: أوك مامي.

يا سلام عليكو أحلى أمهات، قلتها وأنا ارفع ذراعي في الهواء وأقفز من مكاني.

ركبت أنا وهيا في المقعد الخلفي للسيارة، جلست ملتصقه بها ومسكت يدها طول الطريق إلى البيت.

وهي تحدثني عن فيلم رأته قبل أيام.. وتحية تتحدث عن السوق والغلاء،وماما تقود السيارة ساعة ترد وأخرى تنصت إلى أن وصلنا الفيلا.

دخل الجميع، استأذنت سأخذ هيا، وندخل الغرفة لنبدأ المذاكرة. حجتي الرائعة في الانفراد بهيا.

لا أعرف ماهو سبب تعلقي بها إلى هذا الحد في ذلك الوقت؟!

تحبي نذاكر إيه دلوقت.. وإلا نتكلم شوية عن القلب، مسكت بيدها وأجلستها جنبي على السرير.

هيا: نتكلم في إيه؟وقلب إيه؟ تتنهد.

: قلب هيا الجميل... قلتها وأنا أمسك بخصلات من شعرها الناعم الجميل وأرجعه إلى الخلف؛ لأرى أجمل عينين.

هيا: إيه أنتي تعرفي حاجة.

: أيوة يا ستي شفتك أنتي ورامي كام مرة لوحدكم، ومرة شفتو ماسك إيدك.

يحمر وجه هيا خجلا: لأ مش كدة الحكاية مش كدة تتكلم وهي متلعثمة.

وأنا أحاول كشف مايدور حولي بخبث': أومّال إيه الحكاية يمكن أكون غلطانة؟

عشان أنا خايفة على سمعتك في المدرسة، البنات لو عرفوا إنك ماشية معاه مش هيسيبوكي.

هيا بخوف: ياخبر والله مفيش حاجه! ثم استطرد ملاكي متلعثما، تخرج الحروف خائفة تتأرجح بين زهرتي شفتيه.

دة بس قالي بحبك ومسك إيدي.

اعتصرت الغيرة قلبي واختنقت الكلمات في حلقي فقلت بصوت متهدج: وتسيبيه يمسكها ليه؟! بكرة لما يتمكن منك هينشرها بين الولاد ويتباهى إنه وقعك في شباكه.

هيا مقاطعة: لا لا مستحيل ده متربي، وابن ناس، وقال لي مفيش حد هيعرف بحبنا!

ضحكت من كلامها بخبث شيطان: طب أنا عرفت إزاي؟!

زي ما أنا عرفت، المدرسة كلها هتعرف.
ثم استطردت بصوت فيه حنان هو عمل معاكي حاجة؟
هيا بخوف: لا بس مسك إيدي.
بخبث: يا شيخة أومّال سمعته قال غير كدة.
هيا: قال إيه.
: حاجات أحضان وبوس.
هيا: لالا بصي لما بابا خرج من المشفى قبل ما يسافر، جه عندنا هو وأهله، خرجت الجنينة أقفل البوابة،
جه ورايه، الكل كان بيتكلم محدش منتبه لينا مسك إيدي وقالي: بحبك، وباسني أنا مرضيتش قلتله: عيب، والله هو ده اللي حصل.
اعتدلت في جلستي. آه يا هيا حصلت منك على الإعتراف !!!!
شوفي يا هيا .. هيا وضعت يدي على كتفها واحتضنته: أنا خايفة عليكي، اقتربت أكثر وطبعت قبلة على خدها.
هيا: متخافيش مش هتتكرر.
في تلك اللحظه رق قلبي لتلك الطفلة البريئة، أحسست أني وصية عليها وأنها لي أنا فقط سأحارب الكون كله؛ كي أفوز بها، أردفت قائلة:
طيب يلا نذاكر.
هيا: هاتي الإنجلش نراجع الستوري، فيه أسئلة وكلمات مش فهماها : أوك.
تمسك هيا الكتاب وتبدأ بقراءة القصة مع تعالي أنفاسي واحمرار

وجهي.... حبات العرق تغطي جبيني ...تلك لحظه لن أنساها ما حييت إحساس كموج البحر يتلاطم في داخلي تذكرت الحلم وماصنعته مع هيا نظرت لي هيا مالك مريومه؟

: مش عارفة حاسة الجو حر.

هيا: حر إيه يا بنتي إحنا في بداية الشتا.

انتبهت لنفسي ومسحت عرقي، طيب حبيبتي كملي قرائه عشان نخلص.

تدق إلهام الباب

: أفندم يا ماما.

إلهام: جبتلكم بسكويت وعصير عشان تعرفوا تذاكروا.

أنا وهيا: شكرا.

بمسك قطعة البسكويت وبقربها من فم هيا

هيا تضحك: إيه ده يا بنتي أنتي بتأكليني: أيوة يا قطتي أنتي دلوقتي قطتي المدللة.

ضحكنا سويا وأكملنا القراءة، كانت هذه المذاكرة هي إحدى أفضل الأوقات التي طبعت كلماتها في ذاكرتي نقشت حروف ما قرأت هيا وأنا مستمتعة إلى أن سمعنا طرقا على الباب أمي

وتفتحه: هيا حبيبتي ماما عايزة تمشي بتقول الوقت تأخر لسه شويه يا ماما مخلصناش.

معلش مريومة طنط عايزة تمشي.

تخرج أمي وتقف هيا أمامي وانا كطفلة اخذوا منها لعبتها الغالية

على قلبها.
هيا: طيب خلاص بكرة نكمل في المدرسة.
: لا حاولي تيجي هنا أحسن.
هيا: إن شاء الله.
مسكت يدها وشددتها إلى صدرى وطبعت قبلتين على خديها
هيا:طيب يلا باي يا حبيبتي.
نزلنا وأوصلتها إلى السيارة إلى أن توارت بعيدا، وأنا ألوّح بيدي لهم.
مامامن الداخل: يلا حبيبتي خلاص ادخلي واقفلي باب الجنينة
: طيب يا ماما أوك حبيبتي هدخل أنام.
تصبحي على خير.
ماما: مش هتاكلي.
: لا يا حبيبتي شبعانة، قبّلت أمي، وصعدت لغرفتي أحتضن الكتاب وألف به الغرفه فرحة... ثم رميت بجسدي على السرير ونمت وأنا محتضنة الكتاب .
في الصباح أكملت لبسي، ونزلت مسرعة.
صباح الخير ماما.
صباح النور حبيبتي يلا افطري يا قلبي.
الباص قرب يجي باي ماما.
إلهام: طب كملي أكلك.
خلاص شبعت حبيبتي بااي.
دخلت المدرسة أفتش عن هيا، ووجدتها تتحدث مع رامي،

فاستشطت غضبا ...واتجهت متجهمة صوبهما.
: صباح الخير قبلتها وشددت يدها تعالي عايزة أكلمك.
تنقاد هيا لي: إيه يا بنتي فيه إيه بتشديني بسرعه ليه كده؟
: الواد ده مش كويس وأنا خايفه عليكي منه.
هيا: ليه؟
يضرب جرس المدرسة ونحن في الطريق إلى الفصل (بعدين أحكيلكك كل اللي سمعته).
دخلنا الفصل لم أفهم كلمة مماكان يشرحه الأستاذ، كان تفكيري كله منصب كيف أزيح هذا الكائن من أمامي؟
انتهى الدرس وبدأت الفسحة خرجنا، لنجد رامي في انتظارها.
رامي: هاي بنات يلا هيا أعزمك على حاجة ساقعة، قاطعت بسرعة: أنا وهيا هنروح سوى شكرا.
رامي: طيب تعالوا أعزمكم أنتو الاتنين.
تحاول هيا الرد، لكني مسكت يدها: إحنا هنروح مع بعض شوف أنت زملائك ع.
هيا تنظر لي باستغراب، يذهب رامي.
هيا: إيه يا بنتي اللي عملتيه ده،
: مش قلتلك أنه وحش.
هيا: طيب عمل إيه؟؟؟؟!!!
: هحكيلك لكن أسألك الأول: أنتي بتحبيه؟
يحمر وجه هيا، وتصمت وتنزل رأسها وتنظر إلى الأرض لقد أخجلت

هذا الملاك غصبا عني.

أيوة بتحبيه طيب عمل معاكي حاجة.

هيا: حاجة إيه

غير البوسة يعني أي حاجه من اللي بيعملوه الولاد.

هيا: لا هو بيحبني قوي واعترفلي إني أول وآخر حب في حياته.

: كذاب.. قلتها بعصبية، الغيرة تنهش في حشاشتي؛ لأنك مش أول واحدة.

هيا باستغراب: إيه؟!

: أيوة هو بيواعد البنات وبعد مياخذ منهم كل حاجه بيسيبهم ... أوعي تسلمي له ده حقير وتلاقيه متراهن عليكي زي مكان متراهن على غيرك!! ثم استطردت أنه يوقعك وبعد كدة يسيبك ويخلي الولاد يعرفون قصتك معاه ....يفضحك يعني.

هيا بعصبية: مش ممكن ده متربي وابن ناس وباباه صاحب بابا أوي!!!!!!

: وإيه يعني ... أنتي عبيطة يا بنتي !!! الحاجات دي متعرفش متربي ولا لأ الولاد علطول يتباهوا ويتفاخروا أنهم وقعوا البنات وعملوا معاهم كذا وكذا.

هيا: لا مش ممكن رامي مش زيهم.

: أنتي طيبة ..كلهم زي بعض تلاقيه دلوقت واقف مع البنات.... تعالي ندخل الكنتين.

: بصي بعنيكي واقف مع مين؟

هيا: أيوة دول زميلاتوا في الفصل.
دون أن أتوانى لحظة في التشهير به كأنه كابوسا أريد الخلاص منه: يا بنتي أنتي زميلته، باسك وحضنك وقلك بحبك... ولو وجد فرصة ينام معاكي مش هيتأخر ويسجلك ويوريها بعدين لصحابه... اصحي أنا بخاف عليكي.
البنت في سننا بتثيرها أي كلمة..وتبقى عايزة ترمي نفسها في أحضان حبيبها وتروح في دنيا تانية.
صح والا لا..!!؟؟ تبقي عايزة تسلميلو نفسك، وبعدها ولا يسأل فيكي لأنه يلاقي تانيه غيرك ..وكمان يكون فضحك.... لم ينج هيا من ذلك المارد الذي بأن في داخلي غير جرس المدرسة الذي أنذر بانتهاء الفسحة
ويدخل الجميع الفصل، تجلس هيا شاردة، فرصتي الآن لأداوي ماجرحته كلماتي.. أخذت بيدها فنظرت لي بعينين مغرورقتين بالدموع كأنهما سماء تساقط غيثا، ابتسمت لها وأنا اطبب على يديها
: متخافيش حبيبتي أنا معاكي مش هسيبك.
يكمل اليوم، وخرجت أنا وهيا؛ لأجد أمي في انتظاري.
قبّلتها، وودعتها .. زهرة ذابلة جفت من هول كلماتي.
كم أنا تعيسه ماذا أصابني!!؟ أنا البنت الطيبة الحنون، لماذا كل هذا الحقد على رامي !!؟ هو لم يؤذني!!!!
رأسي بها آلاف الأفكار في لحظه كأنها دهر.

إلهام: كنت معدّية من هنا قلت أخذك ... إزاي كان يومك؟
أنا مسهمة.. رائع لم أتحدث بكلمة واحدة طول الطريق إلى البيت، كنت أسمع ولا أسمع ماتقول أمي ..كأن صوت البحر يملأ أذني ويصمها.
إلهام: إيه يا حبيبتي مش بتردي ليه؟؟!!!
اعتدلت في جلستي كنت قد أسندت ضهري ورأسي المثقل كأن رقبتي تأبى حمله.
: أيوة حبيبتي سرحت في الدروس شوية.
إلهام: طيب طيب يا روحي قربنا نوصل نتكلم في البيت.
لا أعرف وقتها كيف وصلت ودخلت، كل ماكان يدور في ذهني هيا وتقبّلها لما قلت.
إلهام:طيب حبيبتي خذي شاور عقبال مسخن وأوضّب السفرة.
حاضر يا ماما.
دخلت الحمام وقفت أمام المرآة عارية.
انظر إلى جسدي واتحسسه ..ليس لي رغبة بإزالة الشعر..نظرت في المرآة كثيرا وسألت نفسي من أنا؟؟!!
دققت كثيرا في تلك الفتاة التي كنت أعرفها فتشت عنها فلم أجدها!! الذي بداخلي يختلف كليا عني !!! إني مسخ لشئ غريب عني! بدأت أتحسس مابين فخذي
شئ غريب لم يكن هكذا من قبل.
: بحس أن فيه حاجة حتنط مني.

اعمل إيه اقول لماما ؟؟!طيب هتعملي إيه!؟؟

سيبك يا مريم أكيد دي تهيؤات ..وصدري هيكبر وفيه كتير بنات عندهم شعر وبيشيلوه.. لكن أنا مش هشيلو وصوتي لما شلت اللوز أتأثر زي ما ماما قالت .

محوت تلك الأفكار البلهاء عن ذاكرتي وأكملت حمامي ونزلت تناولت الغذاء مع أمي.

: طيب يا ماما ممكن تكلمي طنط تجيب هيا عشان تذاكر

إلهام: ما أظنش هتيجي، إمبارح كانوا هنا.

: طيب إحنا نروح.

إلهام/ لما أشوف أكلمها وأشوف إيه ظروفها.

حضنت أمي بشوق وبوستها: ربنا يخليكي يا أحلى لولو.

تمسك أمي التليفون: ألو هلو حبيبتي إزيك يويو ازيها.

بقلك إيه تقدري تيجي النهاردة أنتي ويويو عشان البنات يذاكرو ولو عندهم حاجة اشرحهالهم.

طيب يا حبيبتي ...على راحتك...مع السلامة.

: إيه يا ماما هتيجي..قفزت حروفي متلهفة.

إلهام: لا حبيبتي جايلهم ضيوف

: أوف ليه كدة بس كان نفسي نذاكر سوى.

إلهام: معلش يا روحي الأيام الجاية كتير تعالي نذاكر، فيه عندك حاجة جديدة أشرحهالك.

: خذنا درس جديد في الماث.

إلهام: طيب يلا.

وأنا بفتح حقيبة المدرسة دار في خاطري ماحصل مع رامي أخرجت كتبي وبدأت أمي بالشرح ..ولكن كنت اهيم في وادي بعيد حيث رامي وهيا... يارب ساعدني في التخلص من هذه الافكار.

إلهام: أنتي سرحانه حبيبتي..مريم مش سمعاني هزني صوت أمي وصحاني من كوابيس غفلتي.

: لا يا ماما بس صدعت شويه عايزة أدخل اوضتي أريح بعد إذنك

ماما : طيب وأنا رايحه أودي الأغراض لخالتو ماشي تكوني صحصحتي، وأنا أصعد السلم.

: أوك ماما حاضر.

دخلت غرفتي واستلقيت على عرض السرير.

الواد دة مش لازم ياخذ هيا مني، هرن على هيا.

: ايوا يا بنتي فينك كنا هنذاكر ماث النهاردة، ماما شرحتلي كان نفسي تستفيدي معايا.

بقلك إيه هوة رامي اتصل بيكي، وعملتي إيه (اعتدلت في جلستي كسجين ينتظر الحكم عليه)جاي يعمل إيه عندكم؟ آه عمو بعث حاجات ووالده حيوصلها! خلّي بالك إوعي تديله مجال لأي حاجة.

أوك تمام كدة ...يلا باي ...ابقي كلميني.

بدأت رجلي تتحرك كالعادة باضطراب وبت أكل شفتي من كثرة العض عليها، يا إلهي إبهامي يتحرك كدولاب ...القلق يكاد يقتلني والخوف لما قد يحصل عندما يأتي ذلك العربيد اللعين ليبتلع مني

قطتي.

(أوف إيه اللي جابو دة زمانه هيمسكها ويبوسها تاني.. وبعدين أنا مش طايقة ..حتجنن) لم أجلس بل اخذت الغرفة مجيئا وذهابا كعقيم رزق بمولود ينتظر لحظة الولادة وبدون أن أعي بسرعة اتجهت صوب الباب ونزلت السلم مسرعة.

ماما.. بصوت عالي ماما تيجي نروحلهم إحنا؟

إلهام: حبيبتي عندهم ضيوف.

: ده واحد صحبنا وحضرتك عارفاهم.

إلهام: لا يا روحي الست اعتذرت مينفعش، وبعدين لو أي حاجة عندك أنا موجودة.

أوف حاضر..قلتها كطير ذبيح فقد كل ما لديه واستسلم لسكين جزاره.

صعدت السلم مسرعة كل درجتين بخطوة لأصل غرفتي واتصل بهيا يرن الهاتف ولكن بدون رد بدأت ارتعش واضرب الأرض برجلي، الكلب أكيد بيبوسها آه اعمل إيه يا ربي.

اتصل ثانية: ردي بقه ردي...

لكن لا رد مما يزيد في عصبيتي وخنقي.

للمرة الرابعه ترد هيا....

إيه !!!! بعصبية كنتي فين برن عليكي مش سامعاني، كنتي برة بتعملي إيه؟؟؟

إيه في عربية والدولية؟!! بتعملوا ايه!!

آه بتجيبو الحاجة وعمل معاكي إيه ؟؟!
إيه باسك!!!!!!! وإيه كمان، مسك صدرك!! النذل الجبان طيب هيا باي دلوقت.
أغلقت الهاتف ورميته بقوة على السرير وجلست أمام المرآة انظر لنفسي أنا إيه اللي بيجرالي أنا بحب هيا فعلا وبغار عليها، مش لازم الكلب ده يأخذها مني.
في صباح اليوم التالي ذهبت إلى المدرسة في أتوبيس المدرسة قبل هيا وكنت قد رسمت خطة للخلاص من رامي... وبدأت التنفيذ ..وسلمت على مصطفى وأحمد أصدقائنا بطريقة الأولاد في انتظار هيا سألتهم عنها؟
: هيا ورامي لسه مجوش؟
مصطفى: لا لسة.
أحمد: اشمعنى رامي وهيا يعني، ضحكت بخبث/هههههه إيه أنتو صحابو وأكيد بتعرفوا كل أسراره، بيحكيلكم عن مغامراته هههه.
مصطفى: مغامرات إيه.
: وأنا مالي يا عم هو صاحبكم مليش دعوة لو بيخبي عنكم وأنتو بتعرفوه كل أسراركم يلا باي أروح أحط الباك في الفصل.
ذهبت وعلى وجهي ابتسامة رضا.
تضع حقيبتها وتدخل هيا
: صباح الخير ميمي
احتضنتها بقوة وقبّلتها.

: صباح الخير وحشتيني

هيا: وأنتي كمان.

: احكيلي حصل إيه امبارح، ونحن خارجتان من الفصل.

هيا: أبداً مفيش حاجة زي مقلتلك.

: تلاقيه دلوقت بيحكي لأصحابه.

هيا: مستحيل.

: طيب تعالي ونشوف.

وقفنا أمام أحمد ومصطفى ورامي ظهره متجه علينا ونظرات من أحمد وضحكات وابتسامات من مصطفى ورامي مشغول بالحديث،

شوفتي بيبصولك وبيضحكو إزاي، وهو بيحكيلهم زمانه بيزود كلام محصلش.

هيا بصوت فيه حزن وخوف:مش ممكن يعمل كده.

: قلتلك مصدقتنيش.

الولاد بيتباهوا أنهم بيوقعو ا البنات لكن إحنا ستر وغطا على بعض مهما حصل بينا مش حنفضح بعض.

هيا: مش فاهمة.

يدق جرس المدرسة ويدخل الطلاب الفصول، وفي الفسحة تتحاشى هيا التقرب من رامي وتراقب أحمد ومصطفى اللذان يبادران بالابتسام كلما رأوها فتشك أن رامي قد حكى لهم مادار بينهما

ينتهي اليوم، كنت أراقبها عن كثب؛ لأرى ردود فعل كلماتي عليها، وجدتها قد استجابت، طرت من الفرح والسعادة، وصلت المنزل وأنا في قمة نشوى الانتصار..

: عايزة أكل كتير حاسة إني جعانة أوي.

ماما: يا سلام ده أنا ببقى أسعد إنسانه لما بشوفك تاكلي.

تقابلني بطيبة يلا يا روح ماما خذي شاور وانزلي عشان تتغدي.

مريم: أوك... استطردت بالحق هتيجي طنط النهاردة.

إلهام: حبيبتي هشوف.

صعدت غرفتي ووضعت الحقيبة، ودخلت الحمام، وأنا اغسل مابين فخذي كنت أحس بنشوة غريبة.

بنشوة جميلة.

آه حلو أوي آه ياريت هيا معايا دلوقت.

ده صوت ماما تدق باب الغرفة.

مريومة الفون بيرن حبيبتي نسيتيه تحت دي هيا.

شطفت جسمي مسرعة أيوة جاية يا ماما.

دي قفلت... هكلمها.

إلهام: طيب حبيبتي متتأخريش الغدا عالسفرة.

تنزل وتغلق الباب، وبلهفة المشتاق كلمتها.

: ألو هاي حبي مالك يا قلبي بتعيطي ليه؟ ولاتسألي فيه الندل ده.. بقلك إيه قولي لماما تجيبك قوليلها في درس صعب مش فهماه وأنا هشرحهولك.. أوك.

باي حبيبتي.
قفزت ودرت في غرفتي كراقصة باليه على أنغام تشايوفسكي، وهذا الروب الذي ارتديه يساعدني على الطيران كبجعة من بجعاته.
ارتديت ملابسي ونزلت كي أتناول الغداء.
: تسلم إيدك ماما الأكل يجنن.
الهام: بالهنا.. ما إن أنهت كلمتها حتى رن جرس الهاتف.
الهام: أهلا... أيوة معنديش حاجه أهلا بيكم اتفضلوا.
طيب هنستناكم.
: ضيوف.
الهام: دي مامة هيا جايين بعد ساعة.
تكاد تقفز الفرحة من عيني كأني أم وجدت وليدها بعد فقده، أكملت غدائي.
: طيب يا ماما هطلع غرفتي أجهز الكتب.
أقفز السلم درجتين درجتين كي أتأكد من هذا الخبر السعيد.
ألو هيا هتيجو بجد أنا مستنياكي يلا متتأخروش.
رميت الموبايل على السرير نظرت لنفسي في المرآة الشعر في وجهي بيكتر... آه يا مريم خلعت التريننج، ولبست بنطلون وأنا أغلق السوستة، إيه الإحساس اللي بيجيني دة، حاسة إني قوية، وإن فيا طاقه رهيبة، وكمان الحته دي عايزة تتنفض من مكانها. آه ياربي أعمل إيه!!؟؟
كملت لبس وحضرت دفاتر وكتب المذاكرة.

أيوة كل شئ تمام.

انزل السلم قفز.

إلهام: بالراحة يابنتي ميصحش كدة.

: بالراحة إيه يا جميل ده أنا ممكن أشيل الفيلا بصابع رجلي.

تضحك أمي، وهي تضع الكيك والبسكويت في الأطباق؛ لتجهزه للضيوف.

هيا: أم محمد مبتجيش اليومين دول.

إلهام: أيوة يا ستي بنتها والدة، وهبة عندها وسايباني محتاسة في البيت سافرت وخذت شهريتها مقدما.

:طيب خليني أساعدك.

إلهام: لا يا حبيبتي خلصت خلاص.

خرجت إلى الحديقة أعد الدقائق؛ لأعرف ماذا حصل في بيت هيا تتمشى مجيئا وذهابا.

سمعتُ صوت مزمار السيارة، فقفزتُ افتح البوابة بلهفه.

آه إنها خالتو هيام تلوح لي، أف ماذا أتى بها؟

لا أريد إزعاج من أحد.

: أهلا خالتو.

هيام: أهلا حبيبتي، إزيك ماما كانت موصياني على سويت جبتو عشانك.

: إيه مين قالك إني عايزة أعمل سويت.

ونحن ندخل البيت، هيام: كل البنات في سنك لازم يعملوا، دي

نظافة.

حبيبتي ولو مكسوفه مني أعلمك، وأنتي اعملي لنفسك

أجبتها بانزعاج إيه الكلام دة؟

تنزل أمي من السلم: أهلا أهلا جيتي في وقتك، فتحيه جاية وهننبسط كلنا.

إلهام تعطيها العلب: خذي يا ستي نزلت النهاردة وافتكرتهم.

إلهام: متشكرة الجمعة نعمل حملة النظافة على مريوم.

: بعصبية مستحيل، فيه إيه أنتو بتفكروا بدالي، والا إيه مش هعمل... كدة أنا مبسوطة!

تركتهم وخرجت إلى الحديقة، صوت السيارة ركضت صوب البوابة.

هيا ووالدتها سلمت عليهم وقبلتهم، ومسكت بيد هيا وجريت بها وسط ضحكة طنط فتحية ودعواتها للأختين مريم وهيا بالسعادة والتوفيق.

هيا يابنتي خليني أسلم على طنط.

: يلا.

تسلم هيا على إلهام وهيام، وتدخل فتحية وهي تضحك شوفي البنات قال هيموتوا على المذاكرة.

يضحك الجميع.....

طيب بعد إذنك ورانا مذاكرة، صعدنا إلى الغرفة، فاحتضنت هيا بشوق.

: كنت خايفه متجوش.

هيا: لا ماما قالت يلا نروح.
حبيبتي قلبي عندك حاسة بيكي أنتي اتصدمتي بالواد رامي مكنتيش عارفة الولاد وأطباعهم، تفتكريهم زينا بيخبوا أسرار بعض.
هيا: مش متصورة أبدا اللي بتقوليه، ومش متأكدة أن رامي كدة.
بعصبية وغضب: أنتي عبيطة يا بت أنتي شوفتي صحابو إزاي بيبصولك وبيتكلمو عليكي.
هيا: لكن هو حلفلي أنه مقالش لحد!
: يعني كلمتيه تاني .
هيا بصوت دافي خجول: لا هو اللي أتصل، وحلف أنه بيحبني وعمره مهيعمل حاجه تضرني.
ولما جاء باس إيدي وحلفلي إن مفيش غيري، وإنه بيموت فيا.
: طيب يا بنتي أنا غلطانة معلش بينا نذاكر، كان الشرر يتطاير من عيني.
هيا: إنتي زعلتي؟
: وازعل ليه بكرة الأيام هتثبتلك صحة كلامي.
مسكت الكتاب بعصبية وبدأت رجلي كهزاز أوصلوا له تيار كهربائي، لم أحس أن الدم قد نضح من شفتي من قوة العض عليها بدأت بالقراءة وصوتي يتهدج.
هيا: الموضوع دة مش فاهماه، خلي طنط تشرحهولنا.
: أوك يلا بينا ننزل نقولها.
كانت كلمات هيا هي المنقذ لي للخروج من هذا الوضع، نزلنا

وشرحت لنا أمي الموضوع إلى أن وصلت الفكرة لدينا.
إلهام: إيه خلاص كدة يا ينات فهمتوا؟
هيا: أيوة يا طنط ألف شكر، ثم تلتفت على أمها، إيه يا ماما مش هنروح عندي واجبات هنقلها في الكراسة.
: إحنا لحقنا نقعد.
هيا: معلش ميمي المرة الجاية.
فتحية: طيب يا جماعة نسيبكم المرة الجاية تيجونا أنتو وهيام، إوعي تقولي لا وتتحججي.
يضحك الجميع.....
إنه زلزال اجتاحني، الأرض تمور من تحتي كل شئ انهار بلحظة، ضاعت مني أحلامي، وقطتي ابتلعها طوفان يسمى رامي ..
تسمرت في مكاني، لم أتفوه بكلمة أذني أصابها الصمم، وقلبي ينعق كغراب.
يسلم الجميع وتخرج أمي وخالتي هيام؛ لتوديع فتحية.
صعدت السلم مسرعة، وأغلقت الباب.
: الكلب دة لازم يغور....
قلتها بحرقه المهزوم في معركه غير متكافئة ...
رأسي يكاد ينفجرمسكته بكلتا يدي لعله يهدأ من الصراخ ولكن لا جدوى.
مر الليل كشريط قطار لا يصل محطته، ودوي كلمات هيا كبحر هائج وأنا كقشة وسط أمواجه.....

في الصباح كنت عزمت على استعادة قطتي، وبأي وسيلة. هذه الجولة سأكون أنا الفائزة.

صباح الخير يا ولاد.

أحمد ومصطفى: صباح الخير مريم إزيك عامله إيه؟

تمام محدش شاف هيا ورورامي؟

أحمد: لسه مجوش.

بلغتهم بسؤال كان هو القشه التي ستقضم ظهر البعير.

: هو رامي حكالكم حكايتو مع هيا.

أحمد حكايه إيه.!

يتعجب مصطفى إوعي يكونو بيحبو بعض!

: يا ابني هو مش صاحبك والا أنتو صحاب أونطة؟

مصطفى: أنا حاسس إن فيه حاجة بينهم.

أحمد: أنا شفتو ماسك إيدها.

إيه! قلتها بعصبية مفتعلة، ومسكت بقميص أحمد، ورميت شنطة المدرسة على الأرض أنت بتقول كدة ليه على صاحبتي يا كلب، أشده بكل قوة، ومصطفى يحاول أن يحجز بيننا، أنا أصرخ هذه لحظتي الحاسمة.

اجتمع الطلاب حولنا وبدأت الأصوات تتعالى، وأنا أقفز واضرب أحمد واشتمه بألفاظ سوقية.

يخرج المعاون وينادي علينا، فيأخذنا للإدارة، وقد مزقت قميص أحمد.

المعاون: إيه اللي عملتوه ده!!؟؟؟ أنتوو في مدرسة محترمة مش في شارع!!!

وأنتي يا مريم عملالي فتوة.!!! دة تصرف بنت متربية وبنت ناس!!!!

وأنت يا أحمد فيه راجل يمسك في خناق بنت أنتو فين؟؟؟!!!!

أحمد يتلعثم بالكلام...

: أستاذ دة بيلسن على صاحبتي متحملتش.

يقاطعني أحمد ابدا والله.

المعاون: اسكتو أنتو الإثنين مش عايز أشوفكم إلا مع ولي أمركم .... اتفضلوا أقعدوا برة أنا هاتصل بأهليكم .....

بشدة وبصوت عالي: يلا انتظروا برة ومتدخلوش الفصل.

انتظري في الغرفه المجاورة.... وأنت يا أحمد خليك برة الغرفة.....

كنت في قمة السعادة والفرح.

تأتي هيا مسرعة.

هيا: فيه إيه؟ إيه اللي حصل؟ مالك؟ شكلك متلخبط أوي.

تلتفت لترى أحمد وقميصه مقطع إيه اللي جرى!؟؟

: بعدين أحكيلك روحي الجرس ضرب دلوقت روحي الفصل متتأخريش!!

هيا: اروح إزاي وأسيبك.

: معلش روحي أنتي وتتحل.

تذهب هيا..... ولحظات الانتظار في الغرفة تربكني، وتلك الرجل الهزازة لا تسكت..

حاولت أستجمع قواي، تدخل علي مس تهاني مدرسة الموسيقى، في الثلاثينات من عمرها طويلة وجميلة، لها نظرة أخاذة.

مس: إيه اللي حصل يا مريم؟!!

:أبدا مس خناقة عادية، الولاد لسّنو على صاحبتي، وأنا ربيتهم.

تقترب مني وتتلمس جيب قميصي المقطووع بطريقة يقشعر لها بدني، أنفاسها تتلاحق وتعض على شفتها.

: اممم يعني أنتي دافعتي عن صحبتك.

: أيوة يا مس.

ثم باغتتني بسؤال بتحبها؟

لم أتوانى عن الرد بدون شعوري أيوة.

رمقتني بنظرة زلزلتني لا أعرف سببا لكل هذه الأسئلة ولا لماذا تكلمني هكذا؟

طيب يا مريم هيكون لنا قعدة سوى...

أنا أحب البنات الجدعان اللي زيك ...ربتت على كتفي واعتصرته عايزة مني أي حاجه أنا في خدمتك..

وعالعموم بكرة عدي عليا فيه كلام كتير نقولوا لبعض ..

أومأت برأيي بالموافقة.

وها هي الفراشّة تدخل؛ لتنقذني من براثن مس تهاني وأسئلتها ونظراتها المريبة...

: مريم المعاون عايزك.

قفز قلبي من بين أضلعي ذهبت معها في انتظار التوبيخ..!! وأحمد

ينتظر دوره، وينظر لي يريد أن يقلعني من الأرض.
احمد: وأنا مقالش عايزني ....؟ لم ترد عليه.
دخلت غرفة المعاون لأجد أمي في الانتظار..
تصعق عندما تري كدمات في وجهي وشعري، وجيب قميصي مقطوع.!!
إلهام: إيه ده!!؟؟ يا مصيبتي إيه اللي بهدلك كدة!!؟؟
المعاون: تعالي يا مريم احكيلنا إيه اللي حصل؟
وأنا اتصنع الطيبة...
أبدا أستاذ أنا بسأل عن صديقتي هيا، لقيت أحمد بيشتم فيها كلام مش لطيف رديت عليه، لقيتو شدني من القميص!! حاولت أدافع عن نفسي ... دة كل اللي حصل.
المعاون: لكن مصطفى بيقول غير كدة!!
: أستاذ مصطفى صاحب أحمد تفتكر هيقول حاجة تضر صديقه عشاني هم التلاتة أصحاب أوي أحمد ومصطفى ورامي.
مش ممكن يشهدوا على بعض.
المعاون:طيب يا مريم روحي مع ماما النهاردة،وأنا هكمل التحقيق .. تمسح أمي دموعها، وتشكر المعاون وتأخذني إلى البيت وهي مكسورة الخاطر من هول هذا الموقف وفي الطريق
إلهام: ليه كدة حبيبتي تتخانقي بالضرب؟؟!! دة اللي ربيتك عليه!!
أجبتها بانفعال: أرجوك يا ماما... قل أدبوه أسيبو مش معقول!!!
قال إيه فهميني.

قال اللي قالو بقه ربنا يسامحوه.
لم تحاول أمي معرفه الذي حصل أو البحث عن السبب !..
كل الذي يهمها أن الحكاية انتهت، ولا تريد أن توجع رأسها بالتفاصيل.. وصلنا البيت وكأن شيئا لم يكن....
وفي المدرسة يأتي والد أحمد.
المعاون: تعال يا أحمد.
والدك أهو وأنا قدامه بقلك إزاي تبقى راجل وتضرب بنت ؟!! وإزاي تتكلم بسوء على زميلتك!!؟؟
المدرسة لها قوانين، وانا هكتفي المرة دي بإنك تقدم اعتذار لمريم الخميس في رفعة العلم ...
المفروض أفصلك من المدرسة لكن علشان خاطر والدك ومستقبلك هكتفي بالاعتذار...
أحمد يتلعثم والله هي اللي بدأت.
والده: اسكت أنت مخطئ مهما حصل مش لازم تمد إيدك على بنت..!
يلتفت إلى المعاون إحنا آسفين يا فندم ومش هتتكرر...
يسلم ويأخذ أحمد ويخرج وهو في غاية الامتعاض.
يرن جرس الفسحة تخرج هيا، ويأتي رامي إليها.
رامي: هاي هيا والله مقلتش لحد على اللي بينا.
هيا: هو فيه إيه مش عارفه إيه اللي حصل!؟؟
تأتي صديقاتها، تشدها هند من يدها بقوة تعالي بس وإحنا

نفهمك.
تذهب معهم وهي في ذهول قلولي بس فيه إيه؟
هند: شوفي الواد رامي قايل لصحابوا عن علاقته بيكي ومريم دافعت عنك وضربت أحمد.. وفضلت تقلو دي هيا أشرف منكم، بتسوء في سمعتها ليه دي مفيش أي حاجة بينها وبين رامي..
وضربتو دة اللي حصل.
تصمت هيا وتمسك رأسها بيدها وتأخذ بالبكاء ..لا مش ممكن إيه اللي بيحصل دة!!!!؟؟ تجري إلى الفصل ويجري صديقاتها وراءها.
هند: متخافيش محدش بيصدق الكلام د ده،ة دول شوية عيال عارفين إنهم بيفشرو..
تأخذ سلمى منديل وتعطيها لهيا وهي تطبطب عليها، لكن مريم وقفته عند حدوده وقطعت لسانو، دي اجدع من مائة زيهم..
يرن جرس الحصة وتكمل هيا اليوم، وتذهب في باص المدرسة ..يحاول رامي الاتصال بها لكنها ترفض ثم تتصل بي....
ألو حبيبتي آسفه على اللي جرالك بسببي، البنات حكولي...
أيوة هخلي ماما تجيبني بس إوعي مامتك تقللها حاجة عن اللي حصل عشان خاطري ... طيب حبيبتي جيالك.. باي.
: الله أنا انتصرت أنا في قمة السعادة يس هو ده.
ثم ذهبت المطبخ: ماما أرجوكي متجبيش سيرة لطنط على اللي حصل.
إلهام: يابنتي لازم تعرف وتكلم أهل الواد عشان ميتماداش في

الغلط.

: ماما أرجوكي عشان خاطري ..هو أكيد خد درس ومش هيقدر يعمل حاجة، ثم هو فاضلوه كام شهر معانا، دا ثانوي وهيقعد في البيت أرجوكي حبيبتي.

قبلتها واحتضنتها.

إلهام: طيب بس توعديني ملكيش دعوة بأي حاجة تاني... تصرفات الصبيان دي متنفعش لبنوتة حلوة زيك!

: حاضر يا ماما أوعدك.

طيب يا حبيبتي تعالي شيلي معايا الأكل نحط و نتغدى.

بسعادة: حاضر يا أحلى أم في الدنيا، احتضنتها بسعادة وأتممنا غدائنا.

إلهام: هغسل الأطباق وانتي اعملي الشاي.

لم تكمل كلمتها: ماما سامعه تلفونك.

طيب هاتيه ده في غرفتي.

إلهام: ألو .. أهلا أهلا يا روحي .. طيب متيجو أنتو وخليها إحنا مرة تانية، أنا مواريش حاجة.

طيب طيب.. إن شاء الله.

إلهام: دي طنط عاوزانا نروح عندهم.

: أوك يا ماما نذاكر هناك، وبالمرة أخذ الدروس اللي فاتتني

إلهام: طيب يا نور عيني نرتاح شوية ونروح.

تُرى ماذا سيكون في أمرها معه!؟؟ هل سينتهي كابوس رامي إلى

الأبد!!؟

قفزت إلى غرفتي، ارتديت أجمل بنطلون وبلوفر، سرحت شعري ووضعت العطر.

يا ترى بتحبيني يا هيا زي ما بحبك!؟؟

ثم انتبهت لنفسي ايه الكلام اللي بقولو دة !؟؟مالي..!

أنا حاسة بحب جواية لهيا ...

كأني ولد !!جلست على الكرسي، شبكت يدي أنا خايفة إيه اللي بعمله ده؟!!

يارب ليه بحبها بالطريقة دي؟؟

وليه بحلم بيها كدة؟ وإيه اللي بيحصل في الليل معايا تاني مرة أقوم أحس إن جسمي ملزق.

صوت ماما....

إلهام: حبيبة ماما خلصي عشان نروح ونيجي قبل الليل خالتو جايه هتبات هي والبنات عندنا.

: حاضر يا ماما بصوت عالي.

مش عارفه ليه مش بحبهم بنات خالتي دول يلا ليلة.

: يلا يا لولو أنا نزلت أهو في الطريق.

إلهام: ليه لبستي دول حبيبتي عندك فساتين وجزم كتيرة..

الكوتشي دة والبطلون والبلوزة عامليلك زي الولد..

بحب أشوف بنوتي الحلوة فين الشنط والاكسسوارات.

ليه قلعتي غوايشك الذهب؟؟!

: ماما حبيبتي أنا حاسة إن دول بيليقوا عليا أكثر وبرتاح فيهم.
إلهام: حبيبتي أنتي بنت، والبنات يحبو يظهروا بأحلى منظر، وبيحبوا الاكسسوارات والشنط والذهب.
انظر عبر نافذة السيارة، وأحدث نفسي أقولك إيه بس يا ماما أنا مش حاسة إني بنت!
آه أكلمك عن حبي لهيا تقولي عليا اتجننت.
أمي تكمل حديثها....
ميمي حبيبتي أنتي مش سامعاني !؟؟
بقولك نأخذ لهم إيه معانا جاتوه والا حلويات!!؟
أنتبه لكلماتها أي حاجه يا ماما هيا بتحب الإتنين.
تقف أمام محل حلويات.
طيب يا روحي انا هنزل أجيب تيجي معايا والا تخليكي هنا؟
: آجي معاكي يا روحي مسيبكيش لوحدك.
تضحك إلهام: ليه يا روحي هيخطفوني ... هههههه.
وصلنا، كانت روحي ترفرف طائرة قبلي تريد أن ترن الجرس تخرج هيا لتفتح البوابة، وتحتضنني بلهفة وشوق .. وحشتيني أوي.
تضحك إلهام هيه لحقتو... تسلم على هيا وتقبلها.
هيا: أهلا يا طنط اتفضلي.
يدخل الجميع البوابة، تأخذ هيا العلبة.
تحيه على الباب أهلا أهلا يا مرحبا نورتونا يا قلبي، ايه ده يا إلهام هو إحنا غرب تدخلي كدة دائما!!؟ أنتي أختي وده بيتك يا قلبي.

إلهام: ولا حاجة يا روحي دي حاجة بسيطة.

يدخل الجميع البيت.

: يلا يا هيا عاوزين نذاكر.

فتحية: حبيبة طنط مستعجلة على المذاكرة!؟؟ اشربوا حاجة الأول.

: لا يا طنط في مراجعات كتيرة عندنا، ونص السنة قربت.

تحية: طيب حبايبي اطلعوا وأنا اجيبلكم الحاجة.

هيا: طيب يا ماما.

مسكت بيد هيا: وحشتيني أوى.

كنت قلقانة عليكي ماما حست بحاجة.

هيا: لأ مفيش.. يارب بس طنط متحكيلهاش، أنتي عارفة دول سرهم مع بعض!؟؟

: لأ متخافيش أنا اترجيت ماما إنها متقلهاش.

هيا: ربنا يستر تجلس هيا على الكرسي وجلست أمامها كخاطئ يريد الاعتراف للقس بذنبه.

: شفتي حبيبتي جالك كلامي مش قلتلك إن ده واد مش كويس.

هيا: أيوة كلمني روحت قافلة الفون.

: أيوة كدة استطرد ابتسامتي الخبيثة أصبحت متلازمة لي لا تنفك عني.

الولاد كلهم كدة بيفضحوا البنات..

لكن إحنا ملناش غير بعض حبنا مفيهوش غدر ولا خداع ولا

فضائح أنتي بس اعتمدي عليا وثقي إني بحبك وبخاف عليكي أكثر من روحي..

شوفتي لما كلب جاب سيرتك عملت إيه!؟؟

هيا: بصوت منكسر أيوة.. ربنا يخليكي ليا.

: أنا عارفه إن البت مننا جواها حاجات لازم تطلع حسيتها لما باسك ولمس فخادك صح!؟؟

هيا: أيوة.

: شفتي لأنه نذل أنتي مقلتليش أنه دخل إيده بين فخادك لكنه قال الكلام ده للولاد، النذل الجبان.

وقفت خلف هيا واحتضنتها من الخلف وقبلت رأسها متزعليش يا حبيبتي ...هو صحّى جواكي ثورة.

أنا هخليكي أسعد إنسانة معايا ...صوت تحية على الباب افتحوا يا بنات.

تسرع هيا وتفتح الباب.

: إيه كل دة يا طنط.

تحية: علشان تعرفوا تذاكروا حبايبي.

تضع الصينية على المنضدة جنب الكتب.

عايزين نِمَر كويسه الأوائل بإن الله.

أنا وهيا: إن شاء الله.

بعد خروج طنط تحية مسكت هيا بطنها وبدأت تتلوى من الألم أحسست إن روحي تسلب من جسدي.

: مالك يا روحي فيكي إيه؟
هيا: البيريود... مغص بتوجعني قبل متيجي كل مرة كدة وبأخذ باسكوبان يهديها شوية كان الألم يعتصرها وصوتها بدا لي كانه يخرج من مكان سحيق.
مسكتها تعالي طيب على السرير ارتاحي شوية.
هيا: لأ والمذاكرة.
تعالي بس اعملك مساج بسيط هيخفف.
أنمتها على السرير وجلست جنبها أدلك لها بطنها بخفة ورقة.
شوفي طلعي بطنك وعندك الزيت دة هترتاحي بدون أي مسكن دي مجربة.
التقطتُ قنينة فيها زيت شعر أخذتُ منها القليل، وتكشف هيا عن بطنها.
دعكت بطنها بالزيت وبدأت بالتدليك بخفة ونعومة، أنزل على أسفل بطنها وضعت كمية من الزيت، وعيناي تكاد تأكل هذا اللحم الأبيض!
أبيض طري تحت يدي وبدأت ضربات قلبي تتسارع .. وحبات العرق تغزو جبهتي، ويداي تنزل كل دقيقه أكثر أسفل بطن هيا لتصل إلى العانة، وهيا منسجمة معي.
يقطع صوت رنين الهاتف انسجامنا.
أعطيت هيا الفون ومسحت العرق المتسبب منها.
تنظرهيا للهاتف ده هو.

تغلق الهاتف وترميه.

: ها يا حبيبتي استريحتي دلوقت.

هيا: أوي إيدك فيها سحر.

: شوفتي لو رامي عملك كدة كان الدنيا كلها عرفت لكن إحنا ستر وغطا على بعض.. لأننا بنحب بعض، ثم جلستُ على السرير وغطيت بطن هيا، ونظرت في تلك العينين الممتلئتين طيبة صح والا لأ!!؟؟

هيا: صح ميمي أنا بحبك أوي.

تجلس وتحتضنني!!

: وأنا بحبك أوي أوي يا قلبي أحسن دلوقت.

أيوة يا مريومتي.

يلا ناكل ونذاكر.

بدأنا بالمذاكرة، ولكني لم أكن مرتاحة فقلبي مازال يخفق .. وحبات العرق لم تغادر الميدان رغم مسحي لها ... أحاول أن أطرد الأفكار من رأسي، ووقفت واتجهت ناحية النافذة، فتحت الستارة والشباك وتنفست بعمق.

هيا: مالك يا بنتي فيه إيه !!؟؟ الجو برد وإنتي حرانة؟

: أيوة تصدقي يمكن البلوفر ده تقيل شوية،

ثم استطردت ..انتي تعرفي أنا بحبك أد إيه، ومستعدة أعمل أي حاجة تسعدك.!؟

هيا: أيوة حبيبتي وأنا كمان بحبك أوي.

: أوك هقلك على حاجه نفسي أعملها معاكي.

هيا بتعجب إيه !؟؟

: فيه عهد إسمه عهد الدم .. دة يخلينا واحد .. ويخلي سرنا ميطلعش لحد تاني أبدا ..ناخدو معانا لقبرنا.

هيا: أول مرة أسمع عنه.

: نفسك نكون واحد واحكيلك وتحكيلي، وسرنا يفضل جوانا ونخاف على بعض ونحب بعض للموت!!؟

هيا بلهفة: أيوة ياريت لكن نعمل إيه؟؟ شوقتيني!!

: شوفي يا ستي نقطة دم منك ونقطة دم مني نخلطهم على بعض.. وإحنا متحاضنين وكل وحدة تقسم إنها متخونش أبدا ولو خانت تحل عليها لعنة القسم..

هيا: طيب الدم منين؟

: مفيش يا روحي.. نقطة من كفك اليمين ونقطة من كفي بنحطهم بجرح صغنن ونقسم... ده أرقى أنواع العهود إيه رأيك نبتدئ؟؟؟؟

هيا وهي منبهرة وتحاول تعرف كيفيه العهد والقسم.

: لحظه يا قلبي وكل كلمة أقولها ترددها ورايا.

هيا: أوك.

: فيه عندك شفرة أو إبرة أي شئ يعمل جرح.

هيا: أيوة عندي.

تجلب شفرة، خذي دي جديدة.. من بتوع بابا.

: شوفي هعمل جرح صغنن وأخذ قطرة.

هيا: لاء لاء بخاف.

: هههههه يا بنتي مش هأذيكي... شوفي جرحت إيدي بحافة الشفرة بسرعه شوفتي ..حتى مفيش دم أنا اعصرو عشان يطلع!! هاتي إيدك ومتخافيش.

تمد هيا يدها بخوف، وباغتها بضربة.

هيا: أي.

: اي إيه حسيتي بحاجه هههه يلا يا قلبي اعصري يطلع نقطه دم يلا شوفي بعمل إيه واعملي.

عصرنا مكان الجرح فخرجت قطرات الدم.

: يلا هاتي دمك يمتزج بدمي... تتشابك الأيدي ونحضن بعض ...وهمست في أذنها....

: يلا نردد العهد هقول وقولي ورايا...

بسم دمنا الممزوج لن نخون العهد...تردد هيا ورائي سنكون روحا واحدة، سرنا معا للموت ....ولن يدخل معنا أحد .... ومن يخون تحل عليه لعنة العهد..... آمين..

تردد هيا الكلمات، وأزيد من احتضانها إلى أن تنتهي

تبتعد هيا عني قليلا فأنتبه.

: أيوة حبيبتي أنتي دلوقت تقدري تعملي أي حاجة وتحكيهالي، وأنا كذلك ..روح واحدة .. أوك يويو

هيا: أوك حبيبتي.

جلبت العطر ورششته على مكان الجرح فتصرخ هيا.

: هههه بسكوتة أنتي يويو ..شوفي ورششت على جرحي فلم أهتم.

هيا: أنا فرحانة أوي بيكي ... أنتي أقرب الناس ليا.

: وأنا كمان يا قلبي.

هيا: خلينا نذاكر وننجح عشان محدش يشمت فينا.

: صح حبيبتي

هيا: أوك حبيبتي أنتي فاتتك حصة الماث ..كان نيو لسن.. ممكن طنط تشرحهولنا أنا كمان مش فاهماه.

: أوك حبيبتي يلا ننزل نقولها تشرحهولنا.

فتحية: إيه يا بنات خلصتوا؟

هيا؟ لا يا ماما فيه حصة الماث مش فاهمينها جايين لطنط تشرحهالنا.

إلهام: أوي أوي تعطي هيا الدفتر لإلهام، وجلسنا حواليها وتبدأ بالشرح، ها يبنات فهمتوا؟

: أيوة شكرا يا طنط.

إلهام: خلاص كدة خلصتوا والا لسه؟!!

هيا: خلصنه وجايين نقعد معاكم.

طيب عشان إحنإحننفكر في رحلة في إجازة نص السنة.

: هييي ولفين حبيبتي.

إلهام: شرم يا قلبي.

هيا: الله جميلة نفسي أروح هناك.

فتحية: اتشطروا وذاكروا كويس، ودي هدية نجاحكم مقدما.

هههههه يضحك الجميع، احتضنا أمهاتنا بفرح وسعادة.

٢

في صباح اليوم التالي صحيت على آلالام قوية في البطن، وجلست على السرير أتلوى من الألم، تدخل أمي،

: صباح الخير يا قلبي أنتي صاحية؟

تنظر إلي وأنا ممسكة ببطني جهة اليسار أتلوى من الألم.

: مالك يا نور عيني فيك إيه؟

مفيش يا ماما بطني بتوجعني أوي.

إلهام: يا روح ماما الشمال الحمد لله مش الأعور، يمكن البيريود هتيجي؟؟ يا روحي متخافيش كل البنات كدة بتوجعهم، وكان المفروض تيجي قبل كدة، تحتضني متخافيش يا قلبي نفطر وخذي باسكوبان هتحسي براحة... يلا يا قلبي عشان أنزلك وحدة وحدة تفطري، وتلبسي وأخدك المدرسة ... مش هخليكي تروحي بالباص النهاردة.

: حاضر حبيبتي.

تحتضنني وتنزلني نتناول الإفطار وتعطيني حبة، تصعد غرفتي وتأتي لي بملابس المدرسة والحقيبة.

: يلا يا قلب ماما غيّري هنا عشان متطلعيش السلم.

أكمل ونذهب للمدرسة.

ها يا قلبي بقيتي كويسة؟

: أيـوة يـا ماما، كانـت تـؤلمني قلـيلا ولكـن خـوفي على أمي جعلني أتناسى الألم.

التقيت هيا، وهي نازلة من باص المدرسة.

: هاي حبي.

لوّحنا لماما وهي تغادر.

هيا: جاية مع ماما النهاردة.

: أيـوة يـا قلبي تعبت.. ألـم زيـك يمكـن أنـا كمـان البيريـود جايـالي... هههههه شوفتي إزاي كل اللي عندك عندي

دخلنا المدرسة، وإذا برامي يقفز أمامنا

رامي بلهفة وتوسل: هيا لازم أكلمك.

سـرنا ودخلنـا الفصـل كأنـه غير موجـود .. وضـعنا حقائبنـا وسـلمنا على الطـلاب والطالبـات ورامـي واقـف يحـاول أن يكلـم هيـا وهي منشـغله عنـه تسـتدير وتعطيه ظهرهـا... نظرت إليه بنظرة شـامتة، ونصف ابتسامة جعلته يطأطأ رأسه ويغادر،

يدق جـرس المدرسـه ويبدأ يـوم جديـد والفرحـة بالانتصـار تعلـو بي ..كـأني جنـدي راجـع مـن حـرب منتصر..مسـكت يـد هيـا وطبطبـت عليها.

هيا: ولا يهمك أنا شفته ومستحيل أكلمة تاني، أنا مش زعلانه....

في الفسـحة ذهبنـا لكـانتين المدرسـة كـان هنـاك مصـطفى ورامـي وأحمد رمقتهما بنظرة سخرية وشماتة.

احتضـنت هيـا وطـوال الوقـت وهي مـع صـديقاتها تضـحك وتـتكلم

ورامي يراقبنا وقلبه مشتعل.. يحاول أن يكلمها ولكن دون جدوى، إلى أن انتهي اليوم وذهب الجميع إلى بيوتهم.
غدا الجمعة.. وبعد غد السبت و بعدها أول أيام السنة الجديدة.
الكل تعانق ودعى بسنة جديدة سعيدة إلا هيا و ورامي وأحمد ومصطفى.
: ماما حبيبتي نقضي فين الويك إند، إيه رأيك نعزم هيا وطنط نروح السخنة دلوقت حلوة.
ماما: حبيبتي خالتو والبنات مجوش عشان اتأخرنا عند هيا قلتلهم ييجو عندنا
: يوه يا ماما يعني نقضي تلات أيام محبوسين هنا وبعدين البنات دول مبيتحركوش ومش بيحبو يلعبو أي حاجة، أعمل إيه أنا معاهم؟
إلهام: معلش حبيبتي حاولي أنتي تخليهم يلعبوا دول بيحبوكي اوي.
بمزاج متعكر: أوك عشانك يا لولو.
ثم صعدت إلى غرفتي لأتصل بهيا.
: انتي فين حبيبتي، هتقضوا الويك إند فين!!؟؟
النيلة بنات خالتي جايين عايزة أقضي ليلة رأس السنة معاكي حبيبتي، أموت لو عدت من غير منكون مع بعض.
طيب يا روحي.. ثم استدركت ياريت تكلمي ماما ونجتمع كلنا سوى.
أوك باي حبي ...سي يو.
أغلقت الهاتف وأنا مستلقية على عرض السرير ورجلي على

الأرض، أشخص ببصري إلى السماء، وأنا واضعة نهاية الهاتف في فمي غارقه في التفكير، ثم يقطع صوت طرق الباب تفكيري.
أيوة...
تفتح أمي الباب: حبيبتي أنتي لسه بلبس المدرسة تعالي معايا نوضب الأودة التانية ، أمل الشغالة أجازة الأسبوع ده ، مغلباني البت دي .
حاضر يا ماما.
إلهام: أول ما يجو هنتغدى، عامله حاجات بتحبها أوي.
طيب يا حبيبتي، قلتها وأنا أرتب السرير: ماما ممكن نقول لطنط وهيا ييجو بردو؟
إلهام: ممكن حبيبتي لكن يمكن ميستريحوش... خالد هيكون معاهم مش هيخدو راحتهم.
: هو خالد جاي؟
إلهام: أيوة يا روحي ده روحو فينا مش هيفوت المناسبه دي... متعرفيش تعلقو بيكي أد إيه!!
صمت على مضض : أنا لا أحب وجودهم، أذكر دوما كلماتها المشينة عن أبي الخائن كلما مر ذكره، وعندما توفى أبي عند تلك الوضيعه لم ترد أن تقيم له عزاء ..ولكن أمي كانت تحبه، ولم توافق وفي كل مرة تفتح بها تلك الحكايه أشعر باشمئزاز ، وأتمنى أن تصمت للأبد.. وكذلك أريد فقط الحديث مع هيا وقضاء ليله رأس السنه معها.. ولكن كيف استطيع اقناعهم بالمجئ وقضاء

الليله معنا..!!؟ ثم نزلنا بعد ترتيب الغرفة.

: دة صوت عربية خالتو باينهم جم.

خرجت لأفتح البوابة، تدخل هيام السيارة في الجراج، وينزل الجميع نسلم على بعض.

في الصالة الكل مبتهج.

إلهام : حبايبي أكيد جعتم يلا نقوم نتغدى عملالكم حجات بتحبوها.

تذهب البنات مع ماما وهيام للمطبخ، وابقى مع خالد.

فاجأته بسؤال وهو يتفحصني بعينين جائعتين: هو أنت اخترت صيدلة ليه؟

خالد كأنه تفاجأ بكلامي: كدة المجموع.

: كنت بتحب تدخل كلية إيه؟

خالد: طيران.

ضحكت بصوت عالي طيران!!!؟؟ يا بني مش معقول طيران هههه.

وتبقى طيار!! أنت تبقى زي رشدي أباظة!!!! مش معقول طبعا.

لا جسمك ولا شكلك هيخلوهم يقبلوك!

خالد بتعجب: فيه إيه يا مريم إيه لزوم التريقة دي !؟؟؟

يستطرد....

: كان نفسي أبقى ومدخلتش فيها إيه يعني!!

: مالك حيلك حيلك...!! أنت مش بتحب الهزار، بهزر معاك يا أخي، نهضت وذهبت إلى المطبخ ....فيه حاجة أساعد الحلوين فيها.

إلهام: طلعي السلطة من الثلاجة وقسميها في كاسات.

: طيب يا جميل أنت تؤمر.

يضحك الجميع تخرج الصينية من الفرن، تأخذها هيام وتذهب إلى السفرة تجد خالد وجهه قد تغير.

هيام: مالك يا خلودي مال وشك متغير شكلك زعلان من حاجة!!؟؟

خالد: مفيش يا ماما مش زعلان ولا حاجة.

تكتمل السفرة ويجلس الجميع.

إلهام: يلا يا جماعة مش محتاجين عزومة.

هيام: هناكل متخافيش هنبات هنا يعني لو قمنا جعانين، هناكل فين!؟؟

تضحك ويضحك الجميع إلا خالد، الكل منهمك بالأكل وقد غرفت له هيام طبق مازال يلاعب حبات الرز واللحم يلفها كأن الملعقه مجداف يريد الوصول به إلى بر الأمان، ولم يتذوقها.

إلهام: مالك حبيبي مش بتاكل ليه؟

خالد: أبدا باكل.

: يمكن الأكل مش عاجبك.

خالد: أبدا زي الفل لكن أنا صاحي النهاردة ومعدتي تعباني.

: أومّال صيدلي إزاي؟ أوصف لنفسك دوا.

هيام: يوصف إيه يا روحي دة لسه قدامه كتير كتير عقبال ميوصف.

خالد: طيب بعد إذنكم أنا مش قادر هروح الصيدلية أجيب دوا.

تفزع هيام: حبيبي يا ابني فيك إيه دا لغاية مجينا مكنش فيك حاجة؟

خالد: لا حبيبتي متخافيش هو شوية برد في معدتي لكن مقلتلكيش.. عشان متقلقيش زاد دلوقت.

إلهام: طيب يا روحي أجي معاك نجيب الدوا ونرجع.

خالد مقاطعا: لا يا طنط متتعبيش نفسك الصيدلية قريبة كملوا أكل أنتو الف هنا وشفا.

يخرج خالد، وابتسامة خبيثه تعلو وجهي لقد أزحت العقبة التي تعللت بها أمي !!!

: يمكن مش بيتغطى بالليل.

هيام: مش عارفة حبيبتي.

إلهام لمالما: يأخذ الدوا هيبقى أحسن، ويتغدى براحتو الأكل كتير، وممكن اعملو حاجه خفيفة عشان متتعبش معدته.

ينهي الجميع الطعام وترفع البنات الأطباق ...

وفي الطريق للمطبخ مددت رجلي لورد بنت خالتي المدللة وهي تحمل الأطباق وكادت تقع.

: إيه يا بنتي مش تاخذي بالك.

ورد: أنتي حطيتي رجلك في سكتي.

: أنا أبدا والله أنتي ماشيه سرحانة.

إلهام: طيب يا بنات حصل خير ...يلا الشاي دماغنا مصدعة.
: ياسمين اعملي الشاي بحبو جدا من إيديكي.
ياسمين من الداخل: حاضر يا خالتو أخلص غسيل الأطباق.
هيام وهي تشرب الشاي: قلبي واكلني على خالد أتأخر.
إلهام: طيب كلميه.
هيام: ألو أيوة حبيبي أنت فين؟؟ إيه بتعجب في البيت!! بتعمل إيه مرجعتش تاني ليه !؟؟ ثم تستطرد آه طيب حبيبي والترجيع...! الحمد لله طيب يا روحي لا إله إلا االله...
إلهام: إيه فيه إيه مش جاي والا إيه؟
هيام: قابلوه صحابو وراحو معاه البيت وهيباتو معاه، بقى كويس الحمد لله.
إلهام: الحمد لله ....يلا يا بنات خلصوا وهننزل المول بعد ما تستريحوا، لكم ساعة نجيب حاجة رأس السنه ونتفسح شوية.
البنات ....هيه تسلم خالتو.
إلهام: يلا حبيبتي وري أخواتك الغرفة بتاعتهم، واطلعي استريحيلك شويا عشان تعرفي تسهري.
: طيب يا ماما...ثم استطردت... ممكن تكلمي طنط تجيب هيا وتيجي معانا ؟معندهمش حد لوحدهم .
إلهام: حاضر حبيبتي هكلمها.
أسارير السعادة قد بدت على محياي، أخذت السلم قفزات قبل بنات خالتي، وتجري البنات ورائي.

ياسمين: طايرة كدة ليه يا بنتي هههههههه.

ورد: نلحقك بس.

دخلت الغرفة وتناولت الوسادة، وبدأت اضرب بها البنتين، وتحاولان أن تصداها بلا فائدة.

ياسمين: البت دي مصيبة أنتي إيه اتهدي!!!!!.

تحاول أن تمسك بالوسادة ، وأنا بكل قوتي ومع استمتاعي بما أعمل

: هوريكو تلحقوني بس ...ها يلا دافعو!! شوفو مين الأقوى؟؟

ياسمين تجري على السرير: خلاص.. خلاص حرمت يا ميمي ثم تمددت جنب ياسمين وهي تلهث، وتنام ورد على السرير المقابل.

ورد: مريم بجد ليه قصيتي شعرك كان طويل وخالتو كانت بتعتني بيه.

: حاسة ان كدة بيليق عليا أكثر.

ياسمين: هو حلو لكن الشعر للبنت مهم أوي .. وأنا نفسي شعري يوصل لحد ركبتي وأغيظك... تمد لي لسانها وتعمل بيديها حركة المطحنه، حركة تافهة تعملها البنات ليغيظوا بعض.

: هههه ولا يهمني.

يلا يا عيال ناموا اتخمدو.... مسكت الوسادة وعاودت ضربهم.. ثم رميتها وخرجت كي أطمئن أن قطتي ستبيت الليلة في حضني.

: ألو.. إزيك حبيبتي عامله إيه لوحدك بتعملي إيه؟

يخرب عقلك!!! فيلم إيه ؟؟تاني قولها!!

دة لازم الكلب رامي قلك عليه؟؟ إيه هو بعتهولك إمتى!؟؟
آه بحسب دلوقت! آه وأنتي مش بتعرفي تحمّليه من نت!! أيوة عشان أنتي أقل من ١٨سنة.
طيب لما أشوفك... ماما هتكلم مامتك عشان تيجو عندنا ..كلمي ماما حاولي تقنعيها.
طيب حبيبتي هستناكي..
وأنا مجتليش الفكرة دي ليه قبل كدة!!؟
هههههه يلا نشوف سوى ما أنا كمان مش بعرف أحملوا.!!
الدنيا دي غريبة أوي ملخبطاني عاوزة أبص في المرايا أكتر!!
عاوزة أشوفك مريومة فيه غمامة مش بتخليني أشوفك كويس..
نظرت لنفسي كثيرا في المرآة وأنا أسألها أنت مين؟!!
يمامة مذبوحة بسكين الغدر، عندما اكتشفت موت أبيها في أحضان امرأة غير أمها..ورسالة اعتذار لأمي بأنه تزوج من غيرها لأجل الإنجاب!!
وأنا وأمي نعرف أنه كاذب ..نعم لو كان كذلك لكان طلقها أول مارزق بي !!ولكنه بقي معها لآخر لحظة..
شريط سينما من فيلم هندي يمر أمامي.. أريد تقطيعه ومحوه من حياتي ولا أستطيع ... إني كمارد في رمضان حبيس سلاسله.
تركت غرفتي ونزلت السلم، وأنا أجر ورائي جروحي وألصّمها بصمت..
إلهام: أيوة حبيبتي منمتيش ليه؟!

: مش جايلي نوم.. أصل لو نمت هجرها لليل كلمتي طنط فتحية؟
إلهام: لأ لسه خايفه تكون نايمة ..قبل منروح المول هكلمها حاضر
: طيب حبيبتي.
أحس بالإحباط، موجة تسونامي من الخنق اجتاحني، دخلت الصالة الكبيرة حيث التلفاز الكبير والصالون الفاخر..تزخر بأنواع التحف الراقية والصور الزيتية الغالية ...جلست ووضعت رجلي على المنضدة التي أمامي وفتحت التلفاز، وأقلب قنواته وأستقر على قناة لا أعرف فحواها، فقد سرحت في دنيا ثانية مع هيا ووضعنا وأبي وتلك الوضيعة التي أتت تريد بيع البيت لتأخذ نصيبها الشرعي! وتذكرت القسم، وفجأة كأن ثعبان لدغني أو شبح مخيف ترائى لي رامي !!!!! آه رامي !!
سيحاول ويحاول إلى أن يعيدها فهي تحبه وذاقت معه طعم القبلة ولمسة يد الحبيب ..بالتأكيد لم يكن يقبلها فقط وإلا ماكان ليبعث لها ذلك الفيديو!!
مرت الدقائق ثقيلة أثقلت رأسي وزادت في تعكير مزاجي.
أنقذني من هذا الجب الذي سقطت فيه صوت هيام تنادي على ياسمين.
فأغلقت التلفاز وانتفضت كأني ازيح عن كاهلي جبال الألب.
: إزيك يا خالتو... حبيبتي دول تنابله هطلع أصحيهم.
صعد ت كعادتي قفزا وفتحت الباب ومسكت الوسادة وبدأت بضربهم.

: قوموا يا كسالى ماما قالت ساعة بقالكم تلات ساعات، أمامهم أنا أدور الضرب بهن يمنة ويسرة، والبنات تتأفف.

ياسمين: أو أو إنتي إيه بس؟؟ فيه حد يصحي كدة؟!!

: كدة وأبو كدة ..... وأنا أضحك، أمكم قالتلي موّتيهم عشان ينزلوا، ثم تركتُ الوسادة ونزلت.

: خالتو صحيتهم هههههه.

هيام: تسلمي يا روح خالتو أنا جهزت خلاص.

إلهام: نشرب فنجالين القهوة وننزل عقبال ما يجهزو البنات.

تمسك إلهام الموبايل وهي ترتشف فنجان قهوتها.

ألو: أيوة حبيبتي صحيتك من النوم ... طيب يا قلبي بقلك إيه؟ إحنا متجمعين سوى عشان ليلة رأس السنة.. تجيبي يويو وتسهري وتباتي.. معانا هيام والبنات هنتبسط كلنا دلوقت رايحين المول تعالي ونرجع سوى كلنا..

وقفت جنبها كأني تلميذ ينتظر نتيجة امتحانه، أحرك أصبعي الإبهام بيديا المشبوكة طواحين هواء.

إلهام: طيب يا حبيبتي من الصبح ...نتغدى سوى طيب على راحتك ...المهم نقضي الليلة مع بعض تنورينا وتشرفينا حبيبتي بوسيلي يويو

: إيه يا ماما هييجو؟

إلهام: أيوة بكرة العصر ..بتقول صديقتها أم رامي جاية عندها الليلة!

فغرت فاهي سمعت عن قيام يوم القيامة إيه مين؟!!
إلهام: مامة رامي معاكم ثانوي علمي علوم.
سهّمت ولم أرد كأن صاعقة نزلت على رأسي، وفجأه قفزت إلى غرفتي
: أيوة يويو مين عندكم بعصبية شديدة ؟؟؟ لوحدها والا الزفت معاها ؟؟ عاوزة إيه؟ آه هو بااباه نزل اممم طيب حبيبتي بابا بعتلك هدايا رأس السنة !؟ ألف مبروك.
إحنا خارجين بكرة ..متتأخروش ماشي.
أوك حبيبتي ..باي.
وضعت الهاتف على السرير ، واضطجعت على ظهري وفردت يدي ورجلاي على الأرض، آه يويو لو كنتي خبيبتي عليا ابتسمت ابتسامة الرضا، تطرق الباب ورد: ميمي خلصنا ونازلين طنط عاوزاكي.
: أوف لو كانت يويو بنت خالتي بدل الأرشانات دول!!! أيوة أيوة جاية
ثم ذهبنا إلى المول، تسير البنتان سويا وإلهام وهيام يشتريان، وأنا أسير لوحدي أتأمل محلات النظارات والبنطلونات والأحذية الرياضية.
إلهام: إيه يا عمري دول كوتشي رجالي، ودة محل بناطيل رجالي!!الحريمي فوق عاوزة نظارة.
: لا يا ماما بتفرج.
إلهام: طيب روحي مع بنات خلتك يا روحي.

بامتعاض وتكشيرة: حاضر.
يكمل الجميع مشترياتهم، تقترح خالتوهيام العشاء على حسابها.
هيام: اختاروا المطعم اللي عاوزينه.
البنات عاوزين بيتزا سي فود وأنت مريومة.
براحتك خالتو مش بتفرق معايا.
ماما أنا وميمي نأخذ كومبو مع بعض.
تضحك هيام بتوفرولي والا إيه.
إلهام: أبدا أنت عارفة مش بتعشى.. وميمي أكلتها ضعيفة.
هيام: طيب أوك يلا ندخل نتناول الطعام ثم نعود إلى البيت.
هيام: مبسوطين يا عيال بعد عودتنا.
البنات: أيوة يا ماما.
هيام: طيب حطوا الحاجة جوة مش هنا.
إلهام: اطمني على خالد.
هيام أيوة تمسك التليفون: أيوة حبيبي عامل إيه.
معدتك كويسة !؟طيب يا قلبي أيوة مع محمود طيب يا قلبي سلملي عليه وعلى مامتو لا اله إلا الله..
تغلق وتتنهد: الحمد لله كويس بايتيين عند محمود صاحبهم جيراننا..
إلهام: الحمد لله كدا اطمنّا عليه جاي بكرة.
هيام: لا هيحتفلوا مع بعض، شباب بقى هههههه.
إلهام: ربنا يحفظهم... البنات نطوا من غير ميقولوا باي... هههه.

هيام: جيل ما يعلم بيه إلا ربنا.
طيب حبيبتي أنا طالعة أنام عدّت الواحدة ونص.
طيب حبيبتي تصبحي على خير.
تدخل أمي غرفتها بعد أن ترتب الأغراض التي اشتروها في المطبخ وتطفئ الأنوار بعد طلوع هيام السلم.
مستلقية على عرض السرير كالعاد، بكرة هتبقى سهرة صباحي مع هيا ..ياه أد إيه فرحانة ومبسوطة أنها جاية، نهضت ووقفت أمام المرآة وخلعت ملابسي واتحسس جسدي أكتاف قوية، وخصر ضامر والشعر يملأ بطني لأسفل آه ياني أرتدي التريننج.
ثم أطفئ النور وأدخل لأنام.
بعد ساعه تسمع هيام في الغرفه المجاورة صراخي تجري لغرفتي تفتح النور مسرعة.
مالك يا روحي؟
ممسكة جنبي الأيسر وبطني وبصوت متألم أجبتها: بطني يا خالتو بتتقطع ..وجمبي، تأتي البنات وراء أمّهم ..مالك يا ميمي!!
آه آه أصرخ فتسمع أمي الصراخ، تصعد السلم وهي تجري وقلبها يكاد يقفز قبلها ليصل. ميمي مالك يا روح ماما؟
أتلوى من الألم .....يا ماما ألم بطني هتتقطع.
إلهام : دي تاني مرة يا روحي.
هيام: أكيد البيريود متخافيش.
إلهام: لسة محصلش.

هيام: أيوة قبلها ...زي البنات كانوا عندي كدة واحد دلوقت قبلها .. الألم ده حبة باسكوبان، وهتبقى كويسة إن شاء الله.

إلهام: إن شاء الله وهي تحتضنني.

ورد: حبيبتي علبة الباسكوبان في باب التلاجة لو سمحتي.

تقفز ياسمين خليكي ورد: أنا هجيبها.

: آه ألم يا ماما جامد.

إلهام: عايزة نروح المشفى معنديش مانع يلا.

: لأ مستشفى إيه مش مستاهلة.

ياسمين: خذي حبيبتي بالشفا.

ناولتني وشربتها ....

ها يا حبيبتي خف الألم شوية.

أحسن حبيبتي.

طيب هبقى هنا جمبك لحد متنامي... روحوا أنتو يابنات ناموا وارتاحوا وأنا سهرانا بالليل.

هيام: مش عايزة حاجة؟ لو في أي شي مش هنام؟؟ هسيبكم عشان ميمي تاخذ راحتها.

إلهام: طيب يا حبيبتي متحرمش منك.

هيام: ولا منك.

تدخل ماما السرير معي وتحتضنني إلى أن أغط في النوم، فتطفئ الأنوار وتنزل لغرفتها.

إلهام: تنادي من أسفل السلم بنات اصحوا الساعة اتنين ونص.

هيام: والله مش هيصحوا لو بالطبل البلدي هههههه.
تعبوا من اللف امبارح وكمان فضلوا صاحيين الفجر مش جايلهم نوم .... إلا لما سمعناكي نزلتي.
إطمنا أن ميمي بخير.
إلهام: حبيبتي ربنا يخلينا لبعض.
هيام: هطلع أناديهم.
يرن جرس الهاتف، أفقت من النوم متثاقلة ألو....
أيوة يويو حبيبتي ..صباح الفل ..و أتثائب لسه صاحبة من النوم، أسمع طرق على الباب لحظه حبيبتي هيا، وأرد على الباب أيوة تفتح خالتو هيام الباب صباح الفل حبيبتي عامله إيه دلوقت..!!
: صباح الفل خالتو الحمد لله أحسن.
هيام: طيب يا روحي يلا انزلي عشان نفطر.
: طيب يا خالتو.
تغلق هيام الباب وتذهب لتصحّي بناتها وعدت للهاتف: أيوة حبي جايه إمتى؟
طيب أكون استحميت وجهزت أستنى أحلى قمر، ضحكتها الرقيقة هتوحشيني حبيبتي.
نزلت بعد أخذي حمام دافئ لملم أوصالي المتعثرة بعد ليلة الأمس.
:صباح الخير أو نقول ظهر الخير.
إلهام: إزيك حبيبة ماما، تقبلني وتجلسني جنبها يلا ياقلبي افطري كويس... هناكل الساعه سبعة كلنا طنط جايه المغرب ..

قفزت كلديغ عقرب المغرب!!؟ ليه هيا قالت العصر !!!!
تستطرد أمي والله فتحية قالتلي جايين على المغرب يا حبيبتي العصر أذّن والمغرب كمان ساعة ونص هههههه يضحك الجميع...
هيام: أنتو نمتوا لحد العصر حبايبي.
يلا بينا نوضب الأكل والبنات عليهم السفرة.
تذهب إلهام وهيام المطبخ.
تكمل البنات توضيب السفرة.
هيام: مدام خلصتوا روحوا العبوا أي حاجة، سلّوا وقتكم.
: تعالوا نلعب كورة عندي كورة فوق.
ياسمين: طائرة والا باسكت.
: باسكت إيه وطائرة إيه ؟؟! فوت بول يا بنتي.
ياسمين: لأ حبيبتي دي صعبة هو إحنا ولاد.
: يعني الولاد بس اللي بيلعبوها ده فيه فرق بنات بيلعبوا أحسن من الولاد.
تضحك هيام حبيبتي مش عايزه تطلع لهم عضلات خليهم بسكوتات أحسن يضحك الجميع....
لا أعرف لماذا قترحت لعب الكورة؟ ولا أعرف وقتها لماذا انكست رأسي ووضعت يدي بجيب البنطلون وبدأت أركل الأرض برجلي؟
تنقذ أمي الموقف وتقول أقولكم عندي شوية ورد جميل طالع في الجنينة.

ياريت تقطفوا منه شوية نحطهم في الفازات، خذوا المقص أهو، تفتح الدرج وتخرج مقص الزرع.

ياسمين: أوك يا طنط.

خرجنا إلى الحديقة، ورد وياسمين يقطفن الأزهار وأنا أقف شابكة يديي شاخصة ببصري في السماء حيث لون غروب الشمس كلون ذبيح ساح دمه وتبعثرت أ شلائه ...وتلك الغيمات تريد تغطيته شفقة عليه ..انظر شاردة ساهمة، وقد أنهت البنات مهمتهم.

أنا واقفة كتمثال من صوان بلا حراك.. وفجأة كأن زلزال حرك هذاالجماد الأصم أنتفضت أنه صوت مزمار سيارة طنط فتحية قفزت إلى البوابة وفتحتها.

أهلا أهلا سلمت على هيا واحتضنتها وقبلتها.

وسلمت على فتحية وقبلتها.

أهلا يا طنط نورتونا حبيبتي.

فتحية: أهلا أهلاًأهلا روحي.

وعلى الباب كانت أمي وخالتي هيام في استقبال فتحية.

يدخل الجميع لحظات سعادة لاتوصف.

يشرب الجميع العصير.. وفتحت الأغاني ترقص البنات، وتعد أمي السفرة، وتنادي على البنات؛ لمساعدتها في نقل الأطباق ما لذّ وطاب الجميع في سعادة غامرة، أغاني مبهجة، تنتهي من إعداد المائدة.

إلهام: اتفضلو يا جماعة.

ينهي الجميع الطعام وترفع المائدة وأنا أحاول أن أجعل هيا سعيدة بمراقصتها تارة وبمناولتها الطعام وإطلاق النكات والضحكات.

إلهام: يا ولاد عشر دقائق، وندخل سنة جديدة يارب تكون سعيدة علينا كلنا هنطفي النور ونتمنى أمنيات.

الكل هيييييييه.

وسط التصفيق والهتاف اقتربت من هيا وهمست في أذنها: خليكي جنبي.. أول حضن يكون ليكي تضحك هيا وتهز رأسها بالموافقة.

سنه جديدة أخيرة.....

تطفئ أمي النور على دقات الساعة الثانية عشر فطبعت قبلة على شفاه هيا واحتضنها بشغف.

وتضئ إلهام النور والكل يقفز مهللا فرحا متمنين سنة سعيدة.. وأنا لا أستمع إلا لدقات قلبي المتسارعة، وشغفي الجارف تجاه هيا وبقيت ممسكة بيدها وهي ذاهبة لتقبيل والدتها.

إلهام: يلا يا بنات نجيب الفاكهة والحلويات والباقي

فتحية: نحطهم فين كدة مفيش مكان ويضحك الجميع....

إلهام وهي ممسكة بطبق الحلويات: أبدا ده بد فيه وفيه هههه...

هيام: الله سهرة حلوة بجد كل سنة وأنتم طيبين ومتجمعين بالخير يارب.

فتحية: آمين أنا كدة استويت عدت الواحدة والنصف.

إلهام: حبيبتي جهزتلك الغرفة اللي تحت عشان رجليكي مش

هتعرفي تطلعي.
قلت مسرعة خوفا من أن تأخذ يويو مني ..وانا يا طنط هخطف يويو وتبات معايا.
فتحية: طيب حبايبي براحتكم.
إلهام: اتفضلي معايا يا روحي أوريك الغرفة تغيري وترتاحي.
هيام: يلا يا بنات نوضب الحاجة، ونطلع إحنا كمان.
إلهام: توضبي إيه سيبي الصبح إن شاء الله، خلّي البنات يرتاحوا
هيام: طيب تصبحي على خير.
تأخذ البنتين، ونطلع السلم، قبلت أمي وطلعت مع قطتي وأنا في قمة السعادة.
: تصبحي على خير يا لولو.
إلهام: تصبحي على خير حبيبتي باي يويو.
دخلنا الغرفة، وغلقت الباب وراءئي، احتضنت هيا: أنا مش مصدقة هنبات سوى الليلة دي.
هيا: ولا أنا.
لم أتوانى أو أتأخر لحظة في اغتنام كل دقيقة بل كل لحظة هيا بها معي، كنت كفراشة تقترب من النار رغم معرفتها أنها ستحترق.
تعالي فرجينا الفيلم.
هيا يلا.
تفتح هيا الموبايل ونظرنا على شاشته ونحن مستلقيتان على وجهينا . واضعة يدي على ظهر هيا.

: يخرب عقلك يجنن .

هيا بصوت ملئ بالشغف اااااه.

ثم بدأت يدي بالتحرك على ضهر هيا ومؤخرتها كثعبان يتلوى ثم وضعت رجلي فوق رجلها، وبدأت أداعبها وهيا مستسلمة ناعمة ثم بدأت في تقبيلها كنت أطبق ما أراه على الشاشة..

هيا: يا بت خلينا نكمل ده الآخر يجنن.

: مش قادرة.

تقف هيا خليني أغير، تخلع هيا البلوفر، وقفت أمامها تعالي نعمل زي الفيلم.

يلا نخلع.

يلا.

خلعنا الملابس وتنام هيا على عرض السرير وتكون عارية تماما نمت فوقها، وصنعت كما أرى في الفيديو !

وهيا تتأوه من اللذة إلى أن تبلغ نشوتها، ثم استلقيت عليها كنت كنمر جريح لايعرف ماذا يفعل، وأنا انظر للشاشة رميت الهاتف من يدي والعرق يتساقط كأمطار خط الاستواء احتضنتها بقوة: أحبك أوي هيا... أموت فيكي.

شوفتي إزاي إحنا مبسوطين مع بعض..!!محدش هيعرف سرنا !!!!!

هيا: أنا مبسوطة أوي لكن خلي بالك حد يدخل علينا.

انتبهت للباب فقفزت من السرير وأغلقت الباب بالمفتاح.

وعدت للسرير؛ كي أتغطى مع هيا.

هيا: خلينا نلبس الجو ساقعة.

: نلبس إيه تعالي في حضني أدفيكي يا قلبي.

احتضنتها وذبنا في عناق حار.

هيا: مريم جسمك فيه شعر بحس معاكي بحجات حلوة أوي إوعي تشيليه.

: مش هشيلو يا قلبي مدام عاجبك.

ثم غطينا في نوم عميق لا يقطعه إلا صوت موبايل هيا.

فتحت عيني وأمسكت الهاتف.

: هيا اصحي ده باباكي.

تقفز هيا.. ألو أيوة حبيبي كل سنة وحضرتك طيب، أيوة.. يمكن نايمة لسه ..!هنزل أشوفها.

تنهض من السرير.

البسي بقلك قلتها بهمس، وأنا أرتدي ثيابي مسرعة.

هاتي ...أنزّلو أنا... البسي براحتك.

أخذت من هيا الهاتف ثم نزلت مسرعة ...صباح الخير.

أعطيت الهاتف لطنط تحية: عمو.

فتحية: ألو لسه صاحية، والفون في الشنطة.

كل سنه وأنت طيب... تنزل هيا وتسلم على إلهام.

إلهام: صباح الورد نمتي كويس.

أيوة يا طنط الحمد لله.

فتحية أيوة النت هنا ضعيف.

هيام: ترد على الفون: أيوة يا حبيبي إزيك عامل إيه يا قلبي؟ أيوة تقريبا الشبكة كانت ساقطة أنت كويس؟!!! لأ البنات نايمين هصحيهم يفطروا .. إيه؟

تمام ..وبناتها !؟؟؟طيب مقلتلهمش إحنا هنا ؟؟طيب طيب يلا حبيبي جايه ...تغلق الفون.

إلهام: فيه إيه ؟؟

هيام بامتعاض: أمل أخت عبد الله جايه كلمتني ومحصلتنيش.. كلمت خالد ومقلهاش إحنا برة قالها أهلا بيكم ويقلي رايح البيت. والنبي ميمي صحيلي البنات.

حاضر يا طنط طلعت السلم مسرعة.

إلهام: طيب كلميها وقليلها إنك هنا فيه كدة تيجي من غير معاد.

هيام: هيه متعودة على كدة.

تنزل البنات صباح الخير.

إلهام: صباح الخير، هيام: حبيباتي يلا البسوا عمتكم جاية.

تطلع البنات مع ابتسامة وفرحة لم استطع إخفائها.

إلهام كنا هنخرج نتغدى برة حرام البنات سيبهم هنا.

هيام: مينفعش حبيبتي عمتهم حبيبتي.

إلهام طيب.

تذهب هيام مع البنات وودعناهم للباب ..وعدنا.

إلهام /خلاص يا بنات إحنا إن شاء الله ساعة كدة نخرج نتغدى ونقضي وقت ظريف شوفو عايزين نعمل إيه تلعبوا والا تذاكروا

براحتكم!!

تضحك فتحية: يذاكروا مش ممكن!!!

: نذاكر إيه يا ماما نلعب كوتشينه ...أو اقلك حاجة تعالي نطلع أوضب حاجتي.. اللي مش عاوزاه نزلوا نوديه لجمعية رسالة...

إلهام: فكرة كويسة وأنا وطنط نشرب قهوتنا ونتفرج على مسلسلات أو فيلم يلا اتفضلو ا.

دخلنا الغرفة واحتضنت هيا وقبلتها.

ثم أغلقت الباب بالمفتاح وفتحت دولابي؛ لأخرج جميع مافيه من ملابسي ووضعتهاعلى الأرض.

هيا: بتعملي إيه يا مجنونة؟

اشش يلا كدة لو طلعوا إحنا بنشتغل.

هاتي الموبايل طلعي الفيديو خلينا نتبسط.

تضحك هيا ضحكة خبيثة، وتفتح الهاتف جلست على السرير: تعالي في حضني يا قلبي.

تأتي هيا وبدأت بتحسس جسد هيا وتقبيلها، قمنا بخلع ملابسنا بالظبط كما نشاهد في الفيديو.

ينتهي الفيديو، فترمي هيا الهاتف على السرير، ومارسنا كل ما يوصلنا إلى النشوة فأكون دوما الرجل بكل ما يحتويه من شغف وهيا منقادة لي مستمتعة بما أفعله.

: آه حلو أوي اللي بيحصل بينا يا حبيبتي .. شوفتي بتفرغي شحنتك معايا من غير خوف ولا قلق.

هيا: أيوة لكن حسيت إن فيه حاجة فيكي واقفة كانت بتحك فيا وبتجنني حلوة أوي ميمي.
أنا كمان بحس إنها بتكبر لما بكون معاكي، أنا سعيدة أوي ومبسوطة، ومش عايزة أقوم من فوقك.
تضحك هيا وأنا أقبل صدرها .
كفايه يا بت بقالنا ساعة خلينا نوضب الحاجة وننزل ليستعوقونا.
: حاضر حبيبتي لكن بتوحشيني مش قادرة أبعد عنك.
تضحك هيا وتنهض وترتدي ثيابها.
يلا نفتح الباب هاخرج أجيب أكياس ..كدة وكدة عقبال متطلعي الحاجات اللي مش عايزاها.
وأنا أرتدي ملابسي مع قبله في الهواء لهيا يلا يا حبي...
هيا: طنط عاوزين أكياس نحط فيها الحاجة.
إلهام: أوك حبيبتي خلصتوا.
هيا: أيوة يا طنط.
طيب ياروحي يلا عشان نجهز ونمشي.
هيا: حاضر يا طنط.
تدخل الغرفة، وهي تمسك الأكياس وترقص بها.
احتضنتها وقبلتهاا وتلمست بين رجليها.
هيا: بابتسامة عريضة كفاية يا بنتي أنتي مبتشبعيش.
أنا بخباثة غمزت لها وأنتي.. شبعتي!!!!!
هيا تضحك... على فكرة طنط عاوزانا عشان خلاص هنخرج..

: طيب إيدك معايا نحط دول في الأكياس ودول في الدولاب.
انتهينا من وضع الملابس في الأكياس فتنهت أن هيا ستغادرني فمسكت يدها كطفل يتعلق بأمه وقت فطامه.. هتوحشيني أوي أوي هنام من غيرك الليلة دي إزاي!!!
هيا تضحك وأنتي كمان هتوحشيني، احتضنتها و يقطع صوت أمي هذا الامتزاج والشبق الجسدي.
انتهت وفتحت الباب: أيوة يا ماما نازلين أهو.
نزلنا كل واحدة منا محملة بكيس.
فتحية: حبايبي ربنا يسعدكم.
ذهبنا لتناول الطعام في المطعم، ثم ذهبت هباء لبيتها، وعدت خاوية الوفاض كأني ضيعت نصفي.
إلهام: ساكته ليه وحزينه حبيبتي؟
: أبدا يا ماما بفكر في المدرسة بكرة .
: طيب يا روحي.
كان ذهني كغزال شارد تطارده مجموعة من الضباع والسباع ولا يستطيع الخلاص..... وصلنا البيت وحييت أمي، وذهبت لغرفتي أكلم هيا، ولكن تليفونها ظل مشغولا.!! كنت أحس أن الأرض تتزلزل من تحت قدمي ...هو إذا يكلمها لن تستطيع البعد عنه !!هو يملك قلبها وروحها... ثم كلمتها ثانية الهاتف مغلق ..شبّت بي نار لايعلمها إلا الله تعالي أيتها النجوم هدهديني عل عيني تغمض للحظة، ياجنيات العشق.... هاتوا عصيّكم، وألقوا على روحي

تعويذة لعلها تسكن وتستريح.. كيف الوصول إليها لأعرف ماذا حدث؟؟؟

ليل الشوق مزدهرا، وأنا أنتظر انبلاج يوم جديد، لبست ملابسي ونزلت مسرعة.

إلهام: إيه يا قلبي أنتي لابسه بدري لسة ستة ونص.

: معلش يا ماما قلقت ....قلت ألبس وأنزل.

كانت هالات السهر السوداء تفضحني.

إلهام: أنتي منمتيش كويس حبيبتي.

: شوية كوابيس يا ماما.

أيها المارد الهائج كبحر لجي داخلي اصمت دعني لحظة أتعقل وأعرف ماحصل .؟

كنت أحسب الثواني على وصول هيا، وها هي تأتي بابتسامة كنور الصباح ...هرعت ناحيتها كنتي بتكلمي مين وبعدها قفلت التلفون قلتها وأنا ممسكة بيدها بقوة.

هيا: آه إيدي.. مالك مكنتش بكلم حد يمكن الشبكة ساقطة.

نظرت بعينيها افتش عن الحقيقة ...وجدتها تشيح ببصرها بعيدا وتحاول الخلاص من أسئلتي.

أيقنت أنها كانت تكلمه... وكل جهودي باءت بالفشل.

دخلنا الفصل وانتهت الحصة فإذا بالعاملة تناديني مس تهاني تنتظرني في غرفة الموسيقى.

: تعالي معايا هيا.

هيا: لا أنا هروح أجيب أكل.... جعانة.

: طيب أروح معاكي.

هيا: لأ خليكي روحي شوفي مس تهاني عاوزة إيه.

وأنا هستناكي في الفصل.

أحسست بالأمان هي ستنتظرني في الفصل إذا ليس معه ذهبت لمس تهاني مهرولة.

: هاي مس حضرتك عاوزاني!!

كانت تجلس منتصبة القامة تضع رجلا على أخرى وساقاها جميلتان ممشوقتان والحذاء ذو الكعب زاد من أناقتها.

مس: تعالي حبيبتي.

أجلستني أمامها وبدأت نظراتها الخارقة تخترق وتحرق كل جزء بجسدي ....وباغتتني بغنج ودلال.

أنتي بتحبي الموسيقى؟

: أيوة يا مس.

مس: مش بتحبي تتعلمي على أي آله؟؟

: أنا بتمنى أتعلم بيانو.

مس: طيب يا حبيبتي ليه مش بتيجي أعلمك!!؟

: يمس مفيش وقت فراغ... أول متخلص الحصص بنروح.

مس: طيب أنا عندي في البيت بيانو ...تعالي أديكي دروس ...وبلاش مش هاخد منك حاجة.

: الحكاية مش حكاية فلوس.

أقول لماما ولو وافقت.

مس: طيب خلي ماما تجيبك للبيت عندي ...خذي العنوان وشرفيني.؟

لا أعرف وقتها لم أكن مرتاحة لهذا العرض!!

ولكن عندما ذكرت وجود ماما معانا اطمأننت وسألتها

: طيب حضرتك ليه أنا بالذات عاوزة تعلميني؟!

مس: مريم حبيبتي أنا لية نظرة في الناس اعتدلت في جلستها وحسيت إنك هتكوني معايا وهنكون أحلى دويتو... ابتسمت فاشرقت حبات اللؤلؤ من ثغرها بنور يتراقص فيخطف القلب ...لا أعرف ما هذا الإحساس الذي يعتريني تمنيت أن أذهب لبيتها أو حتى إلى الجحيم معها ..!! إنها أيقونة جميلة.

مس تهاني: طيب مريم ... ده عنوان البيت ورقم الفون أنا في انتظارك.

اخذت الورقة من يدها فأحاطت يدي بكلتا يديها البضتين الناعمتين .

أخذت الورقة وشكرتها وخرجت وكأنها مسا أصابني... أسير بذهول. تُرى ماذا تريد مني ولماذا أنا منقادة لنظرات عينها الشبيهة بالليزر تخترق قلبي وجوارحي وأنا غارقة في تيه بالعلم مداه... تسمرت في مكاني.... صاعقة نزلت فوق رأسي هيا تكلم رامي .!!هرول قلبي مسرعا إليهما فبادرتني... رامي كان بيسألني لو عايزين نبعث حاجة لبابا فيه واحد قريبهم نازل بعد بكرة.

صامتة أنا كأبي الهول أقف أمامهما والارتباك بادئ عليهما ...مشت هيا ومشيت وراءها دون أن انطق دخلت الفصل، وأنا وجمة شاردة لم أترجم مابداخلي من حنق وألم وغضب ....كنت كقنبلة موقوتة لم يشد فتيلها..

هيا: هو جه جانبي وأنا بشتري وقالي إن لو عايز....لم أدعها تكمل كلامها رفعت يدي ملوحة لها بالصمت وتظاهرت أن الأمر لا يعنيني.. وبدأت أستخرج كتبي من حقيبتي وهيا تراقبني عن كثب.

هيا : طيب كانت عايزة إيه منك مس تهاني.

دخل الأستاذ، وبدأ الدرس، ولم أرد على سؤالها.

أكملنا اليوم وكنت أتجاهل هيا... عند الخروج متعللة بالحديث مع البنات ومع بعض من أصدقائي، وجدت أمي على باب المدرسة فتحت الباب، وصعدت دون أن التفت لها وانطلقت أمي للبيت كان الجو باردا.

لم أعرف هل كانت تلك التي نزلت على ملابسي قطرات مطري أنا أم قطرات المطر من السماء.

جلست أنظر ا إلىلى الشارع كأني عاشقة تسرح في عيني حبيبها.

إلهام..مالك حبيبتي؟؟ حاسه إنك مش مبسوطة.

وأنا أتظاهر بالسعادة وأخفي أمطاري بعيدا عن أمي: أبدا يا لولو هو بس الشتا.

إلهام: سقعانه يا قلبي.

لأ حبيبتي حاسه إني جعانة نوم ...تظاهرت بمسح عيوني حاسه

إني مش قادرة أفتح عينيه.
إلهام: طيب يا عمري اتغدي ونامي.
: لا يا لولو أنام الأول.. ولما أصحى أتغدى.
وصلنا البيت وتناولت السلم كلص يريد الهروب من أقرب منفذ خروج ..لم أكن أريد التحدث عن أي شئ.. في داخلي ألم لو وُزع على العالم لكفاه.
رميت نفسي على سريري أطلب منه احتوائي وامتصاص ما بي من الإحباط والحزن ...لا أعرف ما هو هذا الإحساس ولا لماذا!!!؟ فقط أريد أن أكون لوحدي مع شئ لا يتكلم ولا يفهم!!
رن جرس هاتفي عدة مرات ولم أرد... ترى هل أنا بذلك أعاقبها أم أعاقب نفسي ... آه يا نفسي الضائعة كم أتمنى أن أجدك!!
رن الهاتف ثانية.. هل أكلمها واقتنع بكذبها أم أتركها وأبعد!؟؟ وكيف تبعد الروح عن الجسد إلا بالموت ....
يدي التي تعشق جسدها استسلمت وهرولت مسرعة تلتقط الهاتف وتضعه على أذني؛ لأستمتع بأروع نغمة خلقها ربي.
: أيوة يويو لسة سامعاه ...لا تعبانة شوية ..الله يسلمك.
هييجي لوحدوه يأخذ الأغراض.. طيب حبيبتي.
خلي بالك على نفسك.. انشرحت أساريري، هيا لم تكذب علي ولم تخن عهدنا.. يا لحماقتي كم أنا غبية، لماذا توهمت ذلك!!!!؟؟؟؟ كانت كلمات هيا طوق نجاة لغريق شارف على الهلاك. تمسكت بكلماتها وعدت إلى حالتي الأولى.

أحس الآن بالجوع فالأدخل لأتحمم ثم انزل لأتغدى، أعرف أن أمي لن تأكل بدوني.

: هاي لولو كلتي يا قلبي!!؟

إلهام: لأ مريومة مستنية لما تصحي.

: طيب يلا يا قلبي تعرفي.

ونحن نتناول الطعام تذكرت درس الموسيقى،

: على فكرة يا لولو مدرسة الموسيقى هتديني درس في البيانو لو وافقتي.... وقالت هاتي ماما معاكي في الدرس ..ادتني التليفون والعنوان لو تحبي تكلميها.

إلهام: أوك مدام عايزة تتعلمي طيب يا قلبي.

تكلم ماما مس تهاني وتتفق على يوم الخميس العصر....

ذهبنا في الموعد المحدد فيلا في المعادي رائعة الطراز المعماري.. يحرسها بواب وظابط أمن عرفنا له أنفسنا وكلم المس بالدكتافون فتحت البوابة ودخلنا إلى الجراج حيث صفت أمي سيارتها وراء البورش وكانت مس تهاني في الانتظار.

سلمنا عليها وطلبت لنا واجب الضيافة.. إنها متحدثة لبقة ومضيافة كريمة.. البيت تحفة من الداخل كل شئ فيه يدل على أروستقراطية ورقي ناس باشوات زمان ..وصدق حدسي فتكلمت عن الماضي وعن أهلها ...هي فعلا سليلة مجد ولّى، وبقيت آثاره واضحة على تلك الأيقونة الجميلة، اتفقت أمي أن تأتي بي كل خميس ولإصرار المس وافقت أن تعيدني للبيت هي بعد الحصة؛ كي

لا تعود أمي ثانية، كنت متشوقه لتعلم العزف فأرتني البيانو الكبير الذي يتوسط الصالة كأني في فيلم أبيض وأسود.
: اجلسي أمامه واعزفي كانت هذه كلماتها.
لكن أنا مش بعرف أعزف.
مس تهاني: عارفه إنك متعرفيش عايزة أشوف حاجة في العزف.
إلهام: اعملي ..اعملي زي ما المس بتقول يا مريوم.
وضعت أصابعي على أزرار البيانو فانطلقت صفارات النشاز تنذر بقدوم طائرات العدو...
ضحكت أمي إيه ده مريومة.
مس تهاني: ولا يهمك بكرة الصوابع دي هتطلع ترانيم تسحر...
كنت مندهشة منها هل صحيح سوف أستطيع العزف؟؟
ونحن في الطريق إلى البيت كانت كلمات الإعجاب والثناء من أمي كسيل المطر النازل علي زجاج السيارة، ولكن للأسف لم تكن لدي تلك المساحات لأمحوه ...قاطعت هذا السيل الجارف ..ماما إيه رأيك نروح عند طنط.
إلهام : من غير ميعاد أظن مش ذوق أبدا.
: كلميها دلوقت قوليلها إحنا جايين.
ميصحش حبيبتي خليها يوم تاني.
'أف أسندت رأسي على المقعد طيب هتعمل إيه طول الوقت ده.
إلهام: الجو برد وإحنا بقينا المغرب حبيبتي.
أقولك نكلم هيام والبنات.

: أوف يا ماما لالا بلاش كدة أحسن.
وصلنا البيت حاولت الاتصال بها مشغولة كتبت لها عالواتس والفيس لاترد لكنها أون لاين!!!
جن جنوني ما هذا الذي يحدث، لماذا لاترد علي؟
رحت أذرع الغرفة جيئة وذهابا، وأنا أفكر وفجأة نزلت أكلمها من الهاتف الأرضي.
: ألو أهلا ...يا طنط هيا عندك بكلمها مش بترد.
طيب يا طنط.
انتظرت لحظات طويلة !! إلى أن جائني ذلك الصوت الذي ينساب ماءا زلالا يطفئ نار قلبي.
ايه يا بنتي مش بتردي عليا ليه.
نايمه ازاي والفون مشغول.
..اتصلت بيكي أكتر من مرة!
عالعموم حصل خير... هتيجو ا إمتى عايزين نذاكر؟!!
طيب طيب.. صحصحي وكلميني.
هل أكذب أذني والهاتف أم أكذبها ؟؟صوتها يدل على أنها كانت نائمة ...رجعت إلى غرفتي فتحت كتابي لأبدأ مراجعات نصف العام مرت اكثر من ساعتين، ولم تتصل هيا مسكت الهاتف: ألو أيوة حبيبتي متصلتيش ليه؟
أنا بذاكر، وبكرة عندي درس موسيقى إيه رأيك أقول للمس وتاخذي درس معايا ؟

طيب براحتك رايحين فين؟؟
بجد وأنتي وافقتي تروحي بالسهولة دي !؟؟
دارت الدنيا بي وزلزلت زلزالها لم استطع إكمال كلماتي ..رميت الهاتف وهي تتحدث وتبرر سبب موافقتها في قبول عزومة والدة رامي في بيتهم.
جسمي كريشه في مهب ريح لا تعرف متى ستصل الأرض... لأ مريم لأ اثبتي وفكري جيدا.
هي مجرد عزومة ولو هناك أي شئ ما أخبرتني، إنها صادقة لاشئ بينهما.... قفزت كمن رأى مجموعة من الأشباح يتراقصون أمامه : الآن لايوجد شئ ولكن غدا !!غدا..؟ آه ياربي لماذا وافقت يا هيا لماذا؟؟؟
في دوامات العشق تلهو بنا الأفكار وتأخذنا سبايا عندها نلوك الوجد ونجتر الألم ...وها أنا اليوم أسير في درب الشوك حافية لم أعمل حسابا لهذا اليوم.....
وفي الصباح.....
كنت كغريق يتمنى لو يجد قشه يتسند عليها لتنقذه.
كنت أبحث عن هيا لأطمئن أن طائر الشوق مازال في عشي لم يغادره... هاهي الشمس تشرق في أفقي، وتتراقص خيوطها الذهبية كسلاسل ذهب مثل شعيرات حبيبتي.
إنها في الفصل مع صديقاتي ..وضعت حقيبتها تنتظر قدومي.... لا تتخيلوا تلك اللحظات، تخيلت نفسي أحمس وهو راكب عربته

الحربية عائدا من نصر في معركة حامية الوطيس.
: هاي بنات إزيكم تقدمت لهيا وقبلتها وسلمت على البنات، لم أحس بقبلة أي واحدة منهن فطعم قبلة هيا تعطيني روحا وتهبني حياة.
: هيا تعالي نخرج وأنا ممسكة بيدها.
لا مريومة مش عاوزة خلينا هنا أحسن.
نزلت عند رغبتها وبقينا إلى أن رن الجرس، لمحت بطرف عيني شبحا أحال حياتي إلى جحيم وكان السبب في كل ما أنا فيه، والسبب في التعجيل بإنهاء تلك القصة الباهتة الألوان المسماة حياتي.
خرجنا وأنا كطفل متمسك بيد أمه لا تريد مفارقتها.
رامي: هيا ممكن كلمة لو سمحتي.
نظرت لهيا وتفاح الشام يعتلي وجنتيها وهي منكسة رأسها ... أيوة رامي .. إحنا جايين بكرة عندكم قالتها بصوت كمان يترنم، وأنا واقفة كتمثال من تماثيل روما انظر بعيني فقط
رامي: أوك هيا إحنا في انتظارك.
وتركنا ومشى بعيدا تودعه عيني بنظرة لو كانت إشعاع لاخترق جسده وأرداه صريعا في الحال.
لم تتفوه هيا بكلمة بل قادتني واشترت لي ببسي وأتت و أنا واقفة وأذني لاتسمع إلا حسيسا لا يفهم، اخذت العلبة منها دون أي تعبير.

هيا: مالك مريومة فيك حاجة.

كيف استطعت سماع صوتها من بين كل هذا الضجيج الذي برأسي!!؟

: ابدا حبيبتي كنت بفكر يعني هتكونوا سوى بكرة ويمكن يحصل حاجة قاطعتني أبدا دي مجرد زيارة عائلية، مفيش أي حاجة هتحصل صدقيني وكوني مطمنة

حاولت أن اصدق... وحاولت اطمئن نفسي... انتهى اليوم وكان موعدي مع مس تهاني أخذتني ماما إلى فيلتها، وتركتني بعدما دخلت واطمأنت لوجود المس، بعد مكالمتها.

هاي مس

ردت علي بغنج ونظرة فيها من الشئ الكثير.

: تشربي إيه؟

: ولا حاجة شكرا.

: لأ ميصحش هتشربي معايا أنا هجيبو عقبال ما تسترخي وترتاحي من المشوار.

أومأت لها برأيي وجلست في الصالون... إنه تحفة فنية.

فيه من التحف مايفوق ما يوجد في قصر المنتزه... صور أجدادها الباشوات وسيدة أروستقراطية حسب اعتقادي جدتها... إنها مرسومة بيد فنان.

هذا الشمعدان الثلاثي الموضوع فوق الموقد والأطباق الرائعة.

تجولت في الصالة حيث الصالون الإبيسون الذي تتكلم أمي عنه...

وهذان الفيلان اللذان يتقدمان الصالة .!!
كل شئ ينم عن ذوق وثراء وأصالة.
أتت ومعها الخادم يحمل كأسين من العصير...كؤوس من طراز خاص كريستال لم أرى مثلهما ...على صينية من الفضة المنقوشة قدمت لي كأس وأخذت الثاني ...بدأت بشرب العصير له طعم رائع هو مزيج من أنواع من الفاكهة.. كلما رشفت رشفة تخيلت نوع فاكهة ثم الرشفة الثانية تمحو الأولى وتطبع في فمي طعما جديدا ومذاقا مختلفا.....
على الرغم من أننا نشتري أرقى أنواع العصائر، إلا أن هذا العصير لا شئ يضاهيه..
مس: /إيه عجبك العصير؟
: أيوة يا مس ده طعمه تحفة.
تضحك.... ضحكتها كعصفور كناري يغرد حيث شعاع الشمس، ينعكس عليه؛ لأرى عينين عسليتين فيهما سحر الكهانة.
مس: ولسه تأثيرها هيبان ده كأس الهنا بتاعي بعملوا بأيدي بس للناس اللي بحبهم.
أحسست بحرارة تسري في جسدي ...وبدأت حبات العرق تغزو جبيني فأحاربها باصابعي الطويلة النحيفة.
مس: إيه حرّانة، قالتها بدلال وغنج يسلب الألباب.
: أيوة شوية أجبتها، وأنا أتفحص هذه القطعة الفنية الجالسة، تضع ساقيها المرمريتين على بعض كأنها ملكة متوجة تأمر

والشعب يطيع.

مس: تعالي أعلمك البيانو... جبتي ورق نوته!؟

: أيوة....كنت أرد عليها وأنا مبهورة بكل شئ، وحرارة جسمي آخذة بالزيادة كأنني سفط ماء في حمام تركي يوقد تحته النار فيغلي ... سارت أمامي، وتبعتها بخطوات متعرجة لا أكاد أعرف وجهتي رغم أني أسير خلفها.

دخلنا إلى الصالة الكبيرة حيث البيانو.. وحرارتي تزداد.. جلست واجلستني جنبها وبدأت تكتب في النوتة ...وفي الحقيقة لم أعرف ماذا كتبت.

مسكت أصابعي وبدأت بالعزف... كل لمسة كانت تزيد من حرارتي وتسارع في ضربات قلبي، باغتتني بسؤال.

مس: علاقتك مع هيا لحد فين؟

تلعثمت وسط هذا الفيض من الأحاسيس، تحتضنني وعطرها الأخّاذ يملأ رئتي، وجسمها الأبيض يحيط بظهري، وتلك الأنفاس المتلاحقة لم تدع لي وقتا للتفكير.

: بحبها قوي بنت كويسة.

مس: نمتي معاها؟

كان وقعها كصاعقة نزلت علي فالجمتني.

: بسألك متخافيش !؟؟

قالتها ويدها بين فخذي، لم أستطع الفرار كعصفور دوري وقع في شباك صياد محترف.

طرقت رأسي وأومأت.

مس: لكنها مش بتعرف تخليكي مبسوطة الحاجات دي عايزة خبرة وفن وذوق وكمان سرية كاملة..

لم أعرف ماذا أجيب؟؟ لقد كان ذهني مشوش وفقط أردت اخراج تلك الشحنة بأي ثمن ولكني قاومت.. نعم قاومت!! فحبي لهيا أكبر انتفضت واقفة.

مس: مالك وقفتي ليه!؟؟ قلت حاجه زعلتك.

: لا يا مس أنا جاية هنا عشان درس.

مس: أيوة حبيبتي عشان درس، وأنا إديتك أول مبادئ العزف على البيانو... استرخي شوية وخليكي ريلاكس....

لم أعرف ماذا حدث بعدها كنت معها وتهت في عالم غريب ساعة أو أكثر، وانتبهت أني أجلس في الصالون !!!! وآخر عهدي كنت ألعب على البيانو

مس: هاه عاملة إيه ؟؟مالك مريم دختي؟

: شويه يا مس.

مس: طيب حبيبتي إيه رأيك نأخذ الأحد حصة تانية.؟خليها حد وخميس عشان عاوزاكي تعزفي في حفل التخرج ...لسه مكلمة ماما ومتفقة معاها.

وأنا اعتدل في جلستي.. أوك يا مس.

مس: يلا عشان السواق يوصلك ..ومتنسيش خذي معاكي النوتة.

كنت أشبه بسجين فتح له باب السجن ليتنفس هواء الحرية!!

وبنفس الوقت كنت أحس بسعادة غامرة وراحة داخلية تعبق كعطرها المهور على ملابسي، وصلت البيت فاستقبلتني أمي وكانت صديقتها أبلة أحلام معها.

حييتهما واستأذنت ..حمدا لله؛ كي أصعد غرفتي وأستطلع ماذا حصل مع هيا؟

: أوف مشغول أيضا!! أوك خليني آخذ شاور وأعاود أكلمها ....

وأنا في الحمام شئ غريب لاحظته: عطر مس تهاني ليس فقط على ملابسي.. عطرها يملأ جسدي في كل مكان، في أي قطعة من جسمي يفوح عطرها، تلمست أعضائي، أحس بمتعة وسعادة وانتشاء.

أخذت حمّامي، وخرجت أكلم هيا ثانية.

: ألو !! كنت بتكلمي مين؟

إزاي مفيش حد؟!!

ده أنا كلمتك بيطلع مشغول!! عالعموم عملتي إيه؟

بكرة جايين عالغدا؟

يعني هيتغدوا معاكم مامته وأخته وهو!!

طيب خلي بالك.....

كلمتها وأنا في قمة الهدوء ماهذا الاسترخاء والبلادة التي أنا فيها!؟؟

أريد أن أغفو، أحس أني سأنام لمدة سنة..

وضعت جنبي على السرير ولم أفق إلا على صوت أمي وهي تفتح الستائر.

: مريومة مريومة كل ده نوم ؟؟جيت بالليل اطمن عليكي وتتعشي لقيتك في سابع نومة، أنتي جعانة نوم.

فتحت عين واحدة وصوت هدير في رأسي صداع بدأ معي.

: صباح الخير ،اقفلي الستارة مش مستحملة النور.

قلتها وأنا متثاقلة.

حاضر حبيبتي مالك .

: مصدعة شوية.

إلهام: طبعا حبيبتي نمتي كثير لازم تصدعي، يلا صحصحي وتحكيلي حصل إيه مع مس تهاني..

قالتها كأنها ذكرتني بماض ولى من سنين ... لماذا أحس أنني من فترة كنت عندها؟

أجبتها وصوتي يخرج متقطعا حاضر..

نزلت أمي وتركتني استرجع مادار مع مس تهاني كي أعرف ماذا أقول لأمي؟

لماذا أحاول تزويق الذي حصل، وجعله أفضل شئ حدث معي!!؟

شريط الذكرى لتلك الزيارة متقطع بيد مونتير حذق... لقد حذفت مشاهد كثيرة، وأنا أسرد لأمي ماحدث..

تحاشيت الخوض فيما حصل لي.. كل ما قلته رقي وأناقة وجمال. الفيلا، والنوتة التي كتبتها.

إلهام: أيوة حبيبتي مس تهاني فعلا قالت هتخليكي تعزفي بيانو في الحفلة.. عاوزاكي حد وخميس، وفي الإجازة ثلاث مرات.

: وحضرتك وافقتي.

: لو انتي عايزة معنديش مانع.

في داخلي رغبة عارمة للعودة إلى تلك الفيلا، وإلى لمس يد مس تهاني.

: اوك يا ماما أنا برده عايزة أتعلم.

تناولت فطوري على عجل أريد تعويض مافاتني من الدروس..

فعلا لم أكن يوما متخاذلة أو كسولة،

كنت الأولى دوما لا أريد الشماتة من خالتي وبناتها، وكذلك لأثبت لهيا أني أفضل من رامي...

آه رامي ذلك الشبح المخيف الذي ترتعد أوصالي بذكره، تُرى ماذا سيكون من أمرهم اليوم؟؟

وهل ستكون هيا صادقة معي وتنقل لي مايدور بالتفصيل؟

حاولت أن أطرد مجموعة الشياطين التي ترقص أمامي وتحاول أن تعكر صفو هدوئي..

تماسكت ولم أتصل بهيا ولكن حدث أمر لأول مرة يحدث معي رن جهازي، لم أعرف رقم المتصل، فلم أعره بالا، ورن المرة الثانية كان فضول مني أريد معرفة من المتصل؟

: ألو مين معايا؟

إيه؟؟؟ خالد !!!عاوز إيه؟ تكلمني؟؟؟. فيه أنا بذاكر!

إيه أمر مهم ! فيك إيه!!

أناديلك ماما تكلمها ..طيب طيب مش هجيب سيرة ...النهاردة طيب

حاضر هحاول أكون معاك .. أوك باي.
خالد!!! أنا استغرب ماذا يريد؟
هو يكلمني بكل جدية، ولا يريد أحد أن يعرف مايدور بيننا.
: هيه ..مش ناقصاك يا خالد !! عاوزة أصفي ذهني للمذاكرة، والعصر هيبان كل شئ.
عاودت طرد شياطيني؛ لأكمل ما بدأت به ساعة أو أكثر من المذاكرة الجادة ..
ثم أتاني ذلك المارد، كأن أبناءه اشتكوا له طردي لهم..
رأيته واقف أمامي يأمرني بترك المذاكرة والاتصال بهيا!!
نعم لقد كانت الساعة الرابعة، ولم أتلق اتصالا منها!
هرعت كثور هائج مسكت الهاتف اللعين اتصل ولا حياة لمن تنادي... رنات طالت وطال صبري معها، وأنا ابتهل أن ترد علي، فقدت الأمل كتبت لها على جميع وسائل التواصل الاجتماعي..
لم ترد، آه لقد عادوا هم وأبوهم يتراقصون أمامي، وكل واحد منهم يهمس في أذني برواية قد تكون حدثت بين رامي وهيا ..
وأنا كمن صُب عليه غسلين بعد أن دخل سجين معهم.
طرق على الباب أفزعني، لا أعرف ما السبب.!؟ لقد انتفضت، وأصبح قلبي قطار الشرق السريع الذي طالما قرأت عنه.
: مين اتفضل.
:هاي ياسمينة، إزيك قلتها بعد سكون ووجم عندما رأيت ياسمين أمامي.

:هـاي مريومـة أنتي اتفاجـأتي، خـالتو قالـت أنـاديكي عشـان نتغـدا كلنا، جبنا بيتزا اللي بتحبيها سي فود يلا قبل ما تبرد... كانت تكلمني من على باب الغرفة وأغلقت الباب بعد انتهاءها من تلك الكلمات.
لا أعـرف كيـف نزلـت وكـمّ الهـمّ الـذي يحملـه قلبي والوجـع الـذي تحسه روحي.
سلمت عليهم وقبّلتهم....
لم أحس بوجود خالد الذي حاول أن يبدو بلغتنا نحن (التينايجر) روش.
لم أحس به لحظة، حاول توجيه الأسئلة عن المذاكرة ..ولمح لي أكثر من مرة أن لديه الوقت الآن لشرح أي شئ لي، ولكني لم أعره بالا؛ لأن بالي لم يكن حاضرا معي، أنه هناك في الزمالك حيث قطتي.
خالد: إيه ؟
إيه يا مريومة مش عاوزاني أشرحلك زي زمان؟
انتبهت له لقد كررها أكثر من مرة.
آه إنـه يريـد الاخـتلاء بي ليقـول لي الأمـر الـذي أبلغني عنـه دون أن يشعر بنا أحد !!
آه كم كنت غبية، ولم أفهم من اللحظة الأولى.
: النحـو، حاجـة في النحـو لـو تقـدر تشـرحهالي بسـرعة، انفرجـت أسـاريرة وودّع التقطيبـة التي بين حاجبيـه واعتـدل وتنحـنح وبـدت فرحة غامرة تعلو محياه كأنه قد فاز بجائزة نوبل..
إلهـام: أيـوة خلـود حبيبي هنتعبـك معانـا كل المواضـيع إلا العربي،

وأنا عارفة أنك شاعر وأديب، وممكن تشرح أحسن مني.
خالد منتشيا وقد بانت نواجذه: الله يخليكي يا خالتو تسلميلي يارب. : طيب يلا بينا مريومة وابقو هاتولنا الشاي... قالها كأنه قائد يخطط لمعركة عسكرية، ثم التفت إلي وبكل جدية... هنقعد فين؟
لم أرد، أردفت أمي مسرعة: المكان اللي يريحكم.
لا أريد أن يدخل غرفتي.... ليس خوفا منه أن يتحرش بي، ولكنها صومعتي ومحرابي مع هيا..
لن يدنسه أحد فهذا محرابنا لوحدنا أسرعت بالرد.
أنزل كتبي ونقعد في الصالون.
خالد: أوك أوك جميل أنا هستناكي متتأخريش.
صعدت إلى غرفتي وعاودني ماردي يغازلني، وأحيانا يأمرني أن أعرف ماحصل مع هيا.
ممزقة أنا لا أعرف كيف أجمع أوصال نفسي، أشلائي تتبعثر بين هيا ورامي ومس تهاني والبيت والمدرسة، والآن خالد.
مسكت الهاتف الساعة قاربت على السادسة، ولا يوجد رد.
امض أيها المارد المريد، إنها تساعد أمها في شغل البيت ليس أكثر..
طوقني بذراعيه، وبدأ يهمس لي وماذا لو أنها الآن مع رامي في غفلة عن الجميع ؟؟
وماذا لو أنه الآن يعبث معها؟....
اسكت أيها اللعين، اصمت ماعدت اطيقك رأسي سينفجر، وهذا

التافه في الأسفل ينتظرني.. وصوت أمي تستعجلي، اغرب عن وجهي ودعني، إنها لن تخون.....
أخذت كتبي وطرت بجناحين كي لا يلحق بي ويوسوس لي ثانية...
أغلقت عليه الباب كي لا يستطيع الخروج .....
ونزلت إلى خالد....
أتأخرتي ليه كدة خلصت الشاي وأنتي فوق.
قالها بصوت دافئ حنون كمن يعد الثواني ليلتقي بأمل عمره.
: كنت بدور على كراسة فاضية ...قلتها وأنا أتحاشى النظر في عينيه. سيعرف أني أكذب، فالطيبون يشمون رائحة الكذب من بعيد، وحتى لو تظاهروا أنهم يصدقونا يبقى بداخلهم اننا نكذب.
جلست بجانبه، وسألني هل نبدأ من أول المادة أومأت له لم أستطع الرد فقد أتى المارد ورائي هو وزبانيته يحملون صورة رامي وهو يقبل هيا ويضع يده بين فخذيها.
لم أفهم كلمة مما شرح خالد ولكني سمعته يقول لي أنا هكلمك دوغري ومش هخبي عليكي وعايز إجابة.... ثم اعتدل، نظرت لوجهه الأبيض المشرأب بحمرة، وتلك العينين الخضراوين الناعستين التي تشعان طيبة وحنان.
انتبهت له وتركت الزبانية يرقصون دون أن أشاركهم هذه المرة ...اتفضل اتكلم.
لقد شاح بعينيه عن عيني ونظر في الكتاب أمامه وازداد وجهه حمرة... وتكلم كأنه يقرأ في الكتاب بصوت رقيق متكسر به نغمه

ناي وكمان تترادفان تترا.
من غير لف ولا دوران أنا بفكر فيكي وعايز أكمل معاكي حياتي..
لم أحس في حياتي بصدق الكلمة والمشاعر كما أحسست الآن ..ولكن قاطعني ولم أستطيع لملمة أفكاري.
أنا مش بقلك دلوقت... أنا كمان لسه ورايا تخرج لكن على الأقل نرتبط بقالي كتير وأنا بحبك ومتلخبط ومش عارف أعمل إيه؟؟
النهاردة قررت ثم اعتدل في جلسته ...
: اتخذت قراري ده ! وأنتي تردي براحتك قدامك كم يوم تقوليلي عشان نبتدئ حياتنا على صحيح....
كان يتكلم وفيض وهج متألق ...عزف من نوع فريد لم أحس بالحب أو بأي شعور ثاني يتحرك بداخلي ..
لأ هو شعور من نوع خاص ...من صدق رجل لم أتوقع ان الرجال قد يصدقوا...!
لقد فتح نافذة على قلبي ونظر إلى داخله ... وأدخل شعاعا من نور الصدق الذي انطفأ عندما خان الرجل الوحيد الذي أحببته أمي.... لم أرد عليه طوى الكتاب مسرعا كأنه خائف من ردة فعلي، وغادر الصالون، وأنا الملم كتبي وأفكاري، وأصعد لغرفتي وصدى عزفه مازال يترنم في أذني.
نظرت إلى نفسي في المرآة خالد وأنا!!!؟
مستحيل طبعا لا أحس معه بأي إحساس بالمرة، إنه يبني قصورا على الرمال... رن جرس هاتفي يالله هيا.

فتحته بشوق الغريب العائد لبلده أيوة حبيبتي ..بلهفة واضحة على نبرات صوتي.
كنتي فين ياقلبي كل دة!!
أيوة ...عرفت والله وخرجوا والا لسه؟؟ آه خرجوا من شوية!
طيب احكيلي حصل إيه؟؟
يعني إيه ولا حاجه ؟؟بس كدة؟؟
اتكلمت والكل موجود يعني ما اختلاش بيكي ؟؟
لاء ... أوك طيب يعني هتخرجوا؟؟ أوك حبيبتي باي.
أغلقت الهاتف وفي داخلي ألف مارد ثائر يرفض كل ما قالته هيا ...
كم كنت غبية عندما أطلقت عليهم ألف رصاصة وأرديتهم قتلى وصدقت كلام هيا!!!!!
نزلت فوجدت خالد قد انصرف متعللا بوجود صديق له في المستشفى.. وسيذهب هو وزملائه ليعودوه. ..
عرفت أنه كان يتحاشى وجودي معه خوفا من ردة فعلي.
مر اليوم بطيئا فصحبة بنات خالتي مملة، لا يوجد مواضيع مشتركة بيننا ..
حاولت أمي أن تقرب بيننا ولكن أطباعهم بعيدة عني..
هن يعدّن أنفسهن للزواج والحظي بابن الحلال ... كلامهن كله عن الموضة واللباس والمكياج وطرق تنظيف البشرة وآخر تسريحات الشعر والشامبوهات والزيوت المهمة،ة وتقشير البشرة، واليوم

حديثهم عن الماسكات وأنواعها ...
وأنا ليس لي ميول لكل هذا فقط لو تواصلوا معي بأحد ألعاب البلاي ستيشن كنا قربنا لبعض أكثر....تناولنا العشاء سويا وحاولت أمي الإمساك بهم ليبيتوا الليله معنا ..ولكن خالتي تعللت بخالد.
ودّعناهم للباب رغم برودة الجو، وأغلقت البوابة، والقيت تحية النوم على أمي التي بدت اليوم متعبة.
قبّلتها وصعدت لغرفتي ..اتصلت بهيا ولم ترد حسبت أنها قد نامت وضعت الفون على الشحن وغرقت في نوم عميق دون التفكير بأي شئ كنت فعلا محتاجة لقسط من الراحة.

٣

أفقت صباحا على طرق الباب سريعا.
إنها الشغالة.
أيوة قلتها وأنا أفرد يداي وجسمي، كأني كنت في سباق تحطيب منهكة وأحس بآلالام وشد عضلي.
ست مريم الدكتورة عاوزاكي تحت.
طيب...
تعبت كثيرا كأني ملتصقة بالفراش.
آه الحلم، لقد حلمت بهيا ومس تهاني هما الاثنتان !!!
يا إلهي لقد كنت كذئب مفترس!!

هههههه، وأتعجب من آلالام جسمي!!!؟
إني أعيشها حقيقة وأتفاعل مع كل تفصيلة في الحلم كأنها تحدث لي على أرض الواقع.
نهضت من سريري، أحس أن أفخاذي لزجة ملتصقة،
نزلت لأرى ماذا تريد أمي هذه ليست طريقتها في إفاقتي،
لم تكن موجودة في الصالة، إنها في غرفتها تعجبت كثيرا.
: لولو صباحك ورد حبيبتي مالك سلمتك؟
كنت متلهفه وخائفة جدا عليها.
إلهام: صباح الورد حبيبتي مفيش حاجة متخافيش حاسة إن عظمي كلو مكسر بداية فلو .
: مقدرتش اطلعلك.
: طيب يا قلبي أجيبلك دوا أو حاجة سخنة تشربيها؟
إلهام: أم محمد عملتلي لبن سخن يا قلبي وشربت، روحي افطري أنا كويسه شوية وهقوم.
: طيب حبيبتي هاخذ شاور وأنزلك.
ماذا أصابني، إحساس غريب كاد يقتلع قلبي من مكانه... إني أحبها كثيرا!! رعب وخوف، إصبعان يتلاعبان بقلبي يقلبانه ويزرعان فيه كميه من الحنان لم احس بها من قبل...
لم أرى لولو في الفراش مريضة، كانت دوما هي القوة التي تدعمني وأحس أني قوية بها ..
لا أحب أن أراها ضعيفة راقدة تشكو من شئ غليها.....

أخذت حمّامي، وغيرت ثيابي، وأنا أفكر في لولو التي كسر قلبها الرجل الوحيد الذي أحببته حتى بعد أن كسرها وخانها لم تشتكي منه أو تتفوه بكلمة خاطئة في حقه أبدا..

كانت تكن له الحب.. أو ربما احترامها لنفسها ورقيها منعها من ذلك.. لولو أيتها الشعاع الذي ينير في دنياي لا تنطفئي.....

نزلت رأيتها قد نامت.. لم أشأ أن أوقظها، تناولت فطوري وبدأت الاتصال ثانية بهيا.

إنها الثانية عشر تلفونها مشغول ..فالأكتب لها على الفيس.

عجبا اليوم إجازة وهي عادة تدخل الفيس الجمعة والسبت وجميع الوسائل لاترد ترى ماذا حصل؟؟؟

دوامة الأفكار أخذتني وغادرت بي إلى مجاهل سحيقة كلما حاولت الخروج شدتني إليها.

أيا روحي الهائمة في ملكوت الظلمات مزقي حاجب العتمة وانطلقي لتري النور، وتنفسي الحياة كم أنا تعيسة اليوم!!

كنت أرتشف كوب الشاي مسهّمة تولول الحسرات في قلبي وتلوك الآهة كل أحلامي ..

إذا بصوت أمي تنادي على الشغالة، قفزت من مكاني وهرعت إليها.

: أيوة حبيبتي عاوزة إيه؟

إلهام: يا قلبي كنت عاوزة أشوفك نزلتي وفطرتي.

: أيوة حبيبتي فطرت شوفتك نايمة، وسبتك عاملة إيه دلوقت ؟

الحمد لله يا قلبي أحسن.

قالتها وصوتها المخنوق داخل جب البرد يبين أنها تعاني زكام ..
أتت أم محمد تحمل يانسون.
اتفضلي حضرتك سمعت الست مريم وهبه بتكلمك عرفت صحيتي عملتلك ينسون يهديكي.
إلهام: شكراشكرا.
كان أنفها يسيل شلالا وحرارتها مرتفعة، ولكنها تكابر ولا تريد الذهاب إلى الطبيب مكتفية بخافض الحرارة والليمون الساخن والأعشاب
رن جرس الهاتف ..
إنها خالتي تسأل عنها كالعادة.
أخبرتها أنها مريضة ..قالت إنها ستأتي لتراها،
وما إن أغلقتُ الهاتف لأخبر أمي بزيارة خالتي لنا حتى رن ثانية إنها طنط فتحية.
تعجبت عندما سمعتني أرد عليها ..فأخبرتها بمرض أمي فاستأذنت لتأتي كي تراها، سألتها عن هيا فقالت إنها تذاكر في غرفتها..
وقعت على كلماتها كحجارة من سجيل تعصفني عصفا إنها تكلمه!
ولهذا هاتفها مشغول، أنهيت المكالمة وعاودت الاتصال.
آه أيها القلب الكسير..تتلقى الألم والضربات الموجعة من اقرب الناس إليك لماذا كل هذا الكذب والزيف في قلوب الناس؟
كيف استطاع أبي أن يخدع أمي طيلة تلك السنين؟ ولم يرف له جفن أو تكسر عينه فيعترف؟

ولم هيا تكون بهذا الجحود؟ حرباء تتلون وأنا من صدقتها، ووثقت بها وتصورت أنها قد تلتزم بالقسم، وتخاف لو خانت أن تحل عليها اللعنة!!!

أنقذني صوت أمي من هذا الجب اللعين الذي بدأت أتهاوى في داخله

كقطعه حجر رماها طفل يريد أن يستمتع بصدى صوت ارتطامها في بركة ماء آسن.

أجبتها ولم أعرف ماكان سؤالها.

: دي طنط تحية بتسأل، وقالت إنها جاية العصر.

طيب حبيبتي آخد شاور وأستعد ليهم.

: تستعدي لإيه حبيبتي أنتي تعبانة.

ميصحش يشوفوني وأنا كدة نظرت إليها بعينين مغرورقتين بالدموع آه يا لولو!!

راقية وستايل حتى في مرضك تريدين أن يروك وأنت زاهية كورد الربيع ، لله درك كم تحبين أن تظهري بأروع صورة.

ذهبت تأخذ حمّامها، وانا ذهبت إلى المطبخ؛ كي أخبر أم محمد أن تعمل شوربة فراخ وخضار.

وطلعت غرفتي، اتصلت بهيا فردت بصوتها الساحر المملوء غنجه ودلال

: كنتي بتكلمي مين؟

أبدا والله.

: إزاي وتلفونك ساعة مشغول.
طيب جاية مع ماما ؟؟ليه مش جاية!؟
قلتها وأنا أتقطع ألف قطعة، ونبرات صوتي بدأت بالأختناق.
: نذاكر هنا، هيا فيه إيه قوليلي؟؟
إزاي مفيش، أنتي في يوم وليلة اتغيرتي، مش أنتي هيا حبيبتي فيه حاجة حصلت!!
وأنا بخمنها أنتي رجعتي لرامي صح؟
متحلفيش أنا دلوقت أتأكدت إنك رجعتي.
ليه يا هيا ليه !!!!!؟؟؟
أغلقت الفون وأجهشت بالبكاء ...
جلست على سريري وروحي كطير قطعوا أجنحته، وقطعوا منقاره قبل ذبحه ...
تلك الشيطانة الصغيرة لعبت بي.. خانتني !!!ابدلت حبي بحب واهم!!
سيبيعها في أي لحظة وعندما تعود لن ارحمها، أنا لست مثل أمي من يبيعني لا أشتريه ثانية ولوملّكني روحه والدنيا معه.
حسنا هيا ... أنت من بدأت وسترين لو صح حدسي كيف سيكون انتقامي!!
كنت كحجر وقع من الجحيم يتراقص عليه زبانية جهنم... كل الوجع ممكن تحمله إلا الخيانة..
بدأت أسير في غرفتي يمنة ويسرة كأسد جريح يزأر ويكتم آلامه؛

خوفا من افتضاح أمره وانتقاص مكانته ..
تحملت الألم وطويته حارا بين أضلعي يكويني لهيبه...
غسلت وجهي واستعدت بضعا من توازني، ونزلت على أصوات خالتي وبناتها.
لم يكن خالد معهم، لم يرد أن يريني وجهه؛ كي يعطيني فرصة للتفكير لم يأت رغم حب أمي الشديد له، وبسؤالها عنه تعللت خالتي أنه يدرس مع أصدقائه، ولم يستطع الحضور.

٣

لم أذهب إلى المدرسة في اليوم التالي ولم أذهب لدرس البيانو..
في الحقيقة تعللت بمرض أمي ولكن ليس هذا هو السبب.. كنت كتائه في صحراء وقت الهجير بلا ماء ولا غطاء يحميه.
الشمس تلهبني والأرض تحرق قدمي التي تغوص في لهيب الشك والحيرة..
فلقد تزعزعت ثقتي بهيا ..ومس تهاني تلوح لي أنني مفضلة عندها وإلا ماسبب أن تختارني لتعطيني دروس مجانية وتختارني للعزف في الحفلة وانا لست عازفة جيدة ؟؟!!
كانت الأفكار تتزاحم في رأسي كسيل عرم لايقف عند حد كل شئ.. وأي شيء ...كان يدور في رأسي بلا تحديد.
إلهام:
حبيبتي كدة ضيعتي يوم يا قلبي أنا كويسة.

تكلمني وهي في فراشها، ووجهها الأبيض الصافي كطبق من المهلبية التي أحبها أصبح ورديا بفعل الحرارة، وعيناها الخضراوتان الواسعتان بدى فيهما الذبول وكأنها رموشها سقيف عنب تظلل هاتين العنقودين الأخضرين، وهذا الأنف الدقيق الجميل بدا كحبة فراولة قطفت توا..لله درك يا لولو كم أنت جميلة وراقية حتى في مرضك!!!

: متحمليش هم حبيبتي هعوضهم ..

بيدي ملعقة وطبق من شوربة خضارودجاج كنت قد طلبت من أم محمد إعداده وضعت عليه كمية من الليمون، وأتيت به كي أطعمها بيدي.

إلهام: حبيبة قلبي قالتها وحبات اللؤلؤ قد بانت من فيها أحس بسعادتها.

: اتفضلي يا روحي أأكلك بإيدي.

: ربنا يخليكي ليا وميحرمنيش منك.

وأنا أضع الطعام في فمها: ولا منك يا لولو.

أنهت طعامها تلك الغالية، كنت فرحة جدا، ذهبت بالطبق للمطبخ وصنعت لها زهورات دافئة.

: اتفضلي حبيبتي اشربي.

إلهام : مش هتروحي درس البيانو.

: لا ياروحي هأجلو النهاردة لحد متبقي كويسة.

رن جرس هاتفي الخلوي إنها مس تهاني.

تصوري يا ماما دي مس تهاني اللي بتتصل.
إلهام: دي بنت حلال لسه بنجيب في سيرتها ردي حبيبتي.
: ألو! أيوة مس، أوي، حضرتك آسفة مش هقدر ماما تعبانة ...الله يسلمك متتعبيش نفسك حضرتك.
طيب ... أهلا وسهلا.
تصوري عرفت إن حضرتك تعبانة، صممت تيجي تشوفك.
تململت أمي، وكأن مس تهاني تقف على الباب تريد أن تقف لتغير ثيابها، وتسّرح شعرها.
حبيبتي دي جاية بعد ساعة، وأنتي عيّانة مش هتخرجي ليها، هيه تدخل تشوفك.
إلهام: لالا مينفعش مش أصول اقابلها هنا لأول مرة ..وبملابس النوم!! لا يا ميمي عيب.
آه منك أيتها الراقية، ملكة في تعاملك مع الناس ترى كيف استطاع أبي أن يبدل هذه الجوهرة النادرة بقطعة من الصخر المرمي في الشوارع والطرقات.
كيف سولت له نفسه خداعك يا من تعطين الكون دروسا في الذوق والرقي والأناقة!!؟؟
كانت تكلمني وأنا أحدث نفسي، وأنظر لها بعين شاردة تطارد غزالا ولا تستطيع اللحاق به.
ميمي أنتي معاية حبيبتي.
أيوة يا روحي هدخل آخذ شاور وألبس أوك.

: أوك حاضر... لم أعرف كيف قلتها لقد كان فكري شاردا مشوشا تداخلت الرؤى كيف فكرت بهيا، وأنا أتكلم مع أمي ورأيتها مع رامي لقد هزني منظرهما.

اليوم سيكون يوما حاسما .. نعم عدم ذهابي للمدرسة لم يكن اعتباطا، لقد نصبت الشباك لهيا ستكون بمفردها وغدا سأعرف مدى إخلاصها، وهل كانت فعلا تحبني أم أنني حبة أسبرين أخذتها لتنسيها صداع إسمه رامي ...

ثم تذكرت أنه ليس صداع بل هو نوع مستحب من الألم يجعلها تنتشي وتسعد ولا تريد فراقه.

خرجت لولو من الحمام، ارتدت ثياب الخروج ورائحة عطرها الفرنسي تعبق في المكان.

نادت على أم محمد لتحضر واجب الضيافة، خرجت تمشي ببطء تتفقد البيت لعل هناك شئ قد يفسد صورتها أمام الضيفة ..

أعرفها وأعرف كم تهتم بأدق التفاصيل، وكم تحب الترتيب والنظافة وإكرام الضيف.

: اطلعي خدي شاور والبسي حلو حبيبتي، صوتها مخنوق وسط كمية من العطاس والزكام ..

إنها تصارع المرض كي تبدو في أحسن صورة.

: طيب حبيبتي أنا طالعة.

كانت رنات جهازي المحمول تتراقص مع وقع صعودي السلم وتجعل من ضربات قلبي مايسترو لتلك السمفونية الجميلة.

: ألو هاي حبيبتي أيوة ماما تعبانة الحمد لله أنتي عملتي إيه ؟
كنت كعامل مناجم الذهب أبحث عن قطعة ذهب في كوم من الأحجار، أفتش في نبرات صوتها عن الحقيقة!
ما عدت أصدق كلماتها.. تصدع جدار الثقة كأن أطفالا أشقياء رموه بقطعة من الحجارة.. لم يتهشم لكنه تصدع.
من الصعب أن أرى خلاله الأشياء بوضوح... إنني استعمل كل ما أوتيت من فكر ورجاحة عقل للوصول إلى ماهية صدقها.
كانت تكلمني وتبلع في ريقها كثيرا، نبرات صوتها تدل على ما تخفي.
تقول: لم يحدث شئ، وأنا المغفلة سوف أصدق.
نعم تظاهرت بالتصديق، وطلبت منها أن تأتي لتجلب لي الدروس وبيّنت لها أن ماما مريضة على أمل أن تكون حجتها عند والدتها لكي تأتي، ولكن للأسف تعللت بالدروس.
بلعت مرارة الحنظل وتجرعت كأس الخيانة؛ كي أصل لنهاية معرفة الحقيقة.
جاريتها في كل ما قالته، ولم اشكك بها أبدا، أغلقت الهاتف وفي داخلي حطام لبيت هزه زلزال فأطاح به.
رن جرس الباب فتحت ستارة غرفتي للنظر من فوق من أتى؟
إنها مس تهاني ...وقفت سيارتها الفارهة أمام الفيلا وفتح لها السائق الباب بعدما فتحت أم محمد البوابة ممشوقة القوام تمشي كعارضة أزياء.
لماذا لم الاحظها من قبل اسدلت الستارة، ونزلت مسرعة لم انتبه

لبوكيه الورد المنسق تنسيقا رائعا إلا بعدما خرجت.
يالذوقك الراقي....
سلمت عليها وجلسنا في الصالون، كانتا تتبادلان الأحاديث، وأنا اختلس النظر إلى تلك الساقين الجميلتين الموضوعتين فوق بعض، وذلك التايور الزهري الجميل الذي يضفي على جمالها أنوثة خارقة، وتلك الجلسه المعتدلة كمسطرة مهندس، رقبة طويلة ورأس مرفوع، أميرة تتفقد رعيتها، لم توجه لي أي تأنيب أو عتاب لعدم ذهابي إليها كانت تبتسم لي عندما تتكلم أمي عن رعايتي لها.
حاولت إظهار كرم الضيافة، وأنا أناولها فنجان القهوة بادرتني بكرة أبعتلك السواق يجي ياخدك ويرجعك.
فردت ماما إحنا بنتعب حضرتك كدة معانا.
مس: أبدا تعبكم راحة.
بدأت في ارتشاف القهوة تلك الشفتين المكتنزتين تدغدغ فنجان القهوة فيتراقص طربا بين إصبعها الطويلين الأبيضين الناعمتين وهي ترشف القهوة تتسابق قطراتها من ستلامس شفاهها أولا؟؟؟
كنت في ملكوت انكيدو أدور وحدي حول تفاصيل كأني أراها لأول مرة!!!
سرت في جسدي قشعريرة وهي تلمس يدي تسلم علي كي تودعني... ونظرات عينيها كجهاز ليزر يخترقني ويكشف ما بداخلي من إعجاب،

ابتسمت نصف ابتسامة وألقت التحية، وخرجت كأنها أميرة من بيت ملكي.
أغلقت الباب ودخلت أمي غرفتها وأنا أشم يدي، رائحتها المميزة ملتصقه بيدي، عبير عطرها غطى على عبير عطر أمي الباريسي، إنها عشبة انكيدو عشبة الخلود.
وأنا أهيم بنفحات عطرها اسمع أمي تنادي.....
: أيوة حبيبتي
إلهام طنط فتحية اتصلت، و قالت هيعدوا عليا بعد ميرجعوا من عند صاحبتها.
تسمرت في مكاني، ولم أرد لم تقل لي هيا أنهم سيذهبوا عند أحد!! هذا يفسر عدم رغبتها المجئ الى هنا.
مرت لحظه التفكير هذه، رأسي كقلعة يملؤها الفهود والمهرجين.
فاكملت والدتي مالك حبيبتي بقلك خلي هيا تجيب الدروس معاها مش بتردي يا قلبي.
: مش مهم أبقى أخدهم بكرة ..كنت كمن وطئت قدمه النار فغلى من حرارتها دماغه، لم أستطع التفكير.
الطرق على شباك رأسي يتعالى، وأحس بالاختناق، كأن سيزيف قد نسى صخرته الملعونة فوق حدبة ظهري...
خرجت إلى الحديقة، كأن الهواء يأتيني من ثقب إبرة مارا ببوابة الجحيم ... وخيوط النهار تصوب مسدسها الأشهب تهددني..
تريد اغتيال تلك الحمامة التي تهدل على حافة السهو.. وتريد

إطلاق آلاف الأسرى الذين أدسهم تحت إبطي في عالم اللا جدوى.
أحاول ان أن أستنشق الهواء ببطء كأنه إكسير أشفي به تلافيف مخي... وأزيل عنها نسيج عناكب الشك؛ كي أستطيع تقبل مايجري...
اهدأي يا نوة الشك اخمدي الآن فأمامك يوم طويل سوف تتلاعبي بنوافذ عقلي المفتوحة على مصراعيها.
اهدأي مريم وتماسكي فكل مايجري لك هو تخمين وليس حقيقة...
اهدأي وادخلي وانتظري كسجين ينتظر ساعة الإفراج عنه.
دخلت وأنا أحاول أن أنزل ذلك الجبل الذي حط على كتفي واتركه خارج غرفة أمي.
: ها يا روحي أنتي أحسن دلوقت !!؟
طيب اقلعي وارتاحي لسه بدري!
إلهام: معلش يا روحي كدة دفيانة متقلقيش.
كانت تجلس على سريرها وتغطي نفسها ببطانيتها الجميلة برسم قطة بيضاء مع أبنائها ..
إنها تعتز بها لكونها غريبة وغير متداولة للناس بكثرة.
مرت ساعات الانتظار ثقيلة، وأنا أحاول أن ألهي نفسي الثائرة كبركان تكاد حممه تخرج من فوهته.
رن جرس الباب هرولت مسرعة وكان قلبي يهرول أمامي كغزالة فرت من قسورة...
فتحت الباب سلمت على طنط فتحية أخذتني بالأحضان كعادتها،

وكانت هيا وراءها كأنها آلهة إغريقيه خجلة من جنود قد عادوا مهزومين في معركة بعد أن عوّلوا عليها النصر !!!!
مدت يدها لتصافحني على غير عادتها جذبتها إلى قلبي واحتضنها، كانت كجبل جليد لم يتأثر بوهج سعيري المشتعل..
لم تطوقني تلك اليدان الناعمتان.
بل كانتا على جنبها كموميياء فرعونية بلا روح أو إحساس.
دخلنا البيت وتعمدت أن تسبقني، لم تمسك يدي كما كانت تفعل .
هل تفهم ما هو الإحساس بالخذلان والخيبة والانكسار من أغلى الناس!!!!؟
إنه أمرّ من طعم الحنظل وأقسى من ضرب السيوف في القلب، وأوجع من آلام الحريق في أتون مستعر.
كنت أسير معهم إلى أن دخلنا الصالون وانا مسهمة بلا تفكير..
صوت أمي كان ناقوس الخلاص.
أهلا وسهلا تعبتي نفسك حبيبتي.
سلمت عليهم من بعيد كي لاتصيبهم عدوى الزكام.
هل تعرف إحساس من وقعت عليه صاعقه من السماء وقسمته إلى نصفين؟ نصف قد صدق وجودها، والنصف الآخر يأبى أن يصدق.
كانت أحاديثهم عن المرض والعلاج أسمعها كحسيس خافت، وأنا أنظر بعينين زائغتين كعيون من غشي عليها..

هل هذه هيا التي عاهدتني وامتزج دمي بدمها!؟؟
تُرى ما الذي غيرها في يوم وليلة؟
لماذا أصبحت باردة بلا روح كقطعة في متحف الشمع!!؟؟
: هيا تعالي نطلع غرفتي تأشريلي عاللي خدتوه.
كاد كوب العصير أن يقفز من بين يديها هلعا، كأن حوتا يراودها ليبتلعها..
نظرت لي ولم تتكلم وقفت أمامها ومددت يدي يلا...
قلتها وأنا أنظر في عينيها لأغوص في أغوار روحها، ولكنها لم تعطني الفرصة.
تطرقت إلى الأرض، ونهضت كسجين ينفذ به حكم الإعدام، كانت خطاها متعثرة مترددة، وصوت دقات قلبها كأجراس كنائس يوم الأحد لها دوي أكاد أسمعه.
أغلقت باب غرفتي، وسألتها مالك يا هيا فيه إيه متغيرة ليه؟
هيا: أبدا والله مش متغيرة ولا حاجة انتي بس بيتهيألك.
نغمة هذا الصوت المرتعشة وحدها كافية أن تؤكد لي عن وجود أسرار دست في القلب ولا تريد الخروج.
: لا مش بيتهيألي!! أنتي بعدتي أوي ومش عاوزة تكلميني أو تتصلي بيا زي زمان.
باغتها وجعلتها حبيسه الريبة، أنا عارفه إنك رجعتي لرامي.
ردت بسرعة وعفوية وتلكؤ: إيه ؟؟لا لا محصلش!!!
إحنا كنا عندهم لكن معملناش حاجة ..والله مقمتش من جنب

ماما...

تطرقت إلى الأرض بعينين منكسرتين تحملان ثقل الكذب الذي لم تحتملانه.. كانت أشبه بعروس النيل يوم الفيضان مستسلمة وتحوي في قلبها خوفا ورعبا، ولكن حبا في مصر والآلهه قد تسمرت في مكانها تنتظر المصير.

لم أكن أنا من يدفع بها إلى مجاهل الهاوية..لم أزل أحمل ذلك الوليد وأهدهده في قلبي، أنه يصرخ بحبها.

: طيب يا قلبي مشفتكتيش تحضنيني.

دخلتي من غير متحضني حبيبتك تقربت منها، فتحت ذراعي ألتقمتها لأضعها في صدري وقلبي لم أجدها !!!لم أجد حبيبتي!!!!

ما احتضنه أعجاز نخل خاوية، تصفق بها رياح الغدر!!

يبس جريد نخلتي وتساقطت اعذاقها قبل النضوج !!!

لا تعرف ما هو هذا الإحساس لو لم تجربه...!!!!

انتفضت مبتعدة، لم أتفوه بكلمة، كل شئ كان جليا، وهل تستطيع أن تخبئ نور الشمس.؟

غيرت الموضوع لم أستطع تحمل هذه الإهانة، وأتكلم حولها.

: طيب حبيبتي أخذنا إيه دروس أشريلي؟!!!

كانت كمن أفرج عنها بعد وضع رقبتها تحت المقصلة، وجهها الأحمر القاني وعيناها الواسعتان من الدهشة لم تستطع اخفاءهما عني اخذت الكتاب، وبدأت تؤشر لي وأصابعها الرقيقة كغزال شارد يطارده قطيع من الضباع.

أنهينا التأشيرات، وأشرت لها بالنزول، فتحت الباب متراقصة الروح طربا لهذا العرض السخي، نزلت تهرول فارة من قدر محتوم.
متنبهة أمي لسرعة نزولنا، إيه حبيبتي خلصتو ا؟
: أيوة يا ماما أشرتلي وهذاكرهم، وكتبتلي جدول الامتحانات نزل كمان.
: طيب ياقلبي.
طنط تحية: طيب إحنا تستأذن عشان تاخذي راحتك، وميمي تعرف تذاكر وهيا كمان .
إلهام: ألف شكر حبيبتي تعبتو ا والله.
متقوليش كدة إحنا أهل.
يلا هيا.
أوصلتهم إلى الباب بعد طلب من ماما، كنا كجثتان تمشيان بلا صوت ولا كلام.
بعد تحيتي لطنط وهيا وذهابهم، أغلقت الباب وعدت لماما رأيتها دخلت غرفتها، سألتها إن كانت تريد شيئا أعمله، شكرتني وقالت إنها ستنام، وضعت عليها الغطاء جيدا، وأطفأت النور، وصعدت إلى غرفتي، دخلت سريري وبدأت أفكر فيما حدث، واحلل كل شئ.
لقد انتصر رامي، وهل من الممكن أن اجعله ينتصر وبلا خسائر؟!!
لقد خدعتني هيا ..قدمت لها قلبي وإخلاصي على طبق من ذهب ، فرمت به في أقرب سلة قمامة.
حسنا يجب أن أرتب أولوياتي حياتي.

يجب أن أفصل المذاكرة عن عاطفتي.
يجب أن أنجح وأتفوق، وبنفس الوقت أحارب، ولو أدى بي الأمر التحالف مع الشيطان سأتحالف.
من لم يمر بتجربتي لايستطيع الحكم علي.... فدعني أكمل واحكم بما يحكم عليك ضميرك.
ذهبت إلى المدرسة في اليوم التالي، وكنت قد أجمعت قواي وأجلت كل مايتعلق بقلبي وحبي لبعد الامتحان...
كنت عادية جدا وطبيعية التصرف، أنهيت يومي بسلام وعدت لأرى لولو قد أعدت لي الغداء وفي انتظاري، تغدينا، وبعد ساعة رن جرس الهاتف إنها مس تهاني تطمأن على ماما، وبعثت لي السائق ليأخذني لها.
يلا حبيبتي استعدي كمان شوية هيجي السواق، الست دي رائعة ذوق وشياكه وأخلاق.
كانت ماما تتكلم عنها كما يتكلم جميع من يعرفها، الكل منبهر بها إلا هذا القلب، فلقد كان يحس بشئ غريب فيها..
نعم جميلة وشيك وأخلاقها راقية لكني أحس فيها بشئ لم يحسه الناس غيري، وقلت في نفسي ربما أكون مخطئة، ربما هي لست كما أحس.
صعدت غرفتي أخذت حماما، ولبست ثيابا نظيفة، وتعطرت، كنت سعيدة لذهابي رغم كم الدروس والمراجعات التي عندي.
بعدها أتى السائق وحملني لقصرها.

دخلت فوجدت ملكة رائعة الجمال في انتظاري تهلل وترحب بي، أعطتني ذلك الشراب الغريب، أجلستني على البيانو وبدأت تعزف وتكتب.

وأخذت أصابعي بين إصبعيها تحركهما، وصوت أنفاسها يلهبني ويحرق بهجيرة رقبتي، التصقت بي أكثر فأكثر..

صدرها اللين يداعب كتفي، أحاطتني بذراعيها، وبدأت بتقبيل رقبتي وظهري.

لم أعي ما فعلت سوى إحساس بأتون النار الذي كنت اكتوي به.

سعير جهنم تنفثه تلك الملكة العاجية.

كل ما أتذكره أني جالسة على كرسي في الصالون، وملابسي رثه تشع من جسدي رائحة مس تهاني.

وشعور بالغبطة والسعادة يملأ صدري.

إنها أمامي وأكاد بالقوة أفتح عيني، إنها تجلس وتضع ساقيها العاجيتين على بعض تحرك واحدة منهما تركل بها الهواء.

ها مريم مالك أنتي بتدوخي لما بعزف.

حاولت الإجابة، استعدلت في جلستي.

: لا يا مس بس مش عارفة إيه جرالي!!!؟ دخت...

مس: مبسوطة والا زعلانة.

: مبسوطة أوي وحاسة براحة.

تنظر الى وتبتسم: هتيجي تاني.

: أكيد يا مس.

طيب اشربي العصير ده، وقومي اغسلي وشك ورتبي نفسك.
طيب يا مس.
دخلت الحمام الملوكي رائحة العطر تفوح منه غسلت وجهي، ونظرت إلى نفسي كل ما فيا قد تغير، ملابسي يرثى لها !!
وشعري ماذا كان يحدث لي؟ ومن أجلسني على الكرسي؟!
كنت عند البيانو أسئلة كثيرة تدور في رأسي المثقل كأن قفة مليئة بالأحجار تتوسطه !!!
خرجت من الحمام في حال جيدة.
مس: طيب الآن هياخذك السواق للبيت والنوتة معاكي...
لو احتاجتي أي حاجة أنا موجودة، أي حاجة يا مريم أنا في ظهرك ومعاكي، ومش هسيبك، لو أي حاجة عاوزاها أنا موجودة من غير خجل ولا تردد أوكي.
: أوكي مس.
شوفي هكون معاكي في الامتحانات، هوصي عليكي جميع الأساتذة... وأنتي عارفة معزّتي عندهم مش هيرفضولي طلب.
: تسلميلي يا مس إن شاء الله مش أحتاج.
مس: إيه مش عاوزة تطلعي الأولى على المدرسةِ، أنتي تشدي حيلك وتذاكري وأنا أوصي عليكي تكوني الأولى.
لازم حبيبتي تكون من أفضل الناس وأرقاهم مكان، كانت تمشي معي وتضع يدها على كتفي تحتضنني.
أوصلتني لباب الفيلا ، وسلمت علي وطلبت مني الحضور بعد غد.

جلست في الخلف في سيارتها البانتلي الفارهة، أسندت رأسي وسرحت فيما أنا فيه.

أحاسيس متضاربة في داخلي، ورغبة عارمة تأمرني في البقاء مع مس تهاني وهيا في نفس الوقت.

ماذا يحدث لك يا مريم!!؟ كلما ذهبت لمس تهاني أصابك الصداع وفقدان الوعي.

ونشوة بعدها وارتياح وشعور غريب بالأنتشاء.

ترى ماذا تريد مني مس تهاني وانا لست عازفة؟

ولماذا أنا بالذات من اختارتني؟؟

أسئلة كثيرة تدور وتلف في تلافيف مخي المتعب لم يقطع سيلها إلا صوت السائق.

حمد الله على السلامة آنسة.

الله يسلمك.

نزلت وفتحت باب البوابة، وأنا أسير متعبة منهكة كمن كنت في حلبة الساموراي أصارع أحدا منهم.

فتحت الباب ودخلت غرفة أمي.

هاي مام.

هاي حبيبتي.

إزيك دلوقت حبيبتي.

الحمد لله عملتي إيه مع المس؟

الحمد لله، قلتها وأنا أصارع نفسي؛ كي تخرج الكلمات من بين

شـفتي كنـت أريـد النـوم أحـس أنـي أتيـت مـن عـالم الـلا وجـود؛ لأصطدم بعالم الواقع.

دي النوتة في إيدك يا روحي.

: نعم يا ماما.

أريد الرحيل إلى غرفتي مخبأي المفضل بيت الهروب الذي يأويني.

عاوزه حاجة حبيبتي قبل مطلع.

اتعشي يا روحيي.

: حاضر حبيبتي.

تصبحي على خير، أغلقت الباب وأسرعت الخطى إلى غرفتي.

دخلت وكري الآمن، جلست على سريري استرجع ماحدث، أفكاري مشوشة، شددت الغطاء فوق جسدي المنهك، ورحلت الى عالم النوم. لم أشعر الا وصوت المنبه الذي ضبطته بالأمس يرن في سويداء مخي حاولت إطفاءه لتكملة النوم، ولكن طرق على الباب، لا كان طرق على أم رأسي ... أم محمد ماذا أتى بها مبكرة هكذا؟

: ست مريم ماما بتقلك اتأخرتي الساعة بقت سبعة.

: أوف سبعة !!!؟ انتفضت كمن قرصه الأقرع، لقد أغلقت المنبه وكانت السادسة.. هل مرت ساعة كلمح البصر!!!؟

: حاضر صحيت، أجبتها وأنا أرتدي ثيابي مسرعة، وأضع كتبي في الحقيبة، لم أغسل وجهي وأسناني ليس هناك وقت .

دقائق ويأتي باص المدرسة، وأمي مريضة لن تستطيع توصيلي، واليوم لدي مراجعات للدروس.... نزلت مهرولة.

أم محمد: صباح الخير ست مريم سندويتشاتك أهي.
أجبتها وأنا أدخل غرفة أمي لأصبح عليها.
وجدتها قد أكملت لبسها.
: صباح الخير.
: رايحة فين يا لولو الجو تلج.
إلهام: أوصلك يا روحي مش هتلحقي، الباص عدا من خمس دقائق.
: ياه يا لولو دانا هحري علشان ألحقه.
: ايوا حبيبتي زمر، ولما ملاقكيش مشي ....
وبصوتها الحنون: قلت ألبس أوصلك.
: لكن أنتي تعبانة لسة حبيبتي.
إلهام: أبدا يا روحي أنا كويسة الحمد لله.
تنفست الصعداء الآن أستطيع غسل وجهي وأسناني.
: طيب هطلع فوق.
إلهام : أوك ع قبال ما أسخن العربية.
كانت في قمة أناقتها، وهذاالشال الوردي الذي يزيد من توهج وجنتيها ويضيف لمعانا إلى عينيها الخضراوين، لا تضع المساحيق بالعادة ..
هي جميلة لوحة فنان..
تبارك الخلاق فيما خلق..
هي على عكس خالتي السمراء ذات العيون السود والشعر المتدرج

الفاحم كانت دوما تقول لها أنت بنت التركية، وأنا بنت البدوية!!!
وتتبادلان الضحكات والقفشات...
نظرت في المرآة وانا اغسل أسناني، لم أخذ شيئا من تلك الجميلة إلا أنفها وشفتيها !!!
ربما هي جينات أبي التي فاقت جيناتها !
أو ربما حبها لأبي وعشقها له قد أنتج هذا الكائن الغريب المسمى أنا.
هرولت مسرعة كي لا أتأخر.... كانت لولو في السيارة.
المسافه من باب البيت لباب الشارع جعلتني أرتعد من البرد.
لولو: أنتي بردانة يا روحي أنا مشغلة التكييف.
: آسفة يا ماما خليتك تخرجي في الجو دة.
: ولا يهمك المهم توصلي مدرستك، خلاص امتحان نصف السنة أهو على الأبواب.
: أيوة وهتشوفي مريومتك هتعمل إيه؟؟؟
أسندت رأسي على مسند الكرسي، وأنا أسترجع كلمات مس تهاني بأني سأكون الأولى على المدرسة.
لا أعرف من أين أتيت بكل تلك الثقة التي كنت أتكلم بها مع أمي؟
عن كوني متفوقة، كنت في السنين الماضية فعلا من المتفوقين، ولكن لست الأولى على المدرسة..!
حلم جميل يراودني، وانا أتخيل نفسي والمدير يكرمني والطلاب وأسرهم يصفقون لي، إحساس رائع بالفخر، وردّ وصفعة ألم

قوية على وجه هيا ورامي.
نعم سيكون ردا قويا على عدم اكتراثها بي وجريها وراء ذلك التافه الكسول.
إلهام: يلا مريومتي، وخلّي بالك على نفسك حبيبتي.
إنه صوت أمي تداخل مع صوت الحلم فايقظني.
: طيب يا قلبي أنتي كمان خلّي بالك على نفسك.
دخلت المدرسة، آه إنهما معا لمحتها من بعيد، فرت هاربة عندما رأتني لم أشعرها إني رأيتها، كنت أتكلم مع بعض أصدقائي، وأسلم عليهم.
: هاي هيا تقربت منها وقبّلتها كعادتي، وقبّلت سهى وجنا كانتا تقف معها.
: إزيكم يابنات إيه أخبار المذاكرة؟
جنا: الحمد لله كويسة مراجعات جميلة.
سها: النهاردة فيه مراجعتين إنجلش وكمستري.
: وأنت يا هيا أخبار المراجعة؟ لو احتجتي أي حاجة ماما موجودة.
كانت الشمس تسطع داخل عينيها فتشع دفئا ونورا ووجناتها كتفاحتين أمريكيين يتوسطهما كريزة لبنانية.
ردت كهديل حمامة تنعي صغارها: طيب.
رن جرس المدرسة، فدخلنا إلى الفصول؛ لننهي أول مراجعة بعد غد أول أيام الامتحان.
كنت على درجة من الثقة لم أكن بها من قبل!!

لا أعرف هل هو إحساسي بوجود ظهر استند عليه هو مس تهاني!!!؟؟ أم هو ثقتي بنفسي إنني ذكية ومتفوقة دوما ؟؟!
ولأثبت لهيا أني أحسن من رامي، وأثبت لمس تهاني أني لن أحتاج لواسطتها.

جلست بجانب هيا، لم ألمسها كما كنت أفعل من قبل.
كان كل تركيزي على الشرح، كنت كأرض عطشى تريد الرواء.
لاتقول لا لأي كمية مياه تسقى بها، أنهيت اليوم كله على هذه الشاكلة، وصلت البيت كانت لولو تنتظرني، وقد أعدت بيدها صينية البطاطس بالفراخ التي أحبها...
كم هي رائعة تلك الحبيبة المسماة أمي... كم أحبها!!!
تتفانى في خدمتي وسوف أحقق لها أمنيتها بأن أكون من الأوائل كالعادة، لا بل سأكون الأولى على المدرسة بإذن الله.
إلهام: حبيبتي مريومة يلا عشان تقوي نفسك وراكي مذاكرة.
: أيوة حبيبتي هتشوفي مريومتك، مصممة أطلع الأولى على المدرسة.
: يارب يابنتي يحفظك ربنا ليا.
احتضنتني وقبّلتني تلك القبلة التي هي إكسير حياتي، بها أحس أن قوة شمشون قد حلت بي، وغنى قارون قد تحقق لي، وعصا موسى بيدي أتحكم بها كيف أشاء.
تناولنا الغداء، دخلت غرفتي أذاكر دروسي، كل ساعتين تأتي لي أمي بعصير أو فاكهة مع حضن دافئ يبدد برودة الجو وبرودة المادة.

إنها الثانية عشر، دقات الساعة مع طرقات الباب.
إلهام: حبيبتي نامي خلاص، ثم تردف وهي مبتسمة.
أنتي تعبتي وراكي مدرسة الصبح.
كانت لولو بروبها الزهري الراقي وابتسامتها الخلابة وصوتها الحنون قد فتحت الباب ودخلت ترتب منضدتي.
: طيب يا لولو هنام حبيبتي.
إلهام: طيب يلا اغسلي سنانك، وأنا هنزّل الكوبايات والأطباق تصبحي على خير.
: وأنتي من أهله.
غسلت أسناني وأغلقت الباب، واطفأت النور وتسللت إلى فراشي كقطة تتمسح بصاحبها لترضيه.

مس تهاني ١

نهضت في السادسة إنه آخر يوم مراجعات، هرولت مسرعة؛ لأطفئ ضماي وأنتهل العلم؛ كي أحقق مأربي، في الفسحة إذا بمس تهاني تبعث لي تريدني في غرفة الموسيقى.
ذهبت إليها لأرى.
: أهلا مس إزي حضرتك.
مس: أهلا مريم إحنا على معادنا النهاردة.
: لكن بكرة الامتحان.
مس: عارفه حبيبتي مش هأخرك أولا، وثانيا قلتلك متحمليش هم

أنا موجودة.
: حاضر يا مس هكلم ماما، وأشوف تقلي إيه.
خرجت وأنا أشبه بربان ضل طريقه وسط عاصفة مفاجئة...
تُرى هل أصدق مس تهاني بأنها ستساعدني وأذهب لدرس البيانو!!؟؟ أم أتركها وألتفت لدروسي لوحدي بدون مساعدتها!!!؟
تُرى هل من الممكن أن أكون الأولى على المدرسة بجهدي لوحدي؟؟
نعم أنا من الأوائل.
ولكن لست الأولى على المدرسة!!!!
إنه الطمع يراودني فلا يتركني ولا يغادرني.
حسنا سأرى أمي ماذا ستقول!!
وسأنفذ بالحرف ما تقوله!..
عدت إلى البيت، وفاجأتني لولو بأن موعد درسي اليوم، فقد كلمتها مس تهاني، وستبعث السائق الرابعة عصراً، وتعيدني.
: ولكن يا ماما عندي امتحان بكرة.
إلهام: مس تهاني أقنعتني بأخذ فترة ترفيه تزيد من تركيزك في المذاكرة ساعة والا إتنين تعيد نشاطك حبيبتي.
: طيب إذا كان ده رأيك أوك معنديش مانع.
تناولت الغداء، وأخذت حمّاما، وغيرت ملابسي، وهاهو صوت أمي تنادي: السيارة قد وصلت، قبّلتها، وذهبت للقاء مس تهاني التي استقبلتني بحفاوة بالغة.
نظرت في عينيها، أحسست بنمرة جائعة أمامها فريسة تريد

التهامها... لا أعرف من أين أتاني ذلك الاحساس رغم نعومة ورقة مضيفتي ورقي وجمال طريقه ونوعية الضيافة، إلا أن إحساس في داخلي يعبث بي وأسئلة كثيرة قد جالت بخاطري طيلة الطريق لفيلاتها.

مس: اتفضلي حبيبتي.

قدمت لي كأس العصير بكأس ملوكي من الكريستال الرائع، وجاتو وقطع من الشكولاتة المستوردة، أطباق من الصيني الأصلي وشوك وسكاكين من الذهب الخالص..

كل شئ يدل على الثراء الفاحش والوحدة المملة..

لم يكن في الفيلا إلا مس تهاني والخادمتان والبواب والجنايني والحارس في باب الفيلا.

لم أسمع أو أرى أحدا، لعلهم غير موجودين أو قد يكون ليس لها أحد. لا أعرف ما الذي جعلني اسألها.

: هو حضرتك عايشة هنا لوحدك.

وضعت كأس العصير من يدها، واعتدلت ووضعت ساق فوق أخرى ورمقتني بنظرة يشوبها القلق.

أيوة ليه.

: اسفة مس قلتها وأنا أتلعثم في الكلام.

مس: متتأسفيش حبيبتي الكل ربنا يرحمهم، فضلت لوحدي في البيت الكبير ده.

: آسفة بجد لو تدخلت في خصوصيات حضرتك.

مس: ولا يهمك يا ميمي.
طيب يا مس لو سمحتي هتخليني أطلع الأولى على المدرسه إزاي؟
مس: شوفي طالما قلتلك هتكوني الأولى على المدرسة، ثقي فيا.
قالتها بلهجة المتمكن من نفسه نبرات الثقة تخرج من بين شفتيها .
كنت أريد أن أسألها أكثر، لماذا عندما أخرج من عندك وأنا منهكة متعبة بانتشاء المحارب المنتصر؟؟؟!
ولكني سكت لم أستطع ربما كان الخوف من أن أفقد عرضها أو الخوف من أن أكسر حاجز الاحترام بيننا، تبسمت لها وأنا أشرب أول رشفة من العصير.
مس: مريم أنتي بتحبي الرجال أقصد الولاد ؟
فاجأتني !!! باغتتني كلماتها أنزلت الكأس من فمي، لقد دخلت أغوار روحي وعبثت بنفسي، لم أتوقع هذا السؤال من أحد أبدا فهو من أسراري.
نظرت كالتائهة لا أعرف بماذا أرد هل أقول الصدق أم اكذب؟
مس: عشان أسهل عليكي، أنا زيك أكره الرجال جميعهم خونة لا يستحقون أن نرتمي بين أحضانهم.
قالتها وكأنها تعرف قصة أبي أو تعرف أني فعلا لا أميل للرجال، بل لا أحبهم.
: أنا أنا متلعثمة لا أعرف الرد.
هههههه مريم قالتها بغنج ودلال.
ما هذا الذي أمامي؟؟؟

فيض من أنوثة تتدفق؛ لتثير في شئ لا أعرفه.

مس: حبيبتي ملاحظتيش تغير في نفسيتك، أعضاءك؟!!!

: يعني إيه يا مس؟

قالتها في أذني همسا بعد أن نهضت من كرسيها وجلست بجانبي ولامست يداها البضتان كتفي.... أنفاسي تتعالى ودقات قلبي تتسارع.

مس: مريم مسألتيش نفسك انا أخترتك ليه من بين كل الطالبات، وضعت يدها على فخذي وبدأت تحسس عليه بنعومه أفعى تتلوى وقلبي يزداد اضطرابا، وبدأت حبات العرق تفك أسرها، وتخرج معلنة حالة من الشوق والشبق، وأنا مسحورة لا حول لي ولا قوة أمام هذا الجيش الجرار، ابتداءا من العطر وانتهاء بالهمس واللمس المغري.

لم أتفوه بكلمة وكأنني لا أعرف الكلام، تاهت مني حروفه عندما لامست يدها بين فخذي، شهقت كأن روحي قد سلبت مني.

مس: مريومة أنتي أروع من أي إنسان شفتو بحياتي.

أنا وأنتي نكمل بعض، ليكي فيا اللي تحتاجين وليا فيكي اللي بحتاجو. كانت تتكلم ويداها الغازيتان تتجول في أرجاء جسدي المغتصب.؟

لم استطع منعها نعم كنت محتاجة لتلك اللحظات، وتلك الهمسات

شدتني من يدي وأخذتني إلى فوق إلى أروع غرفة رأيتها في حياتي.

إنها جناح ملكي دافئ سرير مدور يدور ونور خافت وموسيقى تخرج من جدار فيه مرايا تعكس نور جسدها العاجي العاري أمامي، وعطر باريسي يملأ المكان، إنها ليلة من الف ليلة وليلة ...جردتني فيها عن ثيابي، وبدأت بمداعبتي، إنها جريئة شهيّة مليئة بالأنوثه والإثارة، مارست معها كل ماطلبته مني وزيادة، كانت تلتهمني.

إنها متمرسة تفهم وتعرف من أين تؤكل الكتف؟

ساعة أو أكثر ونحن نمتطي هذا السرير، ولم يمل منا، ولم نمل منه.

مس: آه مريومة أنتي رائعة أنا بحبك.

صوت أشبه بموسيقى هادئة تخرجه حتى آهاتها عندما تعلو سمعها ناسك متعبد لأرتمى تحت قدميها.

إنها ثورة بكل معاني هذه الكلمة.

لبسنا ثيابنا ونزلنا الصالة كتبت لي في النوته وقبّلتني، وكنا على موعد بعد ثلاثة أيام.

وأنا عائدة في طريقي للبيت تفسر لي سبب تلك الرائحة التي كنت أشمها على جسدي وسبب التعب.

ولكني لم أكن اعرف لماذا لم أع ذلك، ربما كانت تضع لي مخدر في العصير؛ كي لا أعي مايحدث لكي تجرب حظها معي لو أعجبتها ستكمل معي، ولو لم أعجبها ستنهي كل شئ.

هذا هو التفسير المنطقي لما حصل.

كنت احس بتعب شديد من تلك المغامرة وبانتشاء رائع وأتمنى ان

أغفو قليلا.
وصلت البيت استقبلتني أمي، وسألتني عن درس البيانو، وهل أعصابي مرتاحة؟؟
وسأجاوب في الامتحان بهدوء غدا!!
أومأت لها بالأيجاب وأخبرتها أني سأذهب لغرفتي كي أكمل مذاكرتي،
دخلت وأغلقت الباب وألقيت بنفسي على السرير متهالكة، وسرحت فيما حصل بيني وبين تلك القطة التركية الشرسة، معركة حامية الوطيس دارت رحاها فوق سريرها الوثير وكنت أنا قائد الحملة الذي يعتلي أروع مهرة تتمايل خببا لتزيد من نار المعركة، وتلهب هجير شوقي إليها.
لقد أحسست بالزهو وبانتصار لم أكن أحسه مع هيا على الرغم من حبي الجارف لها ..!!
إنه الفرق بين أن تأكل كافيارا فرنسي وبين بطارخ بلدي!!!
لم أعرف كيف غفوت ولإمتى!!؟ طرق على الباب جعلني أنتفض.
: مريومة أنتي قافلة الباب حبيبتي.
أمي إنها أمي إحساس بالإرباك راعني منظري.
: أيوة حبيبتي أجبتها، وأنا أضع الكتب والمراجع على المنضدة وأفتح النور.
فتحت الباب وحالي يدل على أني كنت نائمة.
إلهام: إيه يا قلبي أنتي نمتي.

: أيوة يا ماما تعبانة أوي.

إلهام: خلصتي مذاكرة حبيبتي ..!؟شهقت في وجهي إيه ده أنتي لسه بهدومك مغيرتيش.

قالتها وقد قفز قلبي لشهقتها حسبتها قد عرفت ماعملته...

ولكن عندما أشارت لملابسي عاد ذلك العصفور المسمى قلبي إلى مكانه.

: أيوة حبيبتي هاخذ شاور دلوقت وأنام..

خلصت.

لم ألاحظ كوب اللبن وقطعة الكيك التي وضعتها على المنضدة كنت مشوشة الفكر هناك، ألف ذبابة تطنطن في رأسي.

إلهام: طيب حبيبتي اشربي اللبن، وكلي حتتة الكيك زمانك جعانة قبّلتني، وألقت تحية المساء، وغادرتني.

أغلقت الباب،

أسرعت وراءها أطفئ النور..

وأعيد الكرة ثانيةأحتضن فراشي.

٢

إنه ذلك المنبه اللعين يعلن بقدوم أول يوم في الامتحان، أغلقته وهرولت إلى الحمّام مسرعة؛ كي أتحمم وأغير ملابسي، وأنزل قبل أن تأتي امي وتراني على الحال التي تركتني عليه.

نزلت ومعي كوب اللبن وقطعة الكيك، رميتها وسكبت اللبن في

الحوض وتركت الأطباق.
ها أنا ذا جاهزة للانطلاق إلى المدرسة، لم أكن خائفة أو مترددة.
أعرف إني سأجيب، وأن مس تهاني ستفي بوعدها.
: صباح الخير يا لولو.
إلهام: صباح الخير حبيبتي ما شاء الله، لسه مجتش سبعة
سته ونص وأنتي جاهزة يا روحي.
: أومّال يا لولو بنتك شاطرة.
وكمان حطيت الشاي على النار.
احتضنتني أمي وقبّلتني وهي تداعبني ربنا يخليكي ليا يا أحلى مريومة،
في الحقيقة كنت أحتاج لذلك الحضن الدافئ الذي يشعرني بحب خالص غير منتظر لمقابل.
جهّزت الفطور وجلسنا كعادتنا هي على رأس المائدة، والفوطة على رجلها والشوكة والسكين تتناول بهم لقيمات صغيرة، شربت كوب الشاي بالحليب، وأنهيت إفطاري.
كانت أم محمد قد أتت لترفع الأطباق، وتتفرغ لولو لي.
إلهام: أنا خلاص جهزت يا قلبي يلا عشان أوصلك المدرسة مش هتروحي بالباص.
: حاضر يا قلبي.
طيلة مسيرنا في الطريق إلى المدرسة، وأنا أفكر.
هل ستفي مس تهاني بوعدها، لم أراجع الامتحان ليلة الأمس،

ولكني ألُم جيدا بالمادة، وبإذن الله سوف أحصل على درجات عالية.

ها قد وصلنا، الطلاب يملؤون باحة المدرسة، عيني تتجول بين الطلاب كنحلة تبحث عن زهرة لترتشفها!!

نعم لقد وقعت عيني على زهرتي، وهي تتمشى مع ليلى، والصقر يراقبهما من بعيد يريد أن ينقض عليهما، إنه كان يفتش عن فريسته أيضا ولكني سبقته إليها..

: هاي صباح الخير.

قبّلت ليلى وتقربت من هيا، خدّها كان كإحساسها قطعة من جبال الألب.

ليلى: هاي مريم إزيك.

: هاي ليلى.

بادرت هيا بابتسامة باهتة أردفت؛ كي أشغلها عن النظر إلى رامي.

: عاملة إيه مذاكرة كويس؟

الحمد لله كان صوتها أنين ناي ينعي أحبة قد رمسوا.

ردّت ليلى: أيوة يا ستي إمبارح كان فيه ناس بتذاكر لها، مع ابتسامة خبيثه لم أفهم معناها إلا بعد فترة.

لقد رن جرس المدرسة، والامتحان سيبدأ...

توزعنا على الفصول، وانتظرنا ورقة الأسئلة، كانت هيا خلفي ألتفت عليها.

لو تحتاجين أي حاجه قوليلي.

تلك العيون الناعسات أحبها، وأحب بريقها، ومهما حاولت لن أستطيع الفرار من حصونها، إنها قدري.
أومأت لي برأسها، وتلك الكرزة اللامعة برضابها السكري المذاق تناديني..
كم اشتقت إليها !!!
وأنا أطير مع ذلك الرخ المسمى الشوق.
وضعت ألمس ورقة الامتحان أمامي لتسقطني من فوق ظهره، فأبدأ رحلة الحقيقة والثبات والأمل بالفوز بلقب الأولى على المدرسة، إنه يعني لي الكثير....
أنهيت الامتحان، كان هناك عندي خطآن.
نعم لم أستطع الإجابة عليهما، انتظرت إلى آخر الوقت، لم تطلب مني هيا شيئاً، سلمت ورقة الامتحان.
بعد انتهاء الوقت وسألت هيا، قالت إنها أجابت بدون أخطاء ..
صعقت، دارت بي الأرض، ذهبت لمس تهاني، لم أجدها في غرفة الموسيقى أو غرفة الأساتذة!!!!
سألت قالوا خرجت من نصف ساعة، حاولت الاتصال بها، هاتفها مغلق ..كنت كمن يصاب بدوار وهو في داخل البحر والماء يدخل رئتيه ولا يستطيع النجاة.
فتشت عن هيا، وجدتها خرجت مع والدتها، خرجت لأجد أمي، تنتظرني.
إلهام: ها حبيبتي عملتي إيه.

: إكسلانت يا ماما

: طيب الحمد لله.

نعم إكسلنت كما في السابق، ولكن ليس كما أريد، هيا تسبقني الآن تذكرت كلمات ليلى، هناك من يذاكر لها دروسها ترى من؟؟؟!!!

أسئلة كثيرة تتجول كلص خفي تحاول أن تسرق مني لحظات الفرح... حاولت طردها والتخلص من آثارها، ولكنها أبت إلا أن تعانقني لتطبق على أنفاسي، وتجعل من الاختناق وسيلة للنيل مني.

هيا عملت إيه؟؟؟ كانت أمي تتحدث إليّ وأنا في صراعي المرير مع لصي الخفي.

شدتني كلمة هيا فانتفضت لأزيح عني ذلك الجاثم فوق صدري.

: كويسة ليلى بتقول فيه حد بيذاكر لها.

إلهام: أيوة مريومة أكيد مدرس خصوصي.

: مش عارفة يا ماما يمكن.

لمعت في ذهني ومضة.

: ماما اسألي طنط مين بيذاكر لها؟

إلهام: حبيبتي ميصحش إزاي!!!؟ مينفعش أحرجها.

: ولا إحراج ولا حاجة يمكن أحتاج له يذاكر لي معاها.

إلهام: ليه مريومة؟؟!!! أنا مش بوصلك المعلومة كويس!!!!!

: لا حبيبتي مش قصدي لكن، تنبهت أني قد أجرح كبرياء أمي فهي

من تذاكر لي دروسي، وكنت دوما من المتفوقين.
: بقلك إيه سيبك صح زي مقلتي منسألش.
طيب مسألتيش هيا أنتي ليه ؟؟منك ليها... بحكم صداقتكم.
: صح يا لولو هسألها.
حسمت الموقف كأني فريسة تمساح بين فكيه يتراقص بها الخوف واستطاعت الفرار.
وصلنا البيت استأذنت وصعدت إلى غرفتي؛ كي أرتاح اتصلت بهيا كان هاتفها مشغول، اتصلت بمس تهاني.
: ألو.... إزيك يا مس.
: كويسة لكن عندي كام غلطة وبسيطة مش هتحتاج جهد في التصحيح...
: يعني أطّمن درجة نهائية؟؟؟!!¡!!
ألف شكر. بكرة ؟؟
طيب هكون عندك، لكن ماما يمكن متوافقش، عشان بعد بكرة فيه فيزكس.
أوك حبيبتي.
أغلقت الهاتف وتهت مع الريح التي تلقفتني باردة من شباك غرفتي تعانق حيرتي، فكنت كمحارب متربص بسنابك حصان مملكة النور. أطير كنسر ملكي يرى الدنيا بعيون كهنة عميان قد ظلوا طريقهم في صحراء يطلبون النجاة من ساحر القش المزيف ويأملون إنقاذهم..

احتضنت سريري وسرحت وعيني على تلك الغيمة التي تحجب عني نور الشمس ..
أراها في الأفق البعيدأطلت التركيز فيها؛ لأرى هيا وأيامنا الحلوة معا!!
وما آلت إليه علاقتنا.!! وكيف استطاعت أن تزيح ذلك الحب من قلبها؟؟
تلمست وجهي شعيرات كثيرة بدأت تتناثر حول فمي.
وقفت ونظرت في المرآة..
نعم لقد ازدادت وحتى الشعيرات في صدري وحول الثدي بدأت في الازدياد....
لاحظت وأنا أخلع بنطالي وجود الشعر الكثيف على العانة وساقي.
يا إلهي، مالذي يجري لي؟
إحساس من داخلي يرفض أي إزالة للشعر، وأنا كبنت في مجتمعنا هذا يجب أن أزيله.
تلمست مابين فخذي نتوء بدأ يبرز أكثر من السابق، أشعر بنشوة عندما تمر يدي عليه !!!!!
وكانت مس تهاني في قمة نشوتها وسعادتها عندما كنت اتحرك فوقها،
تساؤلات كثيرة كطبول حرب تدق في تلافيف مخي، وسنابك الأفكار تثير غبار التساؤلات لتغشى عيني فلا أستطيع التمييز أو التفكير!!!
هل أسأل أمي ؟؟وماذا اسألها ؟؟؟

لا مريم اطردي هذه الأفكار من رأسك الآن، وركزي على دروسك ومذاكرتك..

وفي الإجازة ابدأي بالتفكير في كيفية الخلاص من هذا الوضع الذي يربكك.

غيرت ثيابي ونزلت كي أتغدى، واذا بأمي تخبرني أن مس تهاني اتصلت بها، ولكن أمي اعتذرت عن ذهابي اليوم؛ كي لا يعيق درس الموسيقى مذاكرتي.

وسوف أذهب يوم الخميس بعد غد إليها.

لا أعرف تفسيرا لغضبي من أمي، لماذا تحرمني من الذهاب وهي تعلم أنه لن يؤثر على مذاكرتي؟ لقد ناقشتني من قبل وقلت لها أنه بمثابة ريفرش للحاسوب، يعطيني دفعه وراحة نفسية؛ كي أكمل مذاكرتي.

لم أرد أو أعلق على قرارها، بل اكتفيت بالإيماء ونصف ابتسامة.

أكملت مذاكرتي، ولم أتصل يومها بهيا، قد يكون ذلك خوفا من أن أسمع ردا يؤلمني أو غيرة منها؛ لأنها قد أجابت على جميع الأسئلة وبتفوق.

٢

أوصلتني أمي إلى المدرسة، وصلنا متأخرين كان هناك ازدحام بسبب حادث في الطريق، دخلت الفصل مهرولة قبل بدأ الامتحان، لم يؤثر تأخري على هدوء أعصابي...

سلمت على المس واعتذرت لتأخري، أجابت نصف الطلبة اليوم قد تأخروا، حمدتُ الله وأنا أنظر لهيا التي لم تحس بوجودي، كانت تنظر إلى حافظة الأقلام التي أمامها كأنها تستعجب وجودها أمامها!!

جلست في مقعدي المخصص، وبدأت المس بتوزيع أسئلة الامتحان، والاستاذ كان يراقبنا عن كثب، تصفحت الأسئلة إنها سهله للغاية آه. إلا هذا الفرع من السؤال !!!!

جمعت شتات أفكاري وبدأت الإجابة بهدوء وروية، أكملتها جميعا وأنا واثقه بأنها صح إلا هذا السؤال اللعين الذي احترت بأمره ....

انتهى الوقت وأخذوا منا الأوراق والكل يتباكى من صعوبة الأسئلة.

نظرت إلى هيا، تقربت منها لأسئلها:

عملتي إيه

هيا: الحمد لله كلو تمام.

أجابتني وهي تنظر الى باب الفصل ...

إنه هناك ينتظرها.

لملمت أقلامها مسرعة، وتظاهرتْ أنها تكلم ليلى نادت عليها، وأنا أقف مثل جبل جليد أشرقت عليه شمس حزيران.

أسرعت هي وليلى الخطى، وأوأنأنظر إليهما، ذهبا ناحية رامي الذي يبدو أنه يحل لهما الأسئلة، وأنا غارقة في مياه الحزن التي أغرقتني وقطرات تتساقط من عيني دون أن أحس، إذا بصوت الفراشة تناديني تنبهت ومسحت عيوني.

أيوة.
مس تهاني: عاوزاكي في غرفة الموسيقى.
طيب أنا رايحالها.
خرجت من الفصل ومررت بهيا ورامي وضحكاتهم كطبول حرب تخطف قلبي رعبا.
دخلت غرفة الموسيقى وإذا بقمر يشع وهجا والقا، وصوت ناي يداعب شغاف قلبي.
مس: عملت إيه؟ كانت حروفها تخرج من أوتار كترنيمة رهبان في يوم الأحد.
: كويسة فقط فرع من سؤال مجاوبتش عليه، في صوتي غصة وحزن آثار شجن في قلب مس تهاني.
مس: وزعلانة ليه أنا عند وعدي اعتبري نفسك واخذه نمر نهائية.
قالتها بنبرة الملكة الواثقة من إصدار مرسوم ملكي تنفذه الرعية.
مس: بكرة هتيجي بعد الامتحان هبعتلك السواق.
: حاضر يا مس.
الذي يسمعها وهي تأمر وتتكلم بهذه اللهجة القوية لن يستطيع أن يتخيلها وهي تحتي في فراشها الدائري الوثير تتوسل بي وتقبل كل قطعة في جسدي!!!!
سرحت قليلا وهي تحدثني، لم أعِ ماقالته فقد كنت أراها عارية أمامي تطلب مني أن ألثم جسدها من رأسها لأخمص قدمها، النشوة تنسيها من حولها.

فتتحول إلى قطة شيرازي لطيفة تطلب اللذه بتوسلها لي.
استفقت على كلماتها.
مس: هيييه مريم روحتي فين.
: أبدا مس معاكي.
مس: طيب أنا في انتظارك بكرة متغيبيش.
أكدت لها المجئ، وخرجت كانت هيا ورامي قد غادروا، ولم أجد سوى ليلى على باب المدرسة في انتظار والدها، كانت تكلمه على الفون، انتظرت لحين أكملت وسلمت عليها، كانت لولو لم تأتي بعد، وجدتها
فرصة لأعرف من هو الذي يذاكر لهيا.
صعقت ودارت بي الأرض إنه رامي!!!!!!
قالت إنه يذهب عندهم وتذهب هيا عنده، قلت ولكنه في ثانوية عامة ويحتاج هو أيضا للمذاكرة، قالت هم مقتنعين بقدرته، ووالدتها ووالدته متفقتان على كل شئ كلها أربع سنين ورامي يخلص جامعة ويتجوزوا.
إيه؟؟؟؟!!!!! يتجوزوا؟؟
أيوة يا مريم هيا قالتلي إن أهلهم متفقين على كل حاجة، وأبهاتهم وماماتهم متفقين، وكلها مسألة وقت.
احمليني ياراح وخذيني إلى عالم اللاوعي، وصُمّي يا رعود أذني، ويا برق اخطف نواضري؛ كي لا أرى، رجلي باتت لا تحملني أنا كمن صعقته قوة نووية أذابت ما بجمجمته من دماغ، وجعلت من قلبه

نسيج خاوي متهالك كخيوط العنكبوت.
ليل: مالك يا مريم وشك أصفر.
: أبدا مفطرتش... أهي ماما وصلت تجي معانا نوصلك.
صوتي مبحوح وحروفي ظلت مخارجها بالكاد ترى نفقا لتمر منه.
ليلى: لا حبيبتي بابا زمانه جاي الطريق زحمة شوية.
طيب يا روحي، قبّلتها، وفتحت باب السيارة، وألقيت نفسي على الكرسي كفضائي وحيد تحطمت مركبته على جرم صغير.
إلهام: إيه يا قلبي؟؟ عملتي إيه؟ آسفة على التأخير، أنا حتى مروحتش البيت رحت عند خالتك، ورجعتلك الطريق زحمه أوي.
: معلش يا لولو مباقليش كتير واقفة.
إلهام: طيب ياقلبي إجابتك حلوة.
: كله تمام فل مارك إن شاء الله.
كانت ابتسامة الرضى والسعادة على وجه أمي كترياق هدأ من ثورة روحي.
اجتهدت كثيرا في هذا اليوم.. أريد أن أنسى ماقالته ليلى ..لا أريد سوى أن أكون الأولى على المدرسة وبأي ثمن.
: صباح الخير يا لولو.
:صباح الخير حبيبتي.
: يلا افطري وأنا أسخن العربية.
: متستعجليش مش عاوزة أوصل بدري عشان العيال ميلخبطوش معلوماتي.

عاوزة أفضل هادئة ومسيطرة.
إلهام: طيب ياروحي بس عشان الطريق.
: متخافيش هنلحق إن شاء الله.
ارتشفت آخر قطرة من كوب الحليب أخذت حافظة أقلامي وانطلقنا.
وصلت مثل الامس الفرق اني لم انظر لهيا ..!حاولت أن اتلاشى وجودها اتت ورقة الاسئله محملة بنسائم ربيع مزهر نعم انها اسئله سهله لن احتاج اليوم لأحد ..اجبت بسلاسة ولم أتأخر كأنما قد حفظت الأجوبة مقدما ..انهيتها وسلمت الورقة كان الطلاب يولولون، وهمساتهم لها أز كخلية نحل والمراقبون يعلو صوتهم، يأمرونهم بالصمت وإلا سيخرجونهم من القاعة، لم أحس يوما بالزهو، كما الآن سمعت همهمة من ورائي تناديني.
هيا: محليتش السؤال التاني بسرعة أرجوكي الوقت هيخلص،
كنت أسمع كلماتها واحترق..
أتمنى أن أغششها ولا أريد..
كل جزء بي كان يصرخ ردي عليها: إنها كلمات بسيطة.
ممكن أن تنجح لو قلتها!!
ولكن لساني أبى أن ينطق.
صممت أذني عنها، قد يكون عقابا لها أو يكون تشغيل بها أو شئ اخر بعيد عني لا أعرفه.
وفي اللحظة الأخيرة وضعت يدي على فمي، وحاولت الرجوع للوراء

كي أحل لها المسألة، ولكن المراقب صرخ في وجهي وقال: إنه سيحتسب ورقتي غشا لو تكلمت ثانية.

صمت وكان هذا من دواعي سروري.!!

مرت دقائق انتهى الوقت وسحبوا الأوراق..

نظرت إلى هيا، لآلئ تتناثر على طبقين قرمزيين، انخلع قلبي من مكانه وكنت أتمنى أن احتضنها وأضع رأسها الجميل على صدري، وأهدهدها كطفل رقيق.

: آسفة حبيبتي حاولت، لكن شفتي عمل إيه.

لم تنظر لي ولم تتكلم مسحت دموعها ولملمت أقلامها، وخرجت أمامي كأني غير موجودة، مشيت ورائها لأرى رامي ينتظرها، كانت تشكي له وهو يطبطب عليها ويهون عليها الأمر مع زحمة الطلاب وأصواتهم المتعالية، كنت أسمع همسهم أحس بأنفاسهم تكويني، وبينما أنا اتفحص ذلك المقطع من فيلم رومانسي، إذا بالعاملة تناديني مس تهاني تنتظرني.

هرولت مسرعة لها؛ لأداوي ذلك الجرح الغائر الذي سببته لي هيا، كانت تجلس وراء مكتبها كالبدر يضئ سما الدنيا ورائحة عطرها الباريسي تعبق بالمكان، قبل أن ألقي عليها التحية

بادرتني بالسؤال أجبتها كله تمام.

قالت ألن تحتاجين مساعدة، أخبرتها فل مارك إن شاء الله...

كنت كفهد جريح يلعق جرحه ويداري ألمه، ويحاول أن يكون متماسكا.

اتفقت معي على يوم الخميس، لم أرد عليها، فقط أومأت برأسي، وألقيت التحية.
مرت أيام الامتحانات التالية، وكانت تسألني كل يوم، وكنت بين المتفوقة وبين أجوبة ناقصة، وكانت تطمأنني، وكنت أثق فيها.

أتى يوم الخميس آخر يوم في الامتحان، ولكنها لم ترسل في طلبي، وأنا لم الحفل بذلك فكنت سوف أراها عصرا، عندما تبعث لي سائقها، لكن مر اليوم ولم تتصل بي، وأمي تحاول الاتصال بها وهاتفها مغلق.
كانت خالتي وبناتها قد أتوا لقضاء باقي اليوم والمبيت عندنا، اقترحت أمي الذهاب إلى المول، وتناول العشاء هناك، في الحقيقة سعدت كثيرا كنت محتاجه لمثل هذه الأمسية؛ كي أغير من مود المذاكرة.
رن جهازي النقال، أخرجته من جيبي، إنها مس تهاني.
: ألو ...هاي مس... أيوة إحنا هنخرج نتعشى.
طيب أقول لماما، ماما مس تهاني عاوزة تكلمك.
إلهام: ألو.. نعم حبيبتي .. آه مسمعتوش عشان في غرفتي، وأنا برة!! أيوة كنا خارجين.. طيب يعني هتتأخروا؟؟؟
أوك هخليها تلبس وتستناكي ..باي...
دي مس تهاني بتقول فيه حفلة بتاع بيانو، وعاوزة تاخذ مريم معاها عشان تشوف العزف، والحفلة ساعتين مش هيتأخروا.

كانت أمي توجه الكلام لخالتي بطريقة تحسسك إنها تعتذر منها بموافقتها على ذهابي.

: أصل مريم هتعزف على البيانو في حفلة المدرسة.

خالتو، ومالو حبيبتي كلها ساعتين، وترجعي إحنا موجودين لبكرة.

ماما: لبكرة إيه انتو قاعدين لآخر الإجازة مين هيسيبكم تروّحوا هههع.

خالتي: عشان خالد يومين وراجع مش هيتأخروا.

كان نقاشا عقيما، تركتهم وذهبت لكي أغير ثيابي.

فإذا بأمي تشهق عندما تراني.

إيه يا حبيبتي اللي أنتي لابساه ؟؟؟!!!!!

دي حفلة حبيبتي لازم تكوني فيها بكامل أناقتك.

ضحكت وأنا اتفحص نفسي: طيب يا لولو فيه أناقة أكتر من كدة؟؟

واحتضنتها مداعبة لها.

صمتت على مضض، وكذلك كي لا تزيد من إحراجي أمام خالتي وبناتها.

أتت مس تهاني، وخرجت إليها، صعدت السيارة، وجلست بجانبها جميلة تخطف الأنظار طيلة الطريق، كانت تسألني عن أجوبتي، وعن مشروع الإجازة، وأننا سنلتقي كثيرا، وصلنا إلى فندق فايف ستارز، وطلعنا في المصعد إلى الطابق الخامس عشر إنها صالة ديسكو، وليست حفله بيانو.

نظرت لي بغنج ودلال، شوفي عيشي حياتك هنا، وأنا تهاني ولو سمعتك تقولي يا مس هموتك!!!
تركتني وأخذت تتمايل على أنغام الموسيقى الصاخبة، ومن ثم أتت وهي تمد لي كلتا يديها، وبدأنا بالرقص سويا، كانت ليلة صاخبة، كانت المرة الأولى التي أحس بها في الانطلاق بهذا الشكل.
كنت كنسر يطلق جناحيه للريح ويحلق عاليا، نسيت كل شئ إلا وجود تلك الأيقونة الجميلة التي أبهرت الجميع..
كانت كملكة يتهافت عليها الكل؛ ليقدموا آيات الولاء والطاعة!!
وهي لم ترى إلا أنا! كانت ترقص معي أنا فقط.
انتهت الحفلة وأعادتني إلى البيت، دخلت معي لتتأسف لوالدتي على تأخرنا، أمضينا أربع ساعات معا، كانت الأروع في حياتي، لم تمكث طويلا خرجت ونظرات خالتي وبناتها تكاد تخترقها.. أنهم ككاشف المعادن في المطارات بدأوا بفحصها من رأسها لأخمص قدمها وأفواههم مفتوحة، لم ترد شفاههم إلا باي بعد أن قالتها مس تهاني وهي تخرج.
إيه ده؟ دي جميلة أوي.
قالتها خالتي، وابتسمت أمي لها وشاركتها الرأي آما أنا فكنت كمن تدحرج من أعلى جبل..
أريد أن أحتضن سريري بأقرب فرصة، فسلمت عليهم وهرولت لغرفتي، لم أفتح عيني إلا عندما سمعت طرقا على الباب.
بنات خالتي يريدونني أنزل كي أتناول الفطار.

أيوة جاية، كنت أتمنى وأفرد جسدي المتعب من الرقص، أخذت حمّاما ونزلت.

: صباح الخير رد الجميع وهم على طاولة الإفطار.

أصبلك شاي، والا شاي ولبن.

: أيوة حبيبتي شاي ولبن، شربت كوب الشاي فقط، ولم أتناول أي شئ معه مع محاولات أمي، كان جنبي يؤلمني جدا، ولكني لم أعره بالا .

كنت أظن أنه من الرقص و(التنطيط).

هنروح فين النهاردة كانت ورد تتسائل.

المكان اللي تحدّدوه ردت أمي وهي تنظر إلي تريدني المشاركة برأيي.

ياسمين: إيه رأيكم نروح إسكندرية؟

اسكندريه إيه أنا عندي دروس بيانو يوم بعد يوم.

طيب نروح السخنة بكرة الصبح، ونرجع بعد بكرة الظهر، ولمدة تقدري تروحي، وإحنا كمان نكون اتبسطنا قالتها خالتي، ولم تنزل عينها عن عين أمي كأنها تطلب موافقتها على هذا المقترح.

إلهام: أيوة يا هيام فكرة ممتازة.

إيه رأيكم يا بنات، رأيت الموافقة، وسمعتها من الجميع، لم يكن لي سوى الرضوخ لهم وافقت.

وبدأت في التجهيز للرحلة فقد غيرو فيها الموعد، سنذهب عندما أعود اليوم من درس الموسيقى؛ كي يكسبوا الوقت.

لم يمر إلا ساعات قليلة، وإذا بمس تهاني تستأذن والدتي أن

السائق سيحضر ؛ ليصطحبني، كانت السيارة تقف في الباب، وعيون بنات خالتي ترمقني، وكنت أزهو فخرا، وأنا أجلس على المقعد الخلفي كطاووس بنفس ريشه خيلاء.
لوّحت لبنات خالتي، وسارت بنا السيارة بعيدا، التفت ورائي وهم لايزالون ينظرون إلينا.
وصلت إلى الفيلا لأرى مليكتي تنتظرني أمام البيانو، أوصلني الخادم إليها، لم اكن أميز أي القطعتين أثرى هي أم ذلك البيانو القيّم الذي يتلامع ويبرق من شدة النظافة والاعتناء، سلمت عليّ، وأجلستني بجانبها، وبدأت تتلمس أصابعي، وتضعها على أصابع البيانو، وتحاول جذب انتباهي لما أعزف.
كل إصبع أعزفه أكتبه في النوتة، كان اليوم درسا حقيقيا في البيانو تعلمت فيه الكثير..؟
أخبرتها عن سفري، قالت غير مهم أنا لن أحتاجك لغاية الأربعاء، تعجبت لحديثها لا تحتاجني هي من قالت لي سوف أوافيها يوما بعد يوم !!!
مالذي حصل ؟؟ هل وجدت غيري!؟؟
أسئلة كثيرة باتت تقض مضجعي لقد أحبطت...
أتيت وكلي شوق لها فلمسة يديها أثارت في داخلي ألف بركان.
كيف سأطفئ تلك الحمم المشتعلة في داخلي.
عدت للبيت وبدأت رحلتنا لم أحس بالسعادة.

الرحلة:

١

وأنا هناك أتمشى لوحدي وقع ناظري على مالم أكن أتوقعه يوما صاعقه السماء صعقتني، عندما رأيت هيا ورامي متشابكي الأيدي عيونهما في عيون بعض، لا يحسان بوجود أحد معهما، إنهما في عالم ثاني..

يطيران على جناح الهوى، لم ينتبها لوجودي وصلت إليهما، مايبعدني عنهما سوى أمتار معدودة كنت أقف أمامهما في الممشى الممتد على ساحل البحر في نهاية القرية..

الضوء الخافت يزيد من سعادة وشغف المحبين

أهلا هيا ..قفزت وأبعدت يدها كقطة لدغها ثعبان، وهو لم يكترث ولم ينبس ببنت شفة.

آه آه أهلا مريم قالتها وهي تتأتأ كأنها رأت غولا من روايات ألف ليلة وليلة.

ابتسمت لها، ومددت يدي لتلامس كفها، لايفرق ببرودته عن ليلة من ليالي طوبه.؟

أهلا رامي وجهت وجهي ناحيته، كنت أتفرس وجهه، وأغوص في أغوار روحه، كان رده باردا، لم أصافحه بل اكتفيت بالسلام، وألتفت إلى هيا.

هيا طنط هنا معاكم؟؟؟

أومأت لي برأسها وهي مطرقة إلى الأرض، ثم أردفت ، طيب عشان

أقول لماما دي هتفرح أوي من زمان مشافتش طنط...
أنتو في شاليه نمرة كام؟
رد رامي بسرعه آخر الصف ده.
: هههههههه طيب متزقش ..فيه إيه !؟؟؟
كأنك بتقلي أمشي ..طيب يا عم معلش قطعت عليكم حبل أفكاركم، أنا ماشيه قلتها بتهكم واضح.
صرخات تترا تدوي في الأفق تتداعى لها براعم أمل مسحوق تحت رحايا الخداع.
تركتهم وأنا أحمل بركانا يأس لو انفجر سيحيل كل شئ إلى ركام ....
كنت أراقبهم من بعيد، اشتبكت الأيدي من جديد، رائحة البحر تمتزج بعطر هيا فتأخذني بعيدا إلى تلك الأيام الجميلة التي كنا فيها واحدا لايتجزأ ...
عدت للبيت ساهمة لا أتكلم، لم أخبر أمي برؤيتي لهيا، كانت ترتب أغراضنا في غرفتها، وكانت خالتي والبنات قد أتوا من الخارج.
خالتي: مساء الخير.
: مساء النور.
خالتي: تعرفي شفت مين هنا ؟؟؟؟
مش هتصدقي.
قالتها خالتي وهي تضع الأغراض من يدها.
ماما: فين...
خرجت أمي تتسائل فيه إيه مالكم؟

هيام: مفيش شفنا هيا وواحد كانو بيتمشوا بين الشاليهات.
ورد: متحاضنين با طنط.
هيام: بس يابنت عيب.
إلهام: إيه أنتو متأكدين إنها هيا؟
ورد: أيوة يا طنط.
هيام: قلنا نخرم من بين الشاليهات..دول كانوا في وشنا حاضنها...!! اتفجعت لما شافتنا، معرفتش تقول إيه لما سلمنا عليها، الواد طويل وحليوة.
بس عرفت إزاي.
كانت كلمات خالتي سهام تغرز في قلبي ولا أستطيع الكلام.
إلهام: خلاص يا هيام انتهينا بلاش كلام في مواضيع زي دي.
انتهت خالتي لصحة كلام أمي، فغيرت كلامها آدي يا ستي الحجات اللي محتاجينها.
ورد: رحتي فين يا مريم دورنا عليكي ملقيناكيش.
: أبدا اتمشيت شوية ورجعت.
ورد: طيب تيجي نلعب ورق.
: يلا معنديش مانع.
خرجنا في باحة الشاليه، وبدأنا لعب الورق، وكنت أغش وأفوز واضحك ضحكة المذبوح على المقصلة..
حاولت أن أنسى أو بالأحرى أتناسى مارأيت وسمعت، قضيت مع البنات وقتا ممتعا، وشطائر الجبن والمشروبات الباردة كالأطباق

الطائرة تغزونا كل ربع ساعة، وكذلك أمي وهيام كانوا مستمتعين بالجو النظيف والهدوء الأخّاذ.

إنها الخامسة من صباح اليوم الثاني، لم نشعر قط بالوقت لولا بزوغ الفجر والصلاة التي لم تتأخر عنها لولو طيلة حياتها ...

دخلنا جميعا ونمنا ولم أشعر إلا ولولو توقظني.

إيه مريومة أنتو جايين تناموا!!؟ يلا ياروحي الجو يجنن قومي حضرت الفطار والبنات مستنيين.

: حاضر يا ماما ... أفقت متثاقلة كل شئ حولي جامد ليس فيه حياة، روحه قد تلاشت، أصبح بلا طعم، جلست أتناول الإفطار بعد تحية الموجودين، بدأت بشرب كوب الحليب، وبنات خالتي يتحدثن عن قضاء وقت ممتع بعد أن عملن برنامج، وأردن إشراكي، والأخذ برأيي.

: براحتكم اللي عاوزين تعملوه أنا موافقة عليه..

كانت مسحة الحزن التي في نبرات صوتي كفيلة بأن تثير تساؤلات أمي.

إلهام: مالك ياروحي حاسة إنك تعبانة.

: أبدا يا ماما أنا كويسة الحمد لله.

ورد: طيب يلا غيري بسرعة عشان هنلعب ونتفسح النهاردة، لازم نعوض النوم اللي نمناه!..

ياسمين تنهض مسرعة وتتجه لغرفتهم، وتخرج بحقيبة منتفخة.

أنا جهّزت كل اللي هنحتاجه بس تغيري وننطلق.

بدأت ورد (بالتنطيط) والقفز فرحا وسعادة لهذا البرنامج الذي نظمته.

خرجنا سويا إلى الشاطئ، الجو كان جميل بالفعل لعبنا كرة الطائرة واستأجرنا دراجة الشاطئ المسماة (بيتش باجي) كنت أقودها كالمجنونة والبنات معي يصرخن، ويتوسلن بي أن أخفف السرعة، نسيت ماكنت أعانيه من جمود، ودبت بي الحياة وأنا أنطلق مسرعة ولفحات الهواء البارد تتلاقفني؛ لتطفئ بركان روحي الثائرة ...

حين رأيت الممشى الذي كان عليه هيا ورامي كنت أزيد في السرعة لأخفف من وطأة النار التي تحرقني

شارفت الشمس على الغروب فجمعنا أغراضنا، وذهبنا لنأخذ حمّاما ونبدأ في جولة حول القرية مع أمي وخالتي..

وبعدها نذهب للمطعم لتناول العشاء.

كنت أحاول نسيان هيا وعدم التفكير بها وقضاء وقت ممتع.... إلى أن دخلنا المطعم كانت هيا ووالدتها ورامي ووالدته وأخته في المطعم، ولسوء الحظ قد رأونا ؟؟؟

أتت والدة هيا لتسلم على أمي.

أهلا حبيبتي فرصة سعيدة أوي إني شفتكم، قالتها وهي تقبّل أمي والتفتت إليّ فبادرتها:

أهلا ي ا طنط إزيك حضرتك وحشتينا.

: اهلا يا حبيبتي.

رأيت هيا تأتي بخطى بطيئه كمن يساق إلى غرفة الإعدام:
أهلا يا طنط سلمت على والدتي وقبّلتها.
أهلا حبيبتي إزيك يا هيا.
الحمد لله ثم التفتت إلي إزيك مريومة.
إزيك هيا عاملة إيه.
الحمد لله.
طنط فتحية: لو أعرف إنكم جايين كنت قلت لمامة رامي تحجز شاليهين جنب بعض أصل هي اللي عزمانا ...العيال تعبوا من المذاكرة قالت نرفه عنهم شوية.
كنت أنظر إلى هيا بعيون صقر يتمنى أن يقتنص فريسته التي أتعبته.. ومن ذوق أمي ورقيها ذهبت مع طنط فتحية؛ لتسلم على والدة رامي التي كانت تلوّح لها وتبتسم...
لم أتحرك من مكاني شددت الكرسي، وجلست وتظاهرت بأني أقرأ قائمة الطعام التي أتى بها النادل ....
أتت أمي لتبلغنا أننا سنذهب سويا إلى الشاطئ غدا؛ لنكون بصحبة بعض.
لم أرد مع ترحيب خالتي وبناتها على هذا الاقتراح.
طلب الجميع الطعام وانتهينا، كان جيراننا أسرع منا في مغادرة المطعم...
رن جرس هاتف والدتي إنها مس تهاني..
أيوة يا مس .. أوي حضرتك.. كويسين ومبسوطين كنا نتمنى

وجودك معانا.. ياريت تيجي نكون سعداء أوي
طيب أخلي مريم والبنات يستنوا حضرتك على بوابة القرية.
خلاص.. مدام عارفه المكان حضرتك إحنا في شاليه ٤٥ أهلا وسهلا. هتنورينا ..مع السلامة.
إلهام: دي مس تهاني جاية.
: مس تهاني إيه اللي هيجيبها.
إلهام: عزمت عليها وافقت ... أظن إنها وحيدة وست راقية أوي ..أنا عجبتني أخلاقها ورزانتها وذوقها.
أيوة صح... آه يا أمي لو تعرفي ماتفعل مس تهاني مع ابنتك كنت ستنفيها إلى أقاصي الأرض.

٢

خرجنا من المطعم وتمشينا قليلا على ساحل البحر وعدنا إلى الشاليه..
كان دور أمي في الاستحمام بعد خالتي، وأنا والبنات في شرفة الشاليه، وإذا بمس تهاني تنزل من سيارتها، وتدخل بوابة الشاليه!!!
هرولت ناحيتها أرحب بها ردت على ترحيبي.
مس: حجزت شاليه ..لازم أشوفك الليله مش هستحمل أكتر.
كانت تهمس لي كتغريدة كناري، قطعت تغريداتها تحية بنات خالتي: اتفضلي يا مس أشرت لها فدخلت واستقبلتها خالتي بحفاوة،

وقدمت لها تحية الضيافة.
كانت والدتي قد خرجت توا، وارتدت ملابس الخروج؛ لاستقبال الضيفة، سلمت عليها ورحبت بها.
وابلغتنا أنها حجزت شاليه، ولكنه بعيد عن هنا.
فردت ووالدتي:
أيوة إحنا بالعافية حصلنا عليه الإجازة زي ما أنتي عارفة، والكل عاوز يستغلها ...
طيب حجزتي ليه كنت بقيتي معانا المكان واسع.
مس تهاني: ميرسي أوي أنا قلت أقضي النهار معاكم كمجموعة، والليل مش مشكله لوحدي.
إلهام: لأ صعب مدام الشاليه بعيد ومتطرف، لو عاوزة مريوم معاكي تونسك معنديش مانع، وتيجو الصبح نفطر سوى.
يا الله كان كلام أمي كبلسم وضعته على جزء محروق وملتهب فبعث فيه برودة وراحة.
مس تهاني: ياه حضرتك راقية وطيبة أوي ميرسي.
لكن ياترى مريم هتوافق تيجي، وكمان مينفعش أحرمها من صحبة البنات.
: أوك يا مس طبعا معنديش مانع هو بالليل والصبح نيجي وطبيعي وقت النوم أنا في غرفة ماما حضرتك مش هتأثري عليا.
كانت ترمقني بنظرات لم أستطع مقاومتها، كل أوصالي كانت متعطشة لشمة عطرها..

أظن أن وجودها تعويض لي عن ضياع هيا، وكي أخرج من هذا الأتون الحارق ...
وفعلا كنت بحاجة لتفريغ تلك الطاقة المتراكمة في داخلي.
إلهام: طيب خلينا نسهر سوى، ولما حضرتك تنوي تنامي خذي معاكي مريم.
ابتسمت لأمي آه ياربي!!!!
لم ألاحظ تلك الغمازة التي تنير صفحة خدها وتزيده إثارة...
وأجابت كنسمة صباح في يوم ربيعي مشمس .. أوك.
إنها الثانية بعد منتصف الليل، وحان وقت الذهاب مع مس تهاني.
وصلنا الشاليه كانت المجموعة كلها بصحبتنا أوصلونا واطمأنوا وبعد ذلك عادوا.
وما أن أغلقنا الباب انقضت على كأسد لم يأكل منذ فترة،كانت تلتهمني إلتهام، علمتني أشياء لم أكن في يوم أتخيلها ..
أشعلت أول سيجارة أشربها ..علمتني كيف أشربها، كانت لذيذة هي والسيجارة والليلة دارت بي أرض الغرفة واعطتني طاقة ألف أسد، كنت أصول وأجول بلا هوادة، كانت مهرتي الجامحة، لم تكتفي بخمس مرات ....كانت تريد المزيد والمزيد ...
أشرقت الشمس ونحن مازلنا في ساحة الوغى، نحارب ذلك الشيطان الذي لم نستطع الفكاك منه، ولم نشفي غليلنا بعد.
كنا تارة ننام على السرير وأخرى على الأرض وآخرها اقترحت أن ندخل الحمام سويا، لقد أرتني في هذه الليلة دنيا لم ولن أراها

مهما عشت وتعلمت.
سألتها بعد ذلك لماذا تركتني أسبوع ولم تسأل عني قالت وهي تبتسم وتضع المفروش على جسدها العاجي العاري تماما أمامي:
إنه مرض نسائي لم أجربه، وأنها ستمتنع عني كل شهر أسبوع.
خليني أنام شوية، البسي أنتي ولو عاوزة تروحي تفطري براحتك.
جلست على حافة السرير أنظر الى ذلك الجسد المسجى أمامي، وإلى تلك العينين الماكرتين، مسكت كفها، وبدأت بتقبيل أصابعها وهي في غاية النشوة والسعادة.
: طيب ياروحي أسبقك، لكن أخاف عليكي تأخذك النوم ومتاكليش حاجة.
مس: هههههه متخافيش ياروحي ساعتين، وآجي عاوزة تنامي هنا نامي معنديش مانع الغرفة التانية فاضية..
يلا بقى عاوزة أكسب وقت، شدت أصابعها وأدارت ظهرها.
إنه كطبق بلور يتلامع بريقه، يأخذ الأبصار..
نهضت وذهبت الغرفة الثانية بعد أن ارتديت ملابسي، كنت أحس بدوار رغم كمية الماء الباردالتي سكبتهاعلى رأسي، خفت لو مشيت أن أقع .
استلقيت على السرير ، ولم أفق إلا على يد مس تهاني وهي تعبث بما بين فخذي..
فتحت عيني لأراها عارية تماما أمامي، نهداها البارزان ذو الحلمة الوردية البارزة تناديني، إنها تقف أمامي تتلوى كثعبان الكوبرا.

لم أتمالك نفسي قررت الانقضاض عليها فنهرتني، لا ليس هكذا أريد، كانت تقف أمامي تضع رجلا على الأرض وأخرى على السرير، أمرتني بالجلوس على الأرض على ركبتي وعلمتني مايجب عمله، كنت طوع أمرها لا أعصي للملكة أمرا..

وبعد ذلك استفردت هي بي كنت كالتائه في صحراء لايعرف ماذا يعمل عطشان وهناك من بيده الماء ليرويه....

مر وقت طويل ونحن لم نرتوي من كلينا، أيقظنا صوت الهاتف..

إنها أمي أشارت لي مس تهاني بالرد.

لقد قلقت علينا إنها الثانية عشر ونحن لم نأتي، والفطار جاهز.

اعتذرت مس تهاني من المجئ لأنها حسب قولها لا تفطر وسترانا عصرا على الشاطئ.

لبست ثيابي المترامية على الأرض، وودعتها على أمل اللقاء.

وصلت وسلمت على الجميع قبّلت أمي، تعجبت من منظري ومن انتفاخ عيني، تعللت أني لم أستطع النوم جيدا، وأني كنت قلقة وأبلغتها أني سآخذ حماما سريعا وأعود للفطار.

كان هناك صداعا يفتك برأسي، لم أستطع الإفصاح عنه، فالجميع يستعد للنزول إلى الشاطئ كما وعدو والدة رامي وطنط فتحية.

إحساسي بهيا تلاشى، لم أفكر بها وأنا أرتب الأشياء مع بنات خالتي.

وصلنا الشاطئ، وجدناهم في الانتظار، ولمحت من بعيد رامي وهيا يسيران على الشاطئ، لم أعرهم بالا، أخرجت الكرة وبدأت اللعب

مع بنات خالتي إلى أن وصلت هيا ورامي وبدأوا اللعب معنا كأن شيئا لم يكن لا مع هيا ولا مع رامي ...

مرت ساعات إلى قبل الغروب حيث أتت ملكتي من بعيد تلبس بنطالا فوق الركبه وتي شيرت وتضع إيشاربا على رقبتها وتلبس قبعه من الخوص راقية الصنع وحقيبة من الخوص، وتضع نظارة شمس من النوع الغالي جدا ...

ملكة بكل معاني تلك الكلمة سلمت علينا، وتعرفت على والدة رامي وطنط فتحية جلست وكان كرسي البحر هو كرسي العرش الذي ازدان بوجودها.

قرر الجميع الذهاب لتناول العشاء في مطعم الأسماك.

بعد تغيرنا لثيابنا ذهب كل منا لشاليه الخاص، وكان موعد اللقاء بعد ساعة عند المطعم.

حاولت الذهاب مع ملكتي لتوصيلها، ولكنها رفضت وقالت بعد العشاء سنكون سويا، طلبت مني الذهاب مع والدتي؛ كي لا أثير شكوك أحد..

وافقتها وذهبت مع المجموعة للاستحمام وتغيير الملابس، وبعد ساعة كان الجميع قد اقتربوا من باب المطعم، أنهينا طعامنا كان وجود مس تهاني قد خفف علي وطأة الغيرة من رامي الذي بدا مهتما جدا بهيا... كان يقشر لها السمك، ويضعه على طبقها، كانت ملكتي تتناول السمك بالشوكة والسكينة كأمي، والباقين كانوا يستعملون أصابعهم العشرة في الأكل، كنت ألاحظ أدق

التفاصيل؛ لإعجابي وانسياقي وراء مس تهاني، خرجنا للتمشي، كانوا يتجاذبون أطراف الحديث، وأنا
أسير بخطى بطيئة عن الجميع..
كانت ملكتي ووالدتي وخالتي في المقدمة، وطنط فتحية ووالدة رامي معا، وأنا وبنات خالتي وراءهم، وفي الخلف يسير رامي مع هيا، حاولت أن أتخلف كي يسيرا أمامي ..لم أرد أن اتركهم يفرحوا بهذه اللحظات
وفعلا رمقني رامي بنظره وأسرع الخطى ليصل والدته، ويترك هيا معي تمشي على استحياء..
كانت فرصتي التي لم أستغلها جيداً، لقد كنت أسير وضربات قلبي تسبق خطواتي إلى أن وصلنا شاليه طنط فتحية، كانت الساعة قاربت الواحدة، ألقينا تحية المساء، وهم سيغادرون الساعة الحادية عشر لن نستطيع توديعهم.. وبعد ذلك وصلنا الشاليه، اخذت ملابس النوم، وودعتهم للذهاب مع مس تهاني.
الحّت خالتي على تناول الإفطار على البحر، وكان الموعد الثانية عشر ظهرا أكدت علينا، وطمأنتها مس تهاني سنكون في الموعد.
وصلنا الشاليه كانت مس تهاني مرهقة، حاولت التقرب لها أخبرتني أننا سننام ونصحى عند السابعة ونعمل مانريد، وافقتها وذهبت لغرفتي، غيرت ثيابي وغرقت في نوم عميق، كأنني كنت أحلم بأنفاسها وحركات يدها تداعبني ورائحة الدخان تنفثها، لم أفق إلا عندما نفثت السيجارة بوجهي، فتحت عيني، وأنا أسعل وتمثال

مرمري عاري كآلة الإغريق يقف أمامي بيدها سيجارة ضخمة.
أنتي هتقضي الليل كله نوم.
قالتها وأنا أنظر إليها من خلال شعاع ضعيف يسقط على جسدها المرمري فيزيدها إثارة.
نهضت كمن صعق بتيار ألف فولت...
: قلتيلي ننام دلوقت وبعدين نعمل اللي عاوزينه.
مس: أيوة نمنا وخلاص، كانت تضع السيجارة في فمي، أخذتها بإصبعي وأصابعها الرقيقة الناعمة كانت تجول في جسدي كنار سموم تلهبني وتزيد من شهوتي لالتهامها ..
كنا أشبه ببوهيميين في غابات الأمازون مارسنا جميع مايخطر على بال أحد ومالم يخطر.
مس تهاني ألف امرأة وألف رجل لن تستطيع أن تكفيها وتشبعها مهما عملت، ولن تكتفي بما تفعله هي معك.
بعد أن شعرت أني قطعه ورق في مهب الرياح جهد متواصل لساعات بدأت بالضحك والتنمر عليّ.
مس: أنتي بتتعبي بسرعة مريوم لازم تاخذي أدوية مقوية ومنشطة.. أنا لسه فيا طاقة أموت لو مطلعتش.
: حاضر حبيبتي أنا كمان لسه جوايا طاقة.... كنت أتكلم كلص مسكوه متلبسا وهو يدعي الشرف والصدق
: طيب مريومه تعالي شوفي الفيديو ده هنعمل زيه ده جديد نوفي، شاهدت معها فيديو لسيدتين أحدهما زنجيه والأخرى بيضاء، وأنا

أشرب ثالث سيجارة تعطيني إياها.
قهقهت وبدأت استعرض قوتي عليها لقد أعطتني هذه السيجارة قوة شمشون، كنت أصول وأجول وأنفذ بالحرف مارأيته، لقد كان صراخ مس تهاني يلهب مشاعري، ويجعلني أقوى إلى أن تعبت هي وترجتني أن أكف.
قالت إنها المرة الأولى التي شعرت بالأكتفاء، كانت سعيدة لدرجة إنها بدأت تقبلني من رأسي لغاية قدمي، وأنا في استغراب المنتشي المنتصر في حرب ضروس يكلل رأسة بأكاليل الغار عند عودته.
مس: مش هسيبك عمري يا مريم..
أنتي حبيبة قلبي هقف معاكي لحد متدخلي أحسن جامعة، واللي تأمري بيه أنا أنفذه..
لم أصدق ما أسمع، أهو من تأثير مادخنته يترائى لي، وهلوسات سمعية أحلت بي، هذه الملكة تقبل أصابع يدي وتلثم كل جزء من جسدي وتعدني بالبقاء معها.
آه يامريم هل تصدقين ماتسمعين ؟؟ انها سحابة صيف تمر ثم ينتهي بعدها كل شئ..
لقد وعدتك هيا وأقسمت قسم الدم وخانتك وخانت القسم، هل تتوقعي من أستاذه وفي مثل ثراءها الفاحش انها لن تجد غيري؟؟؟
هيه واهمة يامريم.
كانت لحظات أحسست بالنشوة والسعادة، وبعدها عدت لعالمي ومسكت يدها أقبّلها.

وانا يا حبيبتي مش هكون لغيرك، أنا طوع أمرك.
تعانقنا معا كانت تعتصرني من شدة السعادة.
يلا مريوم خدي شاور وروّحي، وأنا بعدك هاجي الساعة بقت عشرة.
: أوك حبي أخذت حماما وودعتها، وذهبت للبيت، كانت خالتي قد أعدّت كل شئ حتى القهوة والشاي واللبن.
جهّزنا أنفسنا ولبسنا لبس الشاطئ، قررت البنات النزول إلى البحر.
سمعتهم ولكني لم ألبي ما يطلبون، لا أستطيع لبس المايوه بكمية الشعر الموجودة على جسمي فآثرت الصمت ..
وعندما أكون على البحر سأتحجج بأني نسيت أن ألبس المايوه.
كنت مشتاقه جدا لوالدتي التي بدأ لون وجهها قرمزيا قبل أن نذهب وخالتي تضاحكها وتقول إن الشمس لن تؤثر فيها لأنها والشمس صديقتان، أما أمي فهي صديقة القمر تدخلت في الحوار لا بل أمي هي القمر بذاته مع ضحكات خالتي وحضن أمي.
رن جرس الهاتف إنها طنط فتحية تقول إنهم غادروا ويتمنون لنا إقامة سعيدة، أجابتها والدتي ألف شكر وعقبال فرح هيا ورامي.
كنت أردد كالببغاء هيا ورامي !؟؟هيا ورامي!!!؟
إيه حبيبتي أنتي متعرفيش؟؟
معرفش إيه يماما؟؟
معقوله هيا محكتلكيش دي خطوبتها على رامي آخر الأسبوع...

والده ووالدها نازلين وهيعملوا خطوبة.
تلبيس دبل بس.
كنت أقف فاغرة فمي، لم أستوعب الموقف، كانت كلمات خالتي ناقوس أيقظني من تيه محتم.
هيام: لكن دول لسه صغار هما مستعجلين ليه.
ماما: الولد وحيد والدته وزي ما شفتي هي كبيرة وتعبانه عاوزة تفرح بيه أول دخوله الجامعة، يعني مش هيطولو ا فترة الخطوبة.
الجواز في سبتمبر، ثم أردفت تشرح وخلاص كام شهر يجهزو فيها.
كانت الدنيا تلف بي كمولوي في حضرة شيخ.
لم أتمالك نفسي .؟
لم يعد بإمكاني التنفس كأن الهواء قد شُفط بماكينة عملاقة وأفرغت الغرفة منه، خرجت مسرعة إلى خارج الشاليه، أخذت نفسا عميقا والدموع تتساقط من عيني بدون إرادتي.
أتت بنات خالتي.
إيه مريوم مالك؟
مفيش جهّزتو كل حاجة؟
وردّت: أيوة.
ياسمين: مس تهاني أهي جت.
نظرت إليها من بعيد بثوبها الزهري القصير، يتلاعب به الهواء ليظهر ساقين مرمريتين تعكسان ضوء الشمس الساطعة فوق الرمال، وتلك الذراعين واحدة تحمل فيها حقيبة البحر والأخرى

تمسك القبعة كي لا تطير ونظارة الشمس السوداء التي تزيد من جمال تدويرة وجهها، وتظهر لونه الزهري أكثر.

مس: هاي بنات ....

اقتربت وابتسامتها الرقيقة تعلو وجهها لترسم لنا أجمل قوسين يحتضنان لؤلؤ البحر المنضد.

هاي مس أجبتها وأنا أمسح دمعات كانت لاتزال رغم انهاري بمس تهاني إلا أنها أبت إلا أن تتساقط على خدي.

هاي مريوم هاي ياسمينة مالكم ؟!

ردت ياسمين مفيش مس إحنا بنستنى الجماعة خلصوا خلاص.

نظرت إليّ وأنت مريومة.

: مفيش يا مس الهوا جاب رملة في عيني.

خلعت نظارتها ورينى كدة وبدأت تنظر في عيني التي قد غرقت بالدموع وهي ممسكة بذقني.

حبيبتي مينفعش كدة أدخلي اغسلهم.

حاضر يا مس اتفضلي حضرتك جوه.

فتحت الباب ودخلنا، ألقت التحية على والدتي.

إلهام: أهلا أهلا مس صباح الورد اتفضلي إحنا جهّزنا كل حاجة.

تسلم إيديكم قالتها وهي مبتسمة تنظر إليّ وأنا خارجة من الحمام وقد غسلت وجهي.

كل حاجة جاهزة يلا بينا، خرجت خالتي تحمل حقيبة مليئة بالكاد ترفعها، وتعلو وجهها ضحكة وهي تسلم على مس تهاني.

خرجنا جميعا إلى الشاطئ القريب، وبدأت خالتي ووالدتي بعد وصولنا بإعداد المائدة وإخراج السندويتشات والشاي والمقرمشات التي تحبها والدتي على الإفطار.

جلست السيدات الثلاثة حول المائدة، وجلسنا نحن على الأرض وبين الطرف والدعابات التي كانت خالتي تطلقها، وضحكاتنا وبين جمال حبيبتي الأخّاذ.

هدأت ثورتي وبدأت أتناسى قليلا وأندمج معهم في الضحك والدعابة،

أنهينا الإفطار وبدأنا بتنظيف المائدة كي يشرب الثلاثة القهوة التي جهزتها والدتي مسبقا.

خلعت بنات خالتي ملابسهن، ونزلن بملابس البحر وطلبن مني النزول معهن إلا أنني تعللت بأني قد نسيت لبس ثوب البحر أو المايوه كما يطلق عليه.

وبعد أن نزلن التفتت مس تهاني وقالت لي:

طيب أنا عاوزة أنزل ...ممكن تنزلي معايا

: باللبس ده؟؟؟!!!!

مس: مش مشكلة مفيش حد حوالينا زي ما أنتي شايفة .

ضحكت أمي وقالت من غير مايوه.

هههه أيوة هي لابسه سترتج مش هيتأثر يعني تقدر تعوم فيه.

مش عارفة والله قالتها أمي وهي تنظر لي.

وأنا غارقة لا أعرف ماذا أرد.

هل أنزل البحر وأنا على هذا الحال ولا أفوّت الفرصة في السباحة مع هذا الجسد المغري!!؟

أم أبقى جالسة وأدع الأفكار تلتهمني!!؟

ها قد حسمت أمري.

: سأنزل معاكي مس باللبس ده.. مش مشكلة

انفرجت أسارير مس تهاني.

وخلعت فستانها وعلقته داخل الشمسية، ووضعت حذائها في كيس داخل حقيبتها التي وضعتها أمامها، والتفنت إلى أمي وخالتي وقالت

مش هتنزلوا معانا.

ردت خالتي وأمي: لأ كفاية علينا القعدة الحلوة دي.

واردفت أمي

thanks dear أجابتها مس تهاني كبلبل مغرد Have aniceTime

هرولنا إلى البحر، ودخلنا كانت بنات خالتي قريبات جدا منا لايعرفن العوم مثلي ومثل مس تهاني التي تعوم كسمكة زينة تجذب الناس. تتلوى في الماء وتشق عبابه كأنها سباحة قد عبرت بحر المانش من قبل

وأنا الحق بها دون تفكير، لقد بعدنا كثيرا عن الشط، وعن بنات خالتي توقفت وبدأت تسبح في مكانها وصلت إليها وقفت في الماء أمامها طلبت مني أن أحتضنها ولكني خفت الغرق، شجعتني وقالت إنها ستمسك بي وفعلا حضنتها وبدأت بتقبيل رقبتها وهي تحضنني

بيد وتعوم بيدها ورجلها، إنها سيدة لا تقاوم بدأنا بعدها باللعب في الماء وتعالت ضحكاتها وأنا أتحسس جسدها، وبدأت السباحة على ظهرها، وأنا بجانبها طلبت مني لمس مابين فخذيها، كنت مبهورة بها، لم أكن في وعيي لقد أسكرتني، ووصلت ذروتها ونحن في البحر، لم أتخيل في حياتي أن هناك جنية بحر إلا عندما رأيت مس تهاني تعوم فيه!!!!

من بعيد جاءت أصوات أكاد أسمعها قلت أنهم ينادون علينا ربما لأننا بعدنا كثيرا عن الشاطئ.

وافقت أن نعود سويا بشرط أن نذهب للشاليه بحجة الاغتسال وتبديل الثياب....

وفعلا كان لها ما أرادت... استأذنت والدتي بالذهاب لتغيير ملابسي وهي استأذنت كي تأخذ حماما، وتخلع المبتلة وتلبس ثيابا أخرى.

اخذت مفتاح الشاليه وذهبنا سويا.

أصرت الدخول سويا إلى الحمام، خفت ان تأتي بنات خالتي التي لم يخرجن من البحر فقد يغيرن رأيهن، اقترحت ان أغلق الباب من الداخل ولو أتى أحد نقول اغلقناه للأمان.

كنت كالمسحورة أنفذ ماتقول بالحرف.

دخلنا الحمام سويا كنت قد أخذت شحنة من لعبنا في البحر مدتني بطاقة غير عادية.. كنا تغتسل سويا، ولم يكن هناك أي نوع من المتعة إلا وعملناه، إنها فرس سباق مهرة لاتتعب، شبقة كنار جهنم كلما أعطيتها قالت هل من مزيد!!!؟

مرعلينا وقت لا أعرف مدته ..غيّرنا ثيابنا وخرجنا سويا كانت سعيدة جدا معي وقبّلت أصابعي وشكرتني على أسعد لحظات عاشتها، كنت سعيدة بهذا الثناء، سلمنا عليهم لم يتكلم معنا أحد على التأخير ربما لأنهم اعتقدوا من الطبيعي أن يستحم كلا منا على حدة فنأخذ وقتا،

كانت بنات خالتي قد خرجن ولبسن ملابسهن فوق المايوه وجلسن على الأرض.

أخرجت خالتي الفطائر والمشروب الغازي ووضعت الفاكهة على المائدة، كنت أحس بجوع رهيب، التهمت الفطائر وكذلك مس تهاني التي أحضرت البيتزا من المطعم.

عند الغروب جمعنا أغراضنا فهذا يومنا الأخير وغدا قبل الحادية عشر سنترك القرية بذكرياتها، ونعود للاستعداد لتكملة العام وبدء الدراسة.

وصلنا الشاليه فاستأذنت مس تهاني.

إلهام: إيه حبيبتي على معادنا هنسهر الليلة.

مس: حاضر على عشرة هكون عندكم.

حينما ذهبت اتجاه الباب فإذا بأمي تنادي مين هيوصل مس تهاني مع مريومة.

كانت بنات خالتي قد أنهكهن تعب السباحة.

مس: لأ خلاص أنا ممكن أروح لوحدي لسه مجاتش تمانية ...البنات ومريومة تعبانين، بالليل إن شاء الله هتكون مريومة

معايا وتوصلني.
إلهام: أوك حبيبتي زي ما تحبي.
ودّعتنا وذهبت وأخذت دوري في الاستحمام كآخر واحدة، وذهبت إلى الغرفه كي أضع جسدي المنهك على السرير؛ لأستريح الساعة المتبقية
غفوت قليلا، وإذا بأمي توقظني.
يلا ياروحي قومي غيّري عشان نخرج دي آخر ليلة مش عاوزين نضيعها نوم.
تثائبت وأنا أرد عليها وجسدي المنهك يصرخ يريد النوم كثكلى دفنت وليدها توا متمسكة بالفراش لا أريد الفراق عنه ...ولكنها ساعات لن تنسى محفورة في عمر الزمن.
وكل جوارحي تريد الاستمتاع بها.
ولكني أشعر بألم في خاصرتي وبطني!!!
ربما يكون من التعب والسباحة..
كلما تعبت يعاودني هذا الألم اللعين..
طلبت من والدتي حبة باسكوبان، فرحت وانفرجت أساريرها ظنا منها أن الدورة الشهرية قد هلّت..
وسألتني هل لدي حفاضات هل تحسبت لهذه اللحظات ؟؟
بتسمتت وقلت لها لاتشغلي بالك حبيبتي.. كانت تتصور ابتسامتي من خجلي ولا تعلم أن ابتسامتي هي تأكيد أني لن أرى الدورة ...
لأني كل يوم أكتشف أن لاعلاقة لي بعالم البنات إلا من اسمي

وبعض هيئتي، أما إحساسي وبعض من أجزاء جسدي تناديني إلى عالم الرجولة أكثر فاحاول تلبية النداء.

وصلنا إلى المطعم العاشرة والربع وجدنا مس تهاني قد حجزت لنا طاولة تجمعنا وكانت كعادتها دقيقة في موعدها..

إنها ليدي من العائلة المالكة أو دوقة من دوقات فرنسا الراقيات، كانت أمسية رائعة تضمنها دعابات خفيفة وقفشات بين خالتي ومس تهاني التي قد تخلت عن الوقار الأرستقراطي قليلا، فبدت أروع وأجمل ببساطتها وظرفها، لقد كان العشاء الليلة على حسابها وأبت ان ندفع مليما..

وأصرت أن تكون هذه للذكرى، خرجنا الساعة الثانية عشر، اقترحت أن نذهب إلى صالة الألعاب الموجودة في نهاية القرية، كنت قد مررت بها وأنا أراقب هيا ورامي، وافق الجميع ورحبوا بتلك الفكرة.

امضينا وقتا لطيفا هناك مر الوقت سريعا بين ضحكاتنا وصخب المكان، وقرروا العودة والمشي على الشاطئ؛ لتوديع نسمة البحر العليلة قبل الخلود للنوم ولو سويعات.

كنت استنشق رائحة عطرها مع رائحه البحر فتزيدني شوقا وهياما وبعد انتهاء الجولة وصلنا إلى الشاليه، وودّعناهم على أمل عودتي الساعه العاشرة والنصف كي نغادر القرية....

وعدت مع ملكتي وأنا أمسك بذراعها المرمري، دخلنا الشاليه لم أنتظر بادلتها بسيل من القبل وهي تضحك وتتلوى.

لحظة مريوم تعالي نشرب دي سوى، تملصت من بين ذراعي وأشعلت سيجارة وأخذت منها نفسا عميقا وأعطتني إياها، شربت منها لم أستطع الوقوف مالت بي الأرض وصوت ضحكتها يرن مجلجلا في أذني، ثم فتحت عيني لأراها عارية أمامي، تطلب مني تقبيل جسدها بالكامل كنت كعبد يطيع سيده الذي يعشقه، لم أتوانى لحظة عن تنفيذ ماتريد، بل أجدت واخترعت أشياء غريبة من عندي نالت رضاها واستحسانها، كانت كالبركان الثائر لا يطفئه شئ، أشعلت السيجارة الثانية وهي تمتطيني كجواد وتضحك نشوى لهذا الوضع، شربتها لوحدها لم تعطني منها تلك الفارسة اللعوب التي احرقت كل مدني وغزتني كما التتار وأنا أعشق غزوها لي!!!!

أشرق الصباح رأيت نور الشمس عندما فتحت عيني وفارستي لم تزل تنام فوق صدري بجسدها المرمري العاري، حاولت أن أتملص من تحتها لأرى كم الساعة كي لا يباغتنا الوقت وتباغتنا إحدى بنات خالتي لتأخرنا، آه إنها التاسعة والربع هناك متسع من الوقت بعد لعمل جوله ثانية، قفزت إلى الحمام وتحممت وخرجت لأجد ملكتي تتململ. احتضنتها وبدأت مداعبتها، وبدأت تتجاوب معي دون الهمس بكلمة وصلنا الذروة وكأننا أرض عطشى منذ سنين تحتاج إرواء فروينا وما روينا.

يلا حبيبتي الساعة عشرة دلوقت عشان تستحمي ونجهز.

مش عاوزة أرجع تعالي مريومة تعالي جنبي.

جئت بجوارها على السرير وهي نائمة أمامي كتمثال من الشمع.
حبيبتي مريومة عاهديني هتكوني ليا بس مش لغيري.
تذكرت وقتها عهد هيا وقسمنا الدموي الذي حنثت به وتركتني.
مس: إيه مريومة سرحتي فين، تكلمت وهي تمسك يدي.
: أبدا حبيبتي أعاهدك طبعا أكون ليكي لوحدك.
شدتني إليها وحضنتني وقبّلتني وقالت العمر كله مش هفرط فيكي.
يلا حبيبتي هاخد شاور ونغير ونمشي.
تعالي معايا ناخد شاور مع بعض.
دخلت معها اخذت تقبلني إنها حقا بركان لا يهمد.
وصلنا الشاليه وكانوا يعدّون الإفطار، تناولناه سويا، أكلت بنهم كنت أحس بجوع عميق وانتهينا، وأتى سائق مس تهاني ليصطحبها بعد أن تركت في نفس كل واحد منا انطباعا يزيده شوقا وسعادة للتعرف على تلك السيدة الراقية كما وصفوها
كم تخفي النفوس وراء الأقنعة أسرارا!!!!
انطلقت السيارة وانطلقنا بعدها بعدما سلمنا الشاليه أنا وأمي وخالتي والبنات، كنا نرمق البحر بنظرات الشوق إليه ونتكلم عن العطلة الصيفية وما سيكون لها من ترتيبات على البحر في الإسكندرية أو إحدى قرى الساحل الشمالي، حيث اخبرتنا مس تهاني بوجود فيلا لهم في عدد من مناطق الساحل، ودعتنا لتمضية الصيف هناك.

العودة:

١

وأخيراً رجعت بيتي قالتها أمي بتنهيدة كأنها غابت في الأسر سنين.

هيام: هههههه إيه يا إلهام لحق يوحشك.

إلهام: أيوة يا هيام هنا أحس ا أنيني ملكة متوجة حتى لو رحت قصر باكنجهام وقعدت على كرسي الملكة ولبست التاج مش هحس إني ملكة غير هنا.

: الله الله شوفي يا خالتو ماما بتقول شعر في حيها للبيت.

هيام: أيوة يا مريومة أمك طول عمرها بيتوتيه مش زيي أنا بحب الخروج والتنطيط من صغري.

: وأنا زيك يا خالتو بحب الفسح والخروجات.

: هههههه يا روح خالتو أنتي طالعالي وبناتي طالعين لماما.

ثم استردفت يلا نسيبكم في عشكم الهادي ونروح البيت زمان خالد عامل عمايله هههههه.

إلهام: طيب حبيبتي سلميلي عليه، قوليلو خالتو زعلانة عشان مجتش معانا.

هيام: طيب ياروحي يلا باي.

سلمنا عليهم، وأخذت خالتي سيارتها الموجودة في جراج الفيلا وودّعناهم، وأدخلت والدتي السيارة وأخرجنا منها باقي الأغراض، ودخلنا بعد إغلاقها الباب.

: أنا هموت من التعب مريومة عاوزة أريح شوية.

: حاضر حبيبتي وأنا كمان نفسي أنام.

إلهام: طيب نصحى ونشوف هنعمل إيه لكن الأول آخد شاور.
: طيب حبيبتي قبّلتها ودخلت غرفتي وغرقت في سبات عميق كأنني واحد من أهل الكهف، ولكني لم أتقلب نمت بملابسي، ولم أفكر حتى بالتأكد من سلامة وصول مس تهاني، كنت مرهقه لدرجة الموت.
في المساء وجدت عدد من المكالمات منها ورسائل تحاول الأطمئنان بها علي ...
اتصلت ولم ترد نزلت لأرى والدتي وجدتها قد أعدّت لي العشاء، وإن أم محمد أتت بعد دخولي غرفتي، ونادت علي ولكني كنت مستغرقة في النوم.
إلهام:مقدرتش أنام ع السرير حاسة إن التراب ملا الدنيا كلمت أم محمد وجت علطول.
: آه منك يا لولو هي كام ليلة؟
إلهام:حبيبتي مش بستحمل حاسة البيت مهجور، كانت تحدثني وهي تعدّ السفرة للعشاء.
جبت جينات ولبن وزبادي وعملتلك شاي يلا نتعشى، وبكرة لازم تنظف غرفتك هيا جاية مخصوص عشان الدور اللي فوق.
: حاضر يا لولو، كنت ألتهم الأكل بشراهة، أحس بجوع رهيب.
: ملاحظه عليكي إنك بتاكلي بسرعة حبيبتي، متسيبيش نفسك جعانة، وبعدين البنوتات بياكلو على مهل، وميعملوش بلالين في خدهم.

: هههههه يا لولو يا قلبي إحنا في بيتنا، خليني أكل على راحتي.
إلهام: أخاف تتعودي على الوضع ده، ومتنتبهيش لما تكوني بره.
: متخافيش حبيبتي.
أكملت العشاء وأنا أشرب كوب الشاي ...على فكرة مريومة مس تهاني اتصلت تتطمن علينا وتأكد معاد بكرة ...الست دي دخلت قلبي ..ذوق وجمال وشياكة بنت ناس صحيح.
وضعت الكوب من يدي أيوة يا ماما بنت ناس أوي.
نظّفت معها المنضدة ومسحتها.
إلهام: طيب يا مريومة هتعملي إيه دلوقت؟
: هاخرج أسقي الجنينة وبعدها أنام تاني، حاسة إني محتاجة نوم.
طيب حبيبتي تصبحي على خير.
وأنت من أهله يا لولو.
خرجت إلى الحديقة، أضأت جميع الأنوار وبدأت أسقي الورد وأفكر كيف أن الناس تؤخذ بالمظاهر؟
مثالان حيّان أمامهما واحد منهما أنا الكل يرى مريوم الفتاة المهذبة الذكية الجميلة لم يعرفوا ماذا تعمل في الخفاء...!! أو ماهي تلك الشخصية الحقيقية، والنموذج الثاني مس تهاني المدرسة الأرستقراطية الغنية الجميلة التي يتمناها اي شاب تمارس الرذيلة في الخفاء وتشرب المخدر وتعمل مالم تعمله بنات الليل مع رجل، ومع ذلك يرونها قمة الرقي والشياكة.
عالم غريب نعيش فيه.

الكل يرتدي فيه الأقنعة، وكل قناع يخفي وراءه حقيقة مُرة.
أكملت السقي وأغلقت الباب، ودخلت غرفتي من جديد، دخلت سريري بعد أن غيّرت ثيابي، وأغلقت الهاتف النقال، وخلدت إلى النوم.
لم اشأ أن أكلم أحدا، لا أعرف لقد تغير مزاجي، وأصبحت أفضل البقاء وحدي دون أن اكلم أحدا.
طرق على الباب، يا إلهي إنها أم محمد أتت لتنظف الغرفة، لا أريد رؤية أحد أو الكلام مع أي شخص.
الطرق يزداد... كأنه طائر نقار الخشب يحفر بمنقاره على جمجمتي.. وصوتها يتعالى كأنه صفير قطار يدوي يقرع داخل أذني، وضعت الوسادة على رأسي على أمل أن لا أسمع.
ولكن هيهات بدأت امي تشن غارتها مع تلك الغازية كي يحتلوا غرفتي بحجة التنظيف.
نهضت متثاقلة، وفتحت الباب لا أعرف لماذا أغلقته بالمفتاح؟
هل لتعوّدي على غلق باب الغرفة في الشاليه أم إني خفت أن تدخل الهواجس لتحيل بيني وبين الاستغراق في النوم.
أكملت أم محمد ترتيبات الغزو، وخرجت من ساحة غرفتي منسحبة بعد أن أكملت أفكاري والرد على مكالمة مس تهاني، أني لن أستطيع الحضور لدرس البيانو اليوم؛ لأني سأخرج مع والدتي لقضاء بعض الأعمال مما جن جنونها وأغلقت النقال في وجهي.
ذهبت إلى غرفتي وحاولت الاتصال بها ولكن عبثا أحاول ..وفي الآخر

كففت عن المحاولة، وعدت للنوم ثانية فكل ما أريده الآن الاختلاء بنفسي وعدم التفكير في أي شئ...

كان شريط ذاكرتي قد مسح.

إنها السادسة هيّا مريم انهضي.

هل ستقضي اليوم كله نائمة؟

صحوت وتناولت هاتفي النقال، ولكنها لم تر!!

هل وجدت غيري وتخوض غمار الحرب معه الآن؟!

ولن أتعجب فالكل هكذا ما أسهل الخيانة، أم أنها مستاءة لأني لم أذهب إليها وارضها، عطشى تنتظرني كي أرويها.

مريوم حبيبتي.

ايوة يا ماما.

صحيتي يا قلبي سبتك نايمة على راحتك لو قادرة نروح المول نشتري طلبات.

حاضر حبيبتي آخد شاور الأول وننزل.

طيب يا قلبي

تركتني وخرجت وبعد أقل من ربع ساعة كنت أمامها مستعدة للخروج، ذهبنا واشترينا متطلبات البيت، واشترت لي أمي كنزة جميلة على ذوقها كان مكانها دولابي الآن.

العودة الى المدرسة

١

غدا سنعود إلى المدارس ومس تهاني يومان لاترد على تلفوناتي ولا رسائلي !!!

أوصلتني أمي إلى المدرسة صباحا، جميع أصدقائي وصديقاتي يتبادلون الأحضان والقبل ...هرج ومرج وعيناي تلفان دوران تفتشان عنهما حيث لا أثر لهما.

: هاي ليلي هي هيا مجتش؟

ليلى: لأ لسه ولا رامي كمان... قالتها بخبث النمامة!!!

لم أنولها ما أرادت ..ذهبت معها إلى غرفة الموسيقى، وجدتها مغلقة. وذهبت لغرفة المدرسين أتفرس في الوجوه لعلي أجد ضالتي، ولكن للأسف ألقيت تحية الصباح وخرجت، ترى ماذا حصل!!؟

لماذا لم تأت؟ قطع جرس المدرسة حبل أفكاري وأوقف تساؤلاتي. دخلت الفصل وأخذت أول حصة، وأنا على أمل أن تنادي علىّ العاملة مس تهاني تريدك، لكن للأسف لم تظهر طول اليوم..

وزاد من الأمر سوءا حضور هيا مع رامي في نفس الوقت سويا بعدما ذهبت لرؤية مس تهاني حسب قول شيخ النمامين ليلي!!

بكرة النتائج قالت ليلي وهي تشعرك أنها سعيدة لأنها ستحوز المركز الأول.

: بجد مين قلك؟

ليلى: البنات والأولاد كلهم بيقولوا كدة.

: طيب ربنا ييسر، أردفت ليلى وهي تمتص شفافها، أنا متأكدة إنك من الأوائل.
قالتها وعيناها السوداوان تشعان بريقا أخّاذا ينم عن ذكاء وفطنة.
:ربنا يسهل.
كانت الحروف تنساب هادئة كماء عين صغيرة في قلب جبل، بدأت أفقد ثقتي بنفسي فمس تهاني لم تظهر للآن، ولا ترد على الهاتف وهذا مايزيد من حيرتي وقلقي، هل كان وعدها غيمة صيف وانقضت تبددت حين أشرقت الشمس!!
هيا كانت تجلس بجانب ريتاج، وتتحاشى الجلوس بجانبي أو حتى النظر إلي ..
وانا كنت في وادي ثاني أفكر باختفاء مس تهاني، والنتيجة في الغد.
مر اليوم بارد الملامح كميّت في ثلاجة الموتى ينتظر أن يتعرف عليه أهله ليقيموا له مراسم الدفن والعزاء.
السابعة مساء رن نقال والدتي و كنا نحتسي الشاي بعد العشاء.
إلهام: أهلا أهلا حبيبتي وحشتيني أوي فينك؟
بجد!!! والله!!!! ألف شكر ربنا يبارك لك بالخير أنا سعيدة أوي، ومريوم هتفرح لما تعرف ميرسي ميرسي حبيبتي.
أغلقت الهاتف ووجهها يشع نورا وعيناها اغرورقت بالدموع، أتت ناحيتي فاتحة ذراعيها واحتضنتني ألف مبروك مريومة الأولى على المدرسة ...قفز قلبي فرحا واحتضنت أمي وقبّلتها
يا الله لقد أوفت بوعدها لي ولكن لماذا اختفت هكذا ولم

تكلمني؟؟؟ كانت أمي كبلبل صداح تغرد طربا وفرحا.
كلمت خالتي التي لم تتأخر هي وبناتها ومعهم خالد..
ذلك الملاك الحارس الذي يراقب خطواتي دون علمي أتى بعد غياب؛ ليشاركني فرحة النجاح والتفوق.
كانت عيناه ترى ما في داخلي من خجل منه، ويبارك لي فرحتي بنجاحي.
مد يدة باردة أحس برعشتها بين يدي، والحروف متحشرجة تخرج صدى من مكان سحيق.
ألف مبروك مريومة.
الله يبارك فيك.
سحبت يدي من بين يديه وأنا مطرقة ..لم أستطيع النظر إلى عينيه التي ساءلتني في أول دخوله كأنها تقول لماذا لم تردي علي؟
لماذا تقابلين حبي بالجفاء؟
قطعت قبلات خالتي وأحضانها الحانية تلك اللحظة المؤلمة....
كانت كلمات الثناء وفرحة النجاح من عائلة خالتي تعوضني عن دفء غياب أبي رغم ابتعادي عنهم والسخرية أحيانا من تصرفاتهم، إلا أنهم يظلوا الجزء الذي يشعرني بدفا الايام رغم وحشتها وبرودتها
: يلا نفتح الحاجات الحلوة اللي جبتها يلا يابنات.
كانت خالتي تمسك بعلبة جاتوه، والبنات يمسكن بعلبة أخرى وضحكات أمي من قلبها كادت تشعرني أني أطير في سماء لا أريد

النزول منها.
آه كيف نسيت وسط هذا السيل من السعادة أن أشكر مس تهاني، تناولت هاتفي وحاولت لكن بدون فائدة، إنها قد أغلقته.
لاتريد سماع صوتي لقد دخل الحزن من بابه التي دخل منها ليحيا يومي السعيد فما كان مني إلا أن اقترحت على أمي أن تكلم مس تهاني أو أن نذهب إليها وتشتري بعض الحلويات ردا على اهتمامها بي.
حاولت أمي الاتصال أيضاً دون جدوى.
طيب مريومه كلمها من الأرضي.
لمعت عيناي بفرح بدّد غيمة الحزن التي كانت تظللني.
ألو..مساء الورد حبيبتي بكلمك على الموبايل مغلق أنا ومريوم لنحاول لكن مفيش فايدة.
كنت أقف أمام أمي متلهفة مترقبة سماع الباقي من الحوار.
كنا عاوزين نيجي نشكرك.
طيب حبيبتي ربنا يحفظك وترجعي بالسلامة.
أغلقت أمي الهاتف.
فقلت بلهفه إيه يا ماما مش هنروح؟
لأ حبيبتي بتقول إنها نازلة خلاص، عندها معاد مع طبيب الأسنان.
دلوقت يا ماما الساعة تسعة ونص!
إلهام: هي بتقول كدة!!
أكيد الست عندها معاد مريومة.

بكرة إن شاء الله نروح لها.
بدأت اشك في صدق كلمات مس تهاني.
هل صحيح عندها موعد مع طبيب الأسنان؟؟
أم موعد مع شخص ثاني هو معها في البيت !
أم أنها قد غضبت لأني لم أذهب إليها !!؟
غدا سيتضح كل شئ في المدرسة عندما أذهب اليها وأكلمها.
دخلت المدرسة أزهو كطاووس نفش ريشه، أنا الأولى على مئات الطلبة..
وسيذكر اسمي أول اسم، وسأقهر جبروت هيا، واطفئ فرحتها كما كسرت قلبي وأطفأت فرحتي.
كنت أتودد للجميع لا أعرف لماذا أنا هكذا اليوم؟؟
هل لأني سعيدة أم لأني أريد من الجميع تهنئتي!!؟؟؟
ذهبت لأفتش عن مس تهاني فلم أجدها.
وهاهو جرس المدرسة يدق وكل الصفوف بدأت في التراصف.
وصوت مدرّسة الالعاب تطلب منا الوقوف ملتزمين هناك خطبة لحضرة الناظر.
وقف المدرسين جميعهم وأنا أتفحصهم عن بعد، لم تظهر ملكتي لتشاركني الفرحة لقد بدأ قلبي بالخفقان كعصفور لم يطلع زغبه بعد بين يدي طفل شقي يتلاعب به..
تُرى ما الذي أخرها؟؟ لماذا لم تأت!!؟
صوت الناظر بدا مجلجلا في خطبته يستهلها بالمديح والثناء على

مدرساته ومدرسيه وطلبته النجباء، وأنا أتضور جوعا وعطشا لمعرفة أخبار ملكتي...

كنت في ملكوت ثاني أسرح مع أفكاري إلى أن سمعت اسمي والتصفيق يتعالى وليلي تقرصني كثعبان أفزعتني.

مبروك يا ميمي.

انتبهت على الناظر وهو يطلب مني المثول أمام المدرسة، كانت ساقاي تصفقان ببعض إلى أن وصلت المنصة التي يقفون عليها.

صافحني المدير وأشاد بي أمام المدرسة كلها، كانت أصوات التصفيق تهز قلبي وتشعرني بقشعريرة، أغرورقت عيني بالدموع عندما وقعت عيني عليها وهي تصور هذه اللحظات بكاميرتها من خلف صفوف الطلاب..

إنها معي لم تتركني أو تفارقني، وجدت نفسي بلا شعور الوّح لها ودموعي تتساقط شلالا وسط تهانئ المدرسين.

نادوا على المركز الثاني والثالث على المدرسة حمدت الله أن هيا لم تكن معهم، ليس لأني لا أريد لها الخير أبدا، ولكن لأكسر شوكة رامي وعنجهيته فلو كانت معنا الآن سينسب نجاحها إليه؛ لأنه من كان يدرس لها..

الآن ارتحت كثيرا لقد جاءت بالمرتبة الثانية على الفصل، آه يا ملكتي كيف لي أن أشكرك على كم السعادة والفخر التي منحتيني إياه؟

بعد أن اجتمع جميع الأوائل على المنصة وسط التصفيق طلب منا

الناظر دوام التفوق والنجاح.
والذهاب إلى فصولنا لاستمرار اليوم.
كانت تهانئ الطلاب والطالبات لي إكسيرا يعيد إليّ الحياة ويجعلني في حالة من الزهو والفرح تفوق الوصف، كان الجميع برفقتي إلا هيا!! انزوت وأخذت جانبا مما جعل البنات يتغامزون عليها، ويقولون إنها غيرانه مني لأنها كانت بتقول إنها هتكون الأولى.
لم أجاريهم بل اتجهت إليها وسلمت عليها.
: ألف مبروك حبيبتي كنت أحاول شدها إلى قلبي المشتاق لها رغم كل ماحدث، فأبت أن تتقرب مني وكان بعدها عني واضحا للبنات.
هيا: شكرا مريم وأنتي كمان ألف مبروك.
قالتها كما يقال في البلدي من تحت الضرس أو قضاء واجب...
جذبتني ليلي من يدي ..
تعالي يا مريوم مش هسيبك .. كانت نبرات صوتها تملؤها الشماتة والفرح لعدم تفوق هيا، عرفت فيما بعد أنها ليست لسواد عيوني بل لحاجة في نفس يعقوب، كانت تحب رامي، كان فتى أحلامها الذي خطفته هيا منها ....ياللبنات !!!!!!
في وقت الفسحة ذهبت لمس تهاني في غرفة الموسيقى.
سلمت عليها ولكن ردها كان كثلوج الألب بارد ريحه كالسيف تقطع كنصل حاد لا يرحم.
: جيت عشان أشكرك.. حبيبتي آسفة لو مجيئي دايقك.
فردت علي بلهجة الأمر قويه مدوية زعزعت كياني.

: رفضتي تيجي ليه عشان عارفة إني محتاجالك، وقفت من وراء المكتب ووجنتاها تزداد توهجا، بتتنمردي عليا؟!!

وبدون أن أحس وجدتني أحتضنها وأقبّل رقبتها وأشم ذلك العبير الذي يطير بي في عالم الهوى.

مس: أنتي مجنونة بتعملي إيه!!؟؟

كنت مستمرة في التقبيل، ولم أجد أي مقاومة سوى صوتها الذي أصبح دافئا ..احنا في المدرسة يا مجنونة..

: بحبك وبموت فيكي كنت أقبل أصابعها وأردد أحبك أعشقك، كنت مضطرة ماما أخذتني المول مقدرتش أرفض، جننتيني الكام يوم لازم نعوضهم.

مس: الليلة نحتفل بنجاحك الأول عندي في البيت، وبعدها صالة ديسكو نهيص فيها.

قبّلتها من أجمل تفاحتين.

: أنا من إيدك دي لأيدك دي.. لكن أرجوكي حبيبتي متعمليش فيا كدة تاني مهما حصل متسيبينيش.

احتضنتها بقوة فهمست في أذني مش هسيبك أبدا يا روحي.

انتهى اليوم ونحن على موعد لدرس البيانو والاحتفال.

وصلت البيت لم تكن الفرحة تسعني، وجدت ماما قد عملت لي جميع الأصناف التي أحبها، أبلغتها بموضوع الدرس فوافقت ولم أستطع اخبارها بموضوع الديسكو سترفض ..

اتصلت مس تهاني واعتذرت عن عدم الرد بالأمس، وكانت غايه في

الذوق كعادتها ..
ولم ترفض أمي طلبها ..في أن بعد الدرس هناك حفلة صغيرة يقيمها أصدقاء وصديقات مريوم على شرفها، كانت فرحة أمي غامرة وصدّقت ماقالته المس ووافقت دون نقاش!!
أتت سيارتها الفارهة ذات الفرش المخملي والسائق ذو الزي المميز يذكرني بأفلام الستينات وسواق الباشوات.. ذهبت معه مودعة والدتي التي ستذهب لزيارة إحدى صديقاتها في المشفى.
استقبلتني في الصالون وهي في اتم زينتها تلبس فستانا عاري الأكتاف والصدر.. تضع عقدا ماسيا يزين نحرها الجميل.. وفور خروج الخادم عانقتني وباركت لي تفوقي.
: ده كله بفضلك حبيبتي، كنت أقبل يدها، وأنتقل إلى كل إصبع، أقبّل سلامياته، ضحكت من قلبها وهي تشدني إلى الطابق العلوي وأنا منقادة وراءها.
غمضي عنيكي قالتها بصوت خافت يتلاعب بأوتار قلبي.
أومأت لها بالموافقة وأغمضت عيني وأدخلتني الغرفة، مرت دقائق افتحي عنيكي.
يا الله ما هذا كانت الغرفة تسبح بضوء الشموع الخافت ورائحة عطرها تعبق بالمكان وفي زاوية من الغرفه تحولت الطاولة ذات الغطاء الفخم إلى مائدة عامرة بما لذ وطاب يتوسطها شمعدان من البرونز على شكل سيدة عارية تحمل فوق رأسها شمعدان بثلاث شمعات وتلك الموسيقى الهادئة التي تخرج من جدران

الغرفة تنساب متناغمة مع هذا الجو الرومانسي، وملكتي قد ارتدت قميص نوم شفاف أسود يظهر مفاتنها، لم تكن ترتدي تحته شئ.

كانت لحظات العناق كطوفان هادر لكلينا حاولت أن أكون فارسها الذي تريد ليس فقط عرفانا وردا للجميل بل لأن في داخلي بركان بدأ بالانفجار أمام هذه الفتنة، وهذا الجو الرومانسي الذي لم أكن أحلم أني سأراه يوما.

مس: تعالي حبيبتي أنتي تعبتي تعالي ناكل.

شدتني إلى الطاوله وناولتني طعاما في الحقيقة لم أعرفه ولكن طعمه يوحي أنه بحري واشعلت سيجارة أعطتني إياها.

خذي دي مع الأكل ده هتبقي بألف حصان.. ضحكت ضحكة مجلجلة على غير عادتها، وبعد اكمالي السيجارة ابدلت الموسيقى وأخذت ترقص لي رقص شرقي شاركتها الرقص، سحبتني ثانية لم أعرف كم من الوقت كنت فيه أحارب في ساحات فراشها.

إلى أن سمعت جرس المنبه إنها العاشرة والنصف

تنهت ملكتي وأغلقت المنبه.

أنا ظبطته عشان منتأخرش على الحفلة.

تعالي ناخد شاور ونلبس وننزل نحتفل بنجاحك

حاضر حبيبتي.

الحفلة:

١

وصلنا الساعة الحادية عشر والنصف بعد أن كلمت أمي واطمأننت عليها وطمأنتها أني بخير وأن الحفلة جميلة وأخبرتها أن مس تهاني ستوصلني البيت بنفسها، فلا تقلق دعت لي وطلبت مني الاستمتاع بوقتي.

صخب وأصوات عالية ونحن نرقص ونضحك لم أنتبه أن هناك رجالا يرقصون سويا وبنات كذلك لقد كان كل تركيزي مع ملكتي وكيفية إرضاءها وجعلها سعيدة، نظرت إلى ساعتي بعد أن جلسنا منهكين من الرقص إنها الواحدة والنصف.

:ها حبيبتي مش نروّح.

: لسه السهرة في أولها.

حاضر حبيبتي لكن عشان ماما تخليني أخرج تاني.

طيب مريومة يلا.

اتصلت بالسائق أن يأتي ويقف على باب الديسكو.

وصلت إلى البيت، كانت أمي صاحيه، لم تستطع النوم فتحت لي الباب وقبّلتها، وألقيت تحية النوم وذهبنا كل الى غرفته.

مرت بي أيام وأسابيع، وأنا أذهب لمس تهاني ثلاث مرات أسبوعيا، لم أتأخر يوما وحبها يزداد في قلبي، وهي كانت تمدني بكل شئ كنت فعلا كما تقول فارسها المغوار...

كانت في بعض الأحيان تعلمني البيانو، وذلك أيام معدودة

لاتحتاجني فيها تقول هذه الأيام للدرس ...
وفعلا كنت قد بدأت أعزف وأجيد العزف شوبان پاخ تشوفسكي كلها مقطوعات عالمية ..
وفي يوم طلبت مني إحضار والدتي وطلبت منها المجئ للاستماع لعزفي باقي شهر واحد على الامتحان وحفلة التخرج بعده.
وفعلا كان لها ما أرادت أتت أمي معي ...
أرشدنا الخادم للصالون ذو الثريا التي تتدلى كبيرة كالشمس وحولها خمس ثريات صغيرة كالكواكب تدور في فلكها والصالون الإبيسون المصنوع من العهد الفكتوري.
إنه تحفة فنيه ولوحات دافنشي الحقيقية ..ورسوم لعائلتها.. كانت عيون أمي تتفحصها عن فضول.
على الرغم معرفتي بأن أمي ليس لها ذلك الفضول بالتفحص في بيوت أو أغراض الناس.
قطع صمت أفواهنا وحديث أعيننا صوتها المنساب كجدول رقراق بارد في هجير صحراء متقد.
مس: أهلا أهلا ومرحبا.. بونسوار شرفتيني ونورتي بيتي المتواضع أستاذة أهلا أهلا.
مدت يدها تسلم على والدتي وفستانها الأنيق يتكلم ألف لغة ولغة.. كنت كأني أجلس بين اثنتين من العائلة المالكة البريطانية !!
رقي وذوق وأناقة في كل شئ، مالبث أن أتى لنا شخص يرتدي بدلة سوداء بربطة عنق بيضاء طويل القامة رشيق جدا يلبس قفازات

بيض وقميص أبيض أعطاه منظرا أجمل يدفع عربه عليها إبريق شاي وكيك وشكولاتة وأطباق ثلاثة وثلاث كؤوس من الكريستال المذهب.

أشارت له مس تهاني بالبدء بوضع الطاولات الصغيرة المعمولة من الأبنوس على شكل ملاك يحمل صينية من الرخام الاسود لوالدتي ثم وضع لها الطبق والسكين والشوكة، ووضعها لها بانحناءة كلها ذوق وأدب فنجان الشاي الذي يبدو من عصر نابليون..

وبدأ يصب الشاي متسائلا عن كم مكعب سكر سيضيف، أجابته والدتي ولا واحد، ثم رفع طبق الكيك أمام والدتي ووضع بشوكة خصصت لذلك عدد من القطع طلبت والدتي الاكتفاء باثنتين بالشكولاتة ثم فعل نفس الشئ معي ومع مس تهاني.

ووقف بعيدا منتظرا إشارة مس تهاني له بالانصراف.

كانت طقوس رائعة بعدما انتهينا طلبت مس تهاني من والدتي بالسماح لنا بالذهاب سويا إلى الصالة الكبيرة التي يوجد بها البيانو لتسمعها عزفي.

كانت والدتي سعيدة جدا تنظر إليّ بعينين تملؤهما السعادة والفرح،

بدأت العزف لقطعة من أعمال باخ كنت تعلمتها وأتقنتها هذا الأسبوع، كنت أطير مع اللحن وكأن ملاكا يرفعني ليطير بي في دنيا السعادة، انتهت المعزوفة وصوت تصفيق أمي ومس تهاني يتعالى برافو ..برافو قمت من وراء البيانو ووقفت ثم انحنيت أحييهم،

احتضنتني أمي بفخر وحب وقبّلتني.
برافو يا قلبي.
ثم التفتت إلى مس تهاني.
إلهام: ميرسي لولاكي مكنتش مريم وصلت للدرجة دي.
احمرّ وجه مس تهاني.
أبدا مريم شاطرة وذكية، وبتتعلم بسرعة وده مجهودها.
كنت مزهوة وسط هذا الحديث الرائع فرحة لفرحة أمي، سعيدة لما وصلت إليه.
شكرت أمي مس تهاني على هذه الدعوة وودعتها وطلبت منها المجئ عندنا وقضاء يوم معنا فوعدتها مس تهاني بذلك.
عدنا للبيت كانت أمي تغني وتضرب على المقود تعمل نغمات. وطلبت مني مشاركتها الغناء(وحياة قلبي وأفراحه) أغني وأصفق، مرت تلك الدقائق كأنها حلم عندما أتذكرها أغلق عيني بالكاد أفتحهما خشية اليقضة وتبدد الحلم.

٢

مرت أسابيع الدراسة مسرعة وانا مقسمة بين المدرسة والدراسة ومس تهاني وأحيانا كانت تأخذني معها للترفيه في حفلات الموسيقى بعد موافقة والدتي التي لاترد طلبا لمس تهاني الليدي الجميلة الخلق والأخلاق كلما تصفها والدتي لخالتي.
قرّب موعد الامتحان وانا كثور مغمض العينين أدور في ساقية

مس تهاني التي لم ولن تشبع مهما عملت.. والألم في بطني يؤرقني كل ليلة. بت أخاف أن أفصح عنه بعدما أخبرتني مس تهاني القصه كاملة عندما كنت معها قبل شهر وسألتني عن أخبار البريود قلت لم تأتي للآن.

أجابتني لن تأتي مطلقا، فزعت من هذه العبارة.

أيوة مريومة مش هتيجي.

ليه حبيبتي بتقولي كدة؟

مس: عشان أنتي هيرمافروديت.

: إيه يعني مش فاهمة!!!!؟؟

اقتربت مني وهي تنفث دخان سيجارتها الضخمة،يعني تملكين أعضاء ذكر وأنثى وقت واحد.

شوفي من أول لحظة عرفتك يستعجب إزاي ماما لسه معرفتش ومتسألكيش على البيريود مخدتكيش على دكتور.

: هي بتسألني وأقلها لسه.

قومي أوقفي يا مريم مسكت يدي وأوقفتني أمام المرآة، كنت مثلها عارية تماما.

مس: بصي للصدر..الكتاف ..الهنش ..شكل الفخاد الشعر اللي مالي جسمك كله..

ثم وضعت يديها بين فخذي ده مش عضو أنثوي، شوفيني قدامك بصي وقارني.

الوجع اللي بيجيلك مش من البيريود ده من وجود خلل جوه

بطنك، إما في الرحم أو المبايض أو وجود تيستس، وكمان أنتي بتعملي معايا زي أي راجل مش زي بنت مع بنت، أنتي كلك رجولة في كل تصرف بحس بيه أنا فعلا بحبك يا مريم وصدقيني مش هسيبك أبدا، أنتي الوحيدة اللي بتخليني في قمة سعاتي من غير خوف من الغدر أو الهجر.

فهمتي دلوقت أي دكتور هيكشف عليكي سونار أو تحليل هرمون هيكتشف إنك كدة.

لو عاوزة إني أخذك ونروح نكشف مع بعض من غير مامتك ما تعرف معنديش مانع.

كانت تحتضنني وتلعب لي بشعري ودموعي تتساقط على مساحة نهديها الواسعتين ثم أخذت برأسي بين يديها.

مس: بصيلي هنا نظرت في عيني المغرورقتين، أنتي مش سعيدة معايا؟!!

عاوزة إيه أكتر!!

نجاح وتفوق في المدرسة؟

وبيت محب وأم تتمنى لك الخير وحبيبة تعشقك، تريد أن تسعدك ماذا ينقصك؟

لاتفكري بأي شئ، مع الوقت ستتعودي على هذا الوضع، وسوف تكبر أعضاءك وتكوني مستمتعة أكثر من في سنك يتمنون قبلة أو لمسة من زميلة أو حتى من خادمة، وأنت تعيشين كملك أمرك ناهي والكل عبيدك!

انفرجت أساريري قليلا ومسحت دمعاتي واحتضنتها بقوة.
: ربنا يخليكي ليا وميحرمنيش منك.
مس: شفتي يا مريم حياتنا مع بعض حلوة إزاي، مفيش بينا حواجز.
: أيوة حبيبتي لكن فيه سؤال كنت بسأله لنفسي متزعليش لو سألتهولك.
ارجأت ظهرها على السرير تمدد ساقيها، ونصفها العلوي معتدل وضغطت الزر الذي يجعله يلف وتناولت الزر المتحرك وأطفأت النور ثم أخذت لفافة كالسيجارة أشعلتها، وبعد اول نفس كنت قد سكت وأنا أمامها اجلس.
مس: أيوة مريومتي اسألي يا قلبي أي سؤال متتحرجيش ومتخافيش مش هتدايق ولا هزعل ثم أردفت، والا أقولك أقولهقلك أنتي عاوزة تسألي ايه منعا للحرج.
أخذت نفسا عميقا، تغيرت نبرة صوتها بمزيج من الحزن والأسى عاوزة تسألي ليه مجوزتش لسه؟
وهل أنتي اول واحدة أمارس معاها حياتي دي؟ وإيه السبب اللي خلاني كدة رغم جمالي وثروتي ومركزي الاجتماعي؟؟
أسئلة بتدور في راسك.
هجاوبك عليها.. بما أننا اصبحنا واحد وسرّنا يبقى مدفون جوانا محدش هيعرفوا وعد مني.
اوعديني يا مريم.

: أوعدك حبيبتي.
شدت المفرش الموضوع على السرير وسترت نصفها الأسفل، ووضعت يدها على جبينها واسترسلت..
مع نفس النبرة من الحزن كناي يعزف معزوفة شجن..
إحنا أسرة ميسورة ينحدر نسبنا إلى الصعيد، جدي كان من الملاك المثقفين هناك ..
انتقل للعيش في القاهرة واشترى هذا البيت، ولم يكن فيه سواه وزوجته الباريسية.
فتحت عيني وفمي تعجبا.
نعم حبيبتي لقد أكمل جدي دراسته، وحصل على الماجستير من السوربون، أحبها وتعلقت به وأحبته تزوجها وأتى بها إلى أرض الخيال كانت متشوقة للعيش في مصر، ولكن جو الصعيد مكانش ملائم لها الحر والعادات والتقاليد قيدتها، من حبه الشديد لها ترك أرضه يرعاها أخواه وأتى للقاهرة.
سكتت قليلا ثم نهضت وفتحت دولاب خزانتها، وأخرجت صندوقا من الأبنوس الأسود المرصع بالأحجار الكريمة، فتحته وأخرجت صورة أبيض وأسود لشاب أسمر يرتدي بدله سوداء وبجانبه سيدة بيضاء جميلة الملامح تشبه ممثلات السينما في الستينيات.
: جميلة أوي دي يا مس!!
مس: أيوة يا قلبي وده جدي.
ضحكت : وأنا اقول جايبة الحلاوة دي كلها منين؟!!

ارجأت ظهرها ثانية على السرير وضحكت مما قلته بتعجب ظاهر.
أشعلت سيجارة ثانية، وعادت إلى وضعها الأول.
جدي خلف بابا كان نسخه منه هو، وعمتي الفرق أن عمتي كانت بيضة.
عاشوا في سعادة عدة سنين إلى أن قامت ثورة يوليو، كان جدي قد اشترى أراضي هنا صادرتها الثورة ، مع أنه لم يكن من العائلة المالكة أو إقطاعيا كبيرا من الذين نسمع عنهم في أفلام زمان وتركوا له هذا القصر الذي كان قد كتبه باسم والدي وعمتي مناصفة، وكانوا قصّر تحت عمر الثامنة عشر، وكمان القصر ده مكانش زي بتوع الباشوات بتوع زمان آه هو كبير لكن لم يكن بروعة وكبر قصورهم.. وكام فدان تزرع قطن.
مرت أشهر الثورة وكانت فترة عصيبة خاف بها جدي على أبي الذي بدأ الشباب يخط شاربه فقرروا الذهاب إلى فرنسا بحجة رؤيه أهل جدتي ريثما يهدأ الوضع ويعودوا تاني..
اتصل جدي بأخيه عشان يسكن البيت حتى لا يستولي عليه الناس لما يعرفو أنه فاضي.
كانت السيجارة قد انتهت بين إصبعها، وهي تتكلم وتنظر إليّ واصوات الصمت تخرق المكان..
وانا كتمثال أبو الهول أجلس في مكاني، لم أنطق ببنت شفة.
أطفأت سيجارتها وتطرقت إلى سماء الغرفة التي تسبح بصمت وظلام خفيف.

أكمل بابا دراسته ودخل السوربون وحصل على ليسانس آداب..
كان جدي قد توفاه الله ولحقت به عمتي بعد فترة قصيرة كانت مصابة بسرطان القولون، ولم يلحظ ذلك إلا متأخر كان المرض قد استشرى في بطنها ..كان والدي وقتها يكمل الماجستير في الأدب الفرنسي، كان معيل والدي الوحيد هي جدتي وما كان يكسبه من شغله في أحد المخابزالفرنسية ليلا.
حتى أكمل ونال الشهادة.
أشعلت سيجارة أخرى واستعدلت في جلستها كنمرة تعبت من الجري وراء فريستها.... ثم أعطتني السيجارة أخذت منها نفسين واسترجعتها مني بحركتها الجميلة بالإشارة أن أعطيها إليها.
سحبت نفسا عميقا ثم نفثته في الهواء كمحرك سيارة قديمة تحتاج لإصلاح.
: في يوم جت صديقة لجدتي، وابنتها تعيش في نيس إلى باريس فتعرّف والدي علي عليها حبو بعض وقرروا الزواج، بعد فترة أصبحت حامل بي كان عهد عبد الناصر قد انتهى، وأتى عصر السلام وطمأننا عم والدي أن الأحوال باتت مستقرة، أرادت أمي أن تولد في باريس وفعلا حقق لها والدي رغبتها، وجئت أنا كان عمري سبع شهور، توفيت والدتي بحادث مروري فرجعت جدتي وأبي وأنا إلى هذا البيت، ورمّمه والدي من طول إهمالهم له.
ما أحكيه لك هو ذكريات كتبتها جدتي بالفرنسية.
ثم فتحت الصندوق الذي وضعته بجانبها، وأخرجت كراسة غلافها

من القطيفة المخملية الحمراء مكتوب باللغة الفرنسية، بدأت تقرأ لي وتترجم معاناة جدتها وحياتهم بالتفصيل.
هذه مريوم أول سنه من حياتي... مرت سبع أعوام وجدتي تعتني بي، وفي العام الثامن رحلت جدتي تلتقي بحبيبها جدي ...
كنت في مدرسة الليسية في الصف الثالث، أجمل بنات فصلي كما كانت المعلمات تصفني.
كان عندنا خادم وخادمة في البيت، كان الراجل في الخمسين والست كانت في الثلاثين، كانت تعتني بي بعد وفاه جدتي لما تدخل تحميني كانت تقصد تدخل يديها بين فخذي وتبقى فترة طويلة تعبث بي، كنت قد وصلت العاشرة، وأنا أستمتع بحمّامها، بدأ صدري يكبر وحلمتاي تبرز كانت تتلمسهما وتتعمد ذلك إلى أن أتى يوم كان أبي قد سافر إلى الصعيد وأخذ معه الخادم برحلة ليومين وتركنا مع الجنايني والبوابة وهذه المرأة.
أدخلتني الحمّام كالعادة، وبدأت كما تعودت منها وأنا في قمة النشوة والسعادة وهي تلعب وتلعق حلماتي وتتحسس جسمي ثم طرحتني أرضاً، وأنا مسلوبة الإرادة وأخذت تقبل جسمي من رأسي لقدمي.
إنها لحظات لا تنسى مريوم.
استسلمت لها كنت أعشق حضور الاستحمام، بدأت تأتيني في غرفتي بدأنا في كل وقت نحتاج به بعضنا نلتقي وتفعل مانريد إلى أن جاء يوم لم توقظني به، كنت قد أكملت الثانوية جلب لي أبي

مدرسين موسيقى كنت ملكه كل من يراها يتمناها زوجة، وانا لااريد سوى سعاد إلى يوم فتحت عليها الباب كانت نائمة ناديت عليها، لم تتحرك، مرت الأيام ثقيلة وأنا الآن في السنة الأولى كليه الفنون الجميلة، تعرفت على شاب هناك قال إنه يحبني، استمرت علاقتنا كام شهر حاول أن نكون فيه لوحدنا كي نستمتع بوقتنا، وقتها كان أبي عاجزا عن المشي إثر جلطة في المخ، لم يكن يعني ما يجري، ذهبت مع هذا الشاب ومجموعة من الشباب في رحله الإسكندرية حيث اختلينا ببعض، لم يكن إنسان مطلقا، كان وحشا كاسرا، كنت أتألم من عملته، آلالام مريم آلالام إلى الآن أعاني من تأثيرها.

كرهته.. كرهت الرجال كرهتهم مريم كرهتهم!!!

أخذت تصرخ كأسد جريح احتضنتها وبدأت تقبيلها.

: اهدأي حبيبتي ..اهدأي.. متخافيش مريومة معاكي متخافيش مفيش حد هيأذيكي حبيبتي.

كانت دموعها ساخنة، تتساقط على كتفي العاري.

: خلاص يا روحي إحنا لبعض مش هيدخل بينا تالت.

تنهدت ومسحت عينها، ومسكت يدي مريوم الرجالة وحشين إحنا بس نفهم بعض.

: أيوا ياروحي.

تعرفي بعدها بأقل من شهر بابا توفى، واتطلقت وبقيت لوحدي قررت أن أكون أقوى من الراجل، بعد تخرجي اشتريت أرض

وعملتها مدرسة وزي مانتي شايفه معايا فلوس وسلطة زي أحسن راجل.

مريوم جذبتني إليها ووضعت رأسها على صدري.

مس: حبيبتي أنا شفت بنات كثير، ومارست مع بنات كتير لكن عمري محبيت وحدة زيك ولا إديتها سري.

ثم رفعت رأسها مريوم أنتي تجمعي جسم الرجل، وقلب المرأة ورقتها أنتي أروع شئ في حياتي.

أرجوكي متتغيريش ..

: أبدا يا روحي أنا مش هتغير أبدا مهما حصل ..أنا بتاعتك ... وأنتي بتاعتي.

الوقت تأخر علينا إيه رأيك ألبس وأروح عشان ماما متقلقش.

مس: طيب حبيبتي يلا.

وصلت البيت منهكة مرهقة أحس بدوار وتعب لا أعرف هل قصة مس تهاني هي السبب أم السجائر؟؟!

إلهام: أهلا مريومة مالك حبيبتي؟

: مفيش يا ماما شوية إرهاق ..مذاكرة وعزف حاسة إني تعبانة شوية....

جلست على الكرسي في غرفة المعيشة، ذهبت أمي وأحضرت لي كوبا من العصير الطازج.

خدي حبيبتي ده يقويكي شوية.

شربت العصير وذهبت لغرفتي أفكر فيما قالته مس تهاني فعلا أنا

رجل بملامح امرأة!!!!!!؟
كلي يذهب ناحية الرجال..
نظرت لنفسي في المرآة كثيرا بدأت دموعي تتساقط، لم أعرف لماذا على الرغم من سعادتي لكوني رجل، ولكن رجل منقوص لست كرامي أو كأحمد أو أي رجل آخر..
وبنفس الوقت لست كهيا أو مس تهاني .. إني شئ خليط ..ميهم..أفكاري وروحي وجسدي ينتمون إلى مدرستين متضادتين الرجولة والقوة، والأنوثة والرقة...!!!
بت لا أعرف ماذا أريد أكثر!!!
مسحت دموعي ولبست ثيابي ورحت في نوم عميق لم يصحيني منه إلا صوت صراخي من ألم في جنبي وبطني....
آه نفس الألم !!
جلست على السرير ممسكة بيدي فمي واليد الأخرى خاصرتي، لا أريد أن تسمعني والدتي فتذهب بي إلى الطبيب.
تسللت إلى أسفل وانا أتلوى من الألم، فتحت دولاب الصيدلية المعلق في المطبخ لآخذ حبة باسكوبان أو اي مسكن، وفعلا أخذت واحدة وشربت الماء ورجعت إلى غرفتي على أطراف أصابعي، جلست على السرير والألم لا زال يفتك بجانبي...
مرت حوالي ساعة إلى أن هدأ كان الفجر قد بدأ يبزغ.

٣

مرت الأيام مسرعة وحياتي على وتيرة واحدة ونمط، لم يتغير لم يبقى على الامتحان سوى أيام ومس تهاني على وعدها لي..

الأولى على المدرسة، لم يتسلل الخوف من النتيجة فأنا على ثقة بالنجاح.

كانت علاقه هيا ورامي أصبحت علنية، والكل يعرف أنهما في حكم المخطوبين.

كانت والدتي تتطمن على والدتها وتدعوها لزيارتنا وتتعجب من عدم تلبيتها للدعوة إلى أن أتى يوم الامتحان، كانت هيا تبكي أتيت إليها اسألها كيف تلك العيون التي أعشقها تذرف دمعا هو نزيف من قلبي أنا.

: مالك هيا؟

هيا: مفيش مجوبتش كويس رامي عنده دروس مكثفة عشان الثانوية، وبيروح ودلوقتي مش بيذاكرلي..

مسحت حبات اللؤلؤ المتساقطة من عينيها.

: وأنتي زعلانة يا قلبي ولا يهمك..

أنتي عارفة مكانك في قلبي.. وقت متعوزي أهلا وسهلا وماما هتذاكر لنا... قولي لطنط ....وانا مستنياكي النهاردة.

رأيت نظرة الارتياح والرضا في عينيها، ردت على دعوتي، خرجنا سويا كانت ليلى وريتاج بصحبتنا.

..لم أسمع ما كانتا تقولان كان قلبي يقفز فرحا، عادت لي فرحتي،

ستأتي سأجلس ثانية بجانبها
الثالثة عصرا أتصلت والدتها لتأخذ الإذن بالمجئ، كنت قد مهدت لوالدتي وشرحت لها ظروف هيا، رحبت كثيرا ولم تمانع اتصلت والدتي بمحل الحلويات أحضرت أرقى أنواع الجاتوه والبسكويت وأشياء أخرى واجب الضيافة.
كانت فرحتي كوالدة عاد إليها طفلها بعد أن ضاع منها أعددت مكانا في غرفة الصالون لتذاكر به بعيدا عن غرفتي وذكرياتها بها.
استقبلتهم امي بالترحاب واكرمتهم وبدأت تشرح لنا بعد انتهاءها ذهبت لتسامر طنط وتركتنا نسترجع ماشرحته.. تقصدت أن لا ألمس هيا ولا أحدثها عن أي شئ سوى المذاكرة والدرس.
كان يوما رائعا توجه في اليوم الثاني اجوبتنا المميزة.
كانت مس تهاني تنتظرني على باب غرفة الموسيقى، كنت مع هيا وليلى نسترجع الأسئلة لمحتها.
استأذنت من البنات وذهبت إليها كان انعكاس الضوء يعطيها هالة من نور بثوبها الأبيض الموشى بلون أزرق فاتح كأنها تسبح في غيمة خفيفة صباح يوم ربيعي.
: هاي حبيبتي إزيك؟
مس: الحمد لله عملتي إيه في الامتحان؟
: كويسة يا قلبي فل مارك إن شاء الله.
مس: طيب إحنا على معادنا هبعتلك السواق الساعة أربعة.
لم تعطني وقتا كي أرد، أدارت وجهها ودخلت الغرفة بقيت متسمرة

مكاني، ماذا لو أن هيا تريد أن تذاكر معي اليوم أيضاً؟
لا أستطيع الاعتذار منها بل محال أن أعتذر!!. يا الله ماذا سأفعل اقتربت مني هيا بعد ذهاب ليلى.
إيه مريوم مالك في حاجة.
تنهت لها كنت أسرح في كيفيه الخروج من هذه الورطة.
أبدا مفيش أي حاجة، مس تهاني بتعلمني البيانو عشان هعزف في حفلة المدرسة ... أنتي مروّحة.
أيوة النهاردة رامي هيجي ياخذني ماامتوو عندنا وهيذاكرلي.
على الرغم من أن هذا الحل انقذني، إلا أنني شعرت بخنجر مزق فؤادي وبقى يتلاعب داخله، يأبى الخروج ولكني تصنعت الهدوء والرضا.
: طيب حبيبتي أي وقت تعوزيني تلاقيني موجودة نذاكر سوى.
هي: /متشكرة مريوم كنت متصورة إنك هتزعلي مني ومش هتسامحيني.
: أبدا سعادتك هي سعادتي ...كانت الكلمات تخرج من بين شفتي كمريض ينازع تخرج روحه ولا أحد يحس به أو يرى ألمه.
في تمام الساعة الرابعة كانت السيارة تقف على الباب، كنت في أتم الاستعداد لهذا اللقاء، كانت مس تهاني على غير عادتها شاردة معي.
مالك ياقلبي أنتي مش معايا خالص.
مس: أبدا بس شاغل فكري حاجات، قامت ولبست روبها الحريري

الزهري وراحت تذرع الغرفة مجيئا وذهابا.

: إيه ياقلبي مالك؟

أشعلت سيجارة ولم ترد على سؤالي كأنها لم تسمعني، كانت تنفث الدخان كمن يريد أن يخرج الهم ويطايره معه.

: حبيبتي عمري مشفتك كده مالك ياقلبي.

تنهت لي ونظرت بعيني ريم أفزعها جري الضباع ورائها، وجدتني ملاذها الآمن وكاتم سرها ومنقذها.

مس: أيوة مريومة فعلا عمري ما كنت كدة أنا هحكيلك وأنتي اللي هتقدري تساعديني.

: حياتي قدامك حبيبتي أنتي عارفة بحبك أد إيه.

مس: مريومة سرّنا مش لازم حد يعرف عهد؟

:عهد حبيبتي.

جلست على السرير أمامي ومسكت يدي، كانت عيناها تلمعان بدمع يتراقص في المقل ويداها باردتان ترتعشان، أتاني صوتها من بعيد يخرج حزينا يدعوني الرفق به.

من سنتين كان فيه ولد عندنا في المدرسة يعزف الاوبوا ، جاني وقاللي أنه بيعزف وعاوزني أسمعه.

سمعت وأعجبت بعزفه، حسيت من حركاته وتصرفاته أنه يميل إلى الأنوثة أكثر من كونه ذكر.

توطدت العلاقه بينا ..دعوته للبيت مرة واتنين وتلاثة.. إلى أن جمعنا سرير واحد ..تأكدت بعدها أنه بنت في أعضاءه التناسلية،

ولكنه يحمل جموح الرجال، ويحاول أن يكون هو المسيطر في الفراش.
كان يتعاطى جميع أنواع المخدرات، ولكن بكميات قليلة.
هو من أسرة متنفذه في البلد ولهم سمعتهم وإسمهم.
تركت يدي ونهضت لتجلس على الشازلونج المخملي، تتمدد أمامه فيفتح الروب لتظهر أروع سيقان وأجملها في الكون على الإطلاق،
هذا الشاب أو البنت كان يحبني لدرجة الجنون بقينا معا أكثر من سنة لم يعرف بقصتنا أحد.
إلى أن أتى يوم كان سائقا لسيارته تعرض لحادث وهو تحت تأثير المخدر،ومات.
كنت متأثرة جدا لقصتها.
: الله يرحمه.
مس: الله يحرقه بنار جهنم.
تعجبت من هذا الرد العنيف لها.
: إيه !!!
مس: زي مبقلك الله يحرقه،كان مصورني معاه، وواضع الفيلم والموبايل اللي كنا بنتكلم فيه في خزنه في البنك منتهوش عليها إلا لما جاء إخطار من البنك بأسمه، ذهب أخوه يفتح الخزنه شاف الموبايل والتصوير وكل حاجة ومن البارحة بدأ يساومني.
: عاوز فلوس.
مس: لأ عاوزني.

شافني وعجبته، بيتكلم معايا بكل قلة أدب وقال لو مطاوعتوش الفيديو هيكون في المدرسة والوزارة.
وإني باستغل وضعي مع الطلبة وهيرفع عليا قضية التغرير بقاصر..
تنهدت وبدأت الدموع تنهمر شلال يؤدي إلى بحر لجيّ.
واستأنفت مستقبلي مريوم كل اللي بنيته في سنين هيضيع مني !!!
النذل الجبان.....
كانت تصرخ من قلبها، تخرج كلماتها سيوفا تقطع قلبي.
اقتربت منها واحتضنتها وبدأت امسح على شعرها.
: متخافيش طول ما أنا جنبك مش هيقدر يأذيكي.
مس: إزاي مريوم إزاي بس!!!!؟
شوفي زي مهو ماسك عليكي أدلة، إحنا نخليه يكفر باليوم اللي حاول يتقرب منك.
مس:ازاي؟
: حبيبتي هو معاه فيديو ليكي.
وإحنا هيكون عندنا فيديو ليه.
مس: إزاي مريوم.
: خليه ييجي.
وسيجارة ملغومة تنسسيه أهله، وتخليه ضايع في دنيا تانية، لكن بشرط يجيب الفون بتاع أخوه تشوفيه وتحتفظي بيه، وأنا مش هسيبك.

احتضنتني، كانت فكرتي طوق نجاة لها.
طيب هكلمه.
مس: ألو خليني أشوفك.
فين؟ وليه هناك !!
متخافش معنديش بلطجية يضربوك!
لو أنت زي أخوك يبقى هنتفاهم ونفضل أصحاب العمر كله.
طيب معنديش مانع.
باي.
أغلقت الهاتف وشردت قليلا.
: إيه حبيبتي عاوز إيه؟
مس: عاوز يشفني في النادي، طبعا ممكن يكون فخ يوريني لأصحابه. رفضت، هييجي بكرة العصر.
: متخافيش أنا هكون معاكي من غير ما يحس بيا.
حاولي تعمليله كاس برتقال جامد بنسبة أسمه.
وبعدها كام سيجارة مش هيقدر يعملك حاجة متخافيش حبيبتي.
كانت تمسك بيدي ويدها، قمتين من جبال الألب تلحف بها رياح الشمال.
حاولت أن أطمئنها وهي بدورها طمئنتني.
متخافيش على الدروس أنتي الأولى مش هتتأثري.
ولا يهمك فداكي الدروس والمدرسة.
مس: لأ مريومة أنا نفسي تكوني أحسن واحدة في الدنيا.

جذبتها إلي ووضعت رأسها على صدري.
في اليوم التالي كان الامتحان سهلا، ولم أحتاج للمساعدة، وكذلك هيا لقد ذاكر لها رامي وها هي تخرج فرحة سعيدة، ولم أحاول الاحتكاك بها أو سؤالها هل ستأتي اليوم إليّ أم أن رامي سيذاكر لها؟
كانت مس تهاني كلمت والدتي صباحا، وطلبت منها اصطحابي معها لان هناك مدرس فيزياء سيمر عليها، وطلبت منه المذاكرة ساعتان لمريم... رحبت أمي بالفكرة وشكرت مس تهاني لدماثه خلقها وكريم سجاياها.
خرجت أنتظر مس تهاني على باب المدرسة، أتى السائق وذهبنا للبيت
دخلنا الغرفة، أبدلت ثيابها وأصلحت مكياجها فبدت كقطعة فنية رائعة، احتضنتها كم أحب هذا العطر!!!
ورائحة جسدها!!!!
ها إيه رأيك؟؟
رائعة.
طيب الخطوات اللي هنعملها أولا هتصل فيه يجيب الفون عشان نتأكد من صدق كلامه.
ثانيا أجهّز العصير.
احلى كوك حيتسطل فيه
نجرده من كل شئ ونصوره.

نفوّقه ونبعته زي ماجاء.
ضحكت وتعجبت للملاك الذي تحول شيطانا يدبر الخطط.
بذمتك مريوم مش يستاهل.
أيوة حبيبتي يستاهل ونص.
طيب يلا خليني أكلمه.
ألو أنا جاهزة لكن متنساش أشوف بعيني، وأتأكد قبل منعمل أي حاجة، ويارب تطلع كويس زيه.
أنا مستنياك.
ضحكت معه ضحكهة مفتعلة، وأغلقت الهاتف.
كدة هنضمن وجود الفون معاه.
أنا هنزل هو جاي في السكة، وصفتله العنوان خليكي متخبية متظهريش إلا لما أقولك.
حاضر حبيبتي.
كنت أنظر من شباك الغرفة، توقفت سيارة فارهة أمام الفيلا، ونزل شاب طويل فتح له البواب الباب، ودخل كان بصحبته الجنايني الذي أوصله لباب الفيلا الداخلي.
سادت ساعة من الصمت كنت فيها على أحر من الجمر لمعرفة مايجري إلى أن سمعت صوت مس تهاني تقول يلا هوريك أحلى مكان ، فدخلت الحمام مسرعة وأغلقت الباب سمعت صوت رجل وقهقهات مس تهاني، جرب الصنف ده عشان نعيش سوى.
بعد لحظات نادتني تعالي مريومة.

خرجت لأرى شاب وسيم جدا فاقد الوعي تقريبا.
ومس تهاني تفتش جيوبه الفون أهو.
تفتحه هو ده مريوم.
قلت لها تفتكري مش عامل نسخة منه.
مش مهم الأصل معايا دلوقت، وأنا كمان مصوراه مريوم، أنا هعمل معاه حاجات وأنتي ركزي على وجهه، وكمان على المناطق دي.
اخذت بتعريته وهو يتجاوب معها ويضحك، حاولت أن أصور كل شئ كما قالت لي وستعمل له مونتاجا كما تريد.
ليكون وسيلة ضغط عليه.
أكملنا ما أردنا وألبسناه ملابسه ثانية، وهو تحت تأثير الجرعة، لايعرف ماذا يفعل كقطعة العجين بين أيدينا.
أتت مس تهاني بكأس لا أعرف ما فيها وشرب منها، وقالت لي اختفي الآن، دخلت الحمام سمعت ضحكاتهم مدوية تجلجل وكلمات تخرج منه بالكاد أفهمها.
وبعدها ساد صمت دقائق، فتحت الباب قليلا لم أجدهم، وجدت الباب مفتوحا، تسللت لأرى ماذا يحدث كان الشاب يترنح وساعة يحتضن مس تهاني وأخرى يتهاوى، إلى أن وصلت أسفل السلم الملتوية الطويل.
كدة أنت مبسوط.
يرد عليها بكلمات وهمهمة غير مفهومة ولايكاد يقف على

رجليه ثابتا
بكرة معادنا تاني أوك متنساش.
احتضنها وراح يقبّلها فدفعته.
خلي لبكرة شويه يلا روح عشان ترتاح.
فتحت له الباب كانت المسافة من باب البيت إلى باب الحديقة، لا تأخذ أكثر من دقيقة، ولكنه كان مترنحا، ويمسح عينيه بقوة ويفرك جبهته.
كنت أراقبه من شباك غرفة النوم إلى أن انطلق بسيارته.
نزلت مسرعة لأعرف ماجرى.
إيه ياقلبي.
عرفت أنه مسجلش الفيديو، وإنه كان بس بهددني وهو كمان خايف على سمعة أخوه، لو اتكلمت وقلت أنه هيرمافيت، متخافيش مريومة أنا مرتاحة أوي دلوقت خلاص مفيش خطر عليا.
لأول مرة أحس بوخز في قلبي، نبرات صوتها الحنون قد تبدلت إلى اشواك ترشق في ثنايا قلبي.
: طيب حبيبتي الحمد لله.
مس : أوك مريوم تعبتك معايا لو عاوزة تروحي براحتك... أنا محتاجة أنام، ومتخافيش من امتحان بكرة روحي أنتي كمان نامي.
هخلي السواق يوصلك.
ما هذا كقطعة شطرنج أنا تحركني وقت ما تريد وكيفما تريد...!!

تركتني وسط الصالة وحدي وذهبت لتنام، وبالأمس كانت تقبّل أصابعي واحدا تلو الآخر؟!

ما هذه المرأة؟!!

شيطان لعوب أم ملاك رحيم!! ا

نها مملكة تحتوي كل شئ بت أخاف منها انتقامها مر علقم ..وحبها عسل وشهد ...كرهها موت زؤام.. ودها طيب ومسك.

خرجت وانا كلي حنق وغضب على هذا التصرف، ولكن ما بيدك يا مريم؟ ماذا تستطيعين أن تفعلي؟ إنها تحرك الدنيا كعرائس الماريوت تمسك الخيوط بيديها، وتتلاعب بنا وما نحن إلا خشبات وقطن بلا شعور وإحساس.

وصلت البيت متعبة مرهقة من هذه التجربة.

فاستقبلتني أمي.

أهلا حبيبتي هيا كلمتني عاوزة تيجي قلتلها أنتي ف ي مشوار، ولما ترجعي هتكلميها.

طيب حبيبتي أنام ساعة أنا فعلا تعبانة، ومش بعرف أركز.

إلهام: مالك يا مريومة لونك مخطوف اكيد مكلتيش؟

هغرفلك.

: لا حبيبتي أنام الأول.

دخلت غرفتي وامتطيت فراشي، وذهبت أسابق النوم فغلبني.

اتصلت بي هيا عدة مرات رأيتها في الثامنة مساء، حيث ايقظتني أمي كي أراجع وأكلم هيا التي ما انفكت تتصل، نهضت متكاسلة

أخذت حمّاما وخرجت لأجد مائدة عامرة بالطعام الذي أحبه، التهمتها كأني لم أكل منذ شهر مما جعل أمي تقبل رأسي وتدعو لي بالهناء، واتصلت بهيا لكنها رفضت المجئ لأن الوقت تأخر، حاولت والدتي معها واتفقت أن نذهب عندهم لنسترجع دروسنا.

فرحت طنط فتحية كثيرا بهذه الزيارة، وحاولت أن الخص كل ماهو مهم كانت الساعة قاربت على الواحدة بعد منتصف الليل ساعات قليلة ويبدأ الامتحان، استأذنت بالانصراف بعدما أنهيت تلخيص وفهم كل ماهو مهم بمساعدة والدتي، وعدنا لنلتقي صباحا مع الامتحان، وقد كان يوما حافلا فقد طلبني الناظر بعد الامتحان ورحب بي وأراد أن أسمعه المعزوفة التي سأعزفها في الحفلة ...

كانت مس تهاني تجلس منتصبة تشع من عينيها خيوط الثقة وتلمع كنور الضحى... تشجعت كثيرا من إطرائها أمام الناظر وذهبنا لغرفة الموسيقى مع مدرسة الألعاب ومنظمة الحفلة بدأت العزف كان السكون يعم المكان إلا من صوت ضربات قلبي ممتزجة باللحن تعلو وتنخفض مع نغمات البيانو، تعالى التصفيق وانشرح وجه الناظر فرحا وربت على كتفي.

أنتي نموذج للطالبة المثالية يا مريم، ممتازة في كل شئ ثم التفت إلى مس تهاني وقال لها بالفرنسية مامعناه عمل جيد تشكري عليه.

كنت كطير محلق في الفضاء سعيدة لدرجة تمنيت أن أقبّل مس تهاني، واحتضنها، وددت لو تقول لي تعالي اليوم ولكنها لم تقل

فقط سلمت علي وسألتني عن الإجابة قلت لها ممتازة.
دارت في رأسي أفكار غريبة عندما عدت للبيت فغدا آخر يوم وبعدها بأسبوع ستعلن النتائج وتقام الحفلة في اليوم التالي.
تُرى ماذا يخبئ لي القدر وماذا ستعمل معي مس تهاني؟؟ وماذا عن مصير الشاب الذي غادرنا مترنحا؟
لم تدعني والدتي استكمل حواري مع ذلك المارد القابع في رأسي.
إيه يا مريومة بكرة وخلاص.
أيوة يا ماما.
طيب إحنا بكرة معزومين عند خالتو.
حاضر يا ماما.
أف ما أصعبه يوم ساقابل خالد، ولا أعرف كيف سيكون اللقاء، وأنا قد تجاهلت طلبه يا الله!!
ماذا أفعل؟؟؟؟
على باب غرفة الامتحان كانت العاملة واقفه تريد إبلاغي بأن مس تهاني تنتظرني، عندما نظرت المراقبة خارجا و وجدتها تبلغني بذلك طرت فرحا فعذري في عدم الذهاب قد أتاني سعيا.
هرولت مسرعة إليها.
أيوة حبيبتي.
الأسبوع ده تيجي الخميس بس عشان التدريب البروفة الأخيرة.
فتثبت في مكاني متعجبة!!!!
عرفت ما بي من حيرة وتعجب فاستأنفت وهي مبتسمة: أنتي يا

بنت بتنسي أيام الحرمان في الشهر.
كانت حروفها كمن ألقى ماء مثلج على جسد محروق.
: أيوة أيوة صح معلش نسيت حبيبتي.
هتوحشيني بشتاقلك كثير.
مس: الخميس هنعمل بروفه ونسهر قدام ماما داكور
: داكور مون شيري.
خرجت بعد أن ودعت صديقاتي واتفقنا على المجئ يوم الحفلة، وجدت أمي تنتظرني.
هاي ياقلبي عملتي إيه؟
فل مارك ياروحي متخافيش.
طيب نروح البيت تاخذي شاور وتغيري وتروح عند خالتو.
حاضر حبيبتي.
لم يكن خالد موجود، حمدت الله كثيراً، كان يدرس مع صديق له مما جعلني منطلقة، وبكل حريتي، كنت سعيدة جداً، إحساس من داخلي يشع بهجة وسعادة.
أمضيت ساعات حلوة، والكل مستمتع بها ووعد منهم بحضور الحفلة لتشجيعي، كانت أمي تزهو وتفخر بي وهي تتحدث عن عزفي.
ها هو الخميس قد أتى وأنا في أحسن أحوالي وسيارة حبيبتي على الباب وقد استأذنت أمي بالسهر معها، كل شئ يدعو للغبطة.
وصلت وجدتها تعزف مقطوعة لموزارت، كأنها ملاك يترنم وقفت

أمامها دون حراك إلى أن أنهت ونهضت واحتضنتني، عانقتني بقوة غير معهودة تلك الرقيقة الناعمة.

اشتقتلك..

وأنا كمان....

سحبتني من يدي وأجلستني على البيانو؛ كي أعزف.

وضعت النوتة أمامي.

يلا مريوم عاوزاكي تطيري وتحلقي مع النوتة، تعيشي كل تون ..وتمتزج روحك فيه عاوزه الليلة عازفة ملهمة.

أومأت برأسي وبدأت العزف، كنت قد حفظت على ظهر قلب لن أحتاج النوتة أذني وقلبي وروحي هي من تعزف.

أنهيت المقطوعة فأذا بها تشدني لأقف واحتضنتني وتهمس أيوة كدة بحب المتميزين مش بحب الخايبين.

كنت خائفة من فرحتي خائفة أن يكون هذا حلم جميل واصحى منه على كابوس.

مريوم هغير ونخرج النهاردة فيه حفلة راب بحبها.

: وانا كمان بحبها.

طيب اشربي وكلي عقبال مجيلك.

كان هناك بسكوت وكيك، والخادم يقف يحمل براد الشاي.

: مع لبن حضرتك والا سادة.

: مع لبن لو سمحت.

كان القفازان اللذان يرتديهما بلون اللبن الذي يضعه لي في الكوب.

وبزته السوداء وببيونته البيضاء مع قميصه كأني أعيش مع أحد الباشوات في فيلم أبيض وأسود.
أتت معذبتي تختال تيها وجمالا.
وصلنا النادي كانت حفلة راب رائعة، وراقية بكل المقاييس، التقطتُ بعض الصور لأريهم لوالدتي وللذكرى.
أوصلتني بعدها للبيت، كان السبت موعد النتائج والأحد الحفلة.
السبت صباحا كانت والدتي قد ارتدت ثيابها واستعدت للخروج.
عندما كنت أنزل السلم.
صباح الخير حبيبتي.
صباح النور.
على فين؟
المدرسه أجيب النتيجة
بدري كدة طيب استني أجي معاكي.
لأ مريومة خليكي مش هتأخر مسافة السكة.
لكن يا ماما لسة مأظنش فتحوا.
لأ حبيبتي لما أوصل يكونوا فتحو باي.
كانت تكلمني وهي على الباب، خرجت مسرعة ولو انتظرت لكلمتها مس تهاني، وانتهى الموضوع.
رن هاتفي بعد دقائق إنها ملكتي.
صباح الورد.
: إيه هههههه حبيبتي ألف شكر ماما في الطريق ليكي.

طيب يا عمري مش هتكلم.
باي يا قلبي.
إنها تبشرني حبيبتي الغالية، ولاتريدني أن أفسد فرحة أمي يا لها من راقية.
كنت أنتظر رجوع أمي بفارغ الصبر لأرى الفرحة على وجهها، وفعلا لم تسعها الدنيا من الفرح بعد عودتها، احتضنتني وبدأت بالقفز معي كطفلة أعطووها ماتريد، كانت تضحك من قلبها وتهلل بصوت عالي حبيبتي مريومة.
اتصلت خالتي لتقطع علينا أهزوجة المرح هذه وتبدأ وصلة التبريكات والتهنئة، لم تمر الساعة وخالتي وبناتها يشاركون أمي الأهازيج والتهليل كان البنات نجحو ا ولكن بدون تفوق ..
لم تعرف مقدار الزهو والغبطة التي كنت فيها ..
كنت ملكة متوجة على الجميع، تأمر فتطاع ماعرفت طعما للفرح مثل هذا اليوم إلا يوم الحفلة..
ذهبت قبلهم إلى مس تهاني، كنت أرتدي بنطالا من الجينز وتي شيرت وحذاءا رياضي على الرغم من طلب أمي لبس فستاني الجديد التاني لم أستطع قلت لها لن أكون مرتاحة إلا بهذا اللبس.
حاولت معي أمي كثيرا في أن أعمل حاجبي وازيل مابدا من شاربي كباقي البنات إلا أني رفضت وقبّلتها، وقلت لها أنا لاتهمني المظاهر المهم أنا مريومه...
لم تقتنع بما قلت وسكتت على مضض، كانت قد اتفقت مع خالتي

وبناتها اللاتي أتين في أجمل منظر واحلى ثياب سبقتهم إلى بيت مس تهاني لعمل بروفة نهائية، كانت تنتظرني في غرفتها عارية عندما دخلت تريد أخذ رأيي فيما تلبس.

تجولت عبر فساتينها الكثيرة الرائعة، واخترت لها واحدا محتشما ولكنه يبرز تفاصيل جسمها الرائع، واخترت لها ما تلبس من إكسسوارات، ادق التفاصيل كانت تأخذ رأيي بها كنت سعيدة ازقزق كعصفور في عشه مع والديه يحس بالمحبة والأمان.

وصلنا الحفلة وبدأ دوري في العزف، وقفت على المسرح خلف الكواليس قبّلتني وشجعتني وكانت طيلة الطريق تمسك بيدي، وتعدني بمكافأة بعد انتهاء الحفلة، خرجت لأقف أمام الجمهور أحييهم وهي وراء الكواليس تراقبني...

بدأت العزف وطرت في دنيا غير دنيانا، كنت أسبح في عالم نوراني يسحبني معه لأصل إلى ما وراء الأفق ...

إلى أن أنهيت معزوفتي، وعدت ثانية إلى الأرض، كان المسرح يعج بالتصفيق ..وحبيبتي من خلف تصرخ براف.

احتضنتني والمشرفين على الحفل وهنأوني وجاء دور الناظر لتكريم الأوائل.

لا أحد يحس بفرحتي وبما كنت أشعر!! أمي لم تتمالك نفسها كانت تصفق وتبكي فرحا استلمت جائزتي ونزلت لأجلس مع أمي لم تكن هيا من الأوائل رأيتها هي ورامي لم تأت حتى للمباركة، بعد انتهاء الحفل

خرجنا، وكانت مس تهاني بانتظارها لتهئ والدتي وتركوها تحتفل بي غداً، بالطبع كانت الموافقة، لم تكن والدتي ترد لها طلبا
وصلنا البيت كان الجميع فرحا؛ لتفوقي وعزفي حتى بنات خالتي شعرت بطيبتهن وعدم الغيرة مني بل كانتا فرحتين لفرحي، انقضى أجمل يوم عشته في حياتي، لم أصادف يوما بعده مثله.

المكافأة:

الحادية عشر صباح اليوم التالي كنا قد أكملنا إفطارنا، وقفت السيارة بالباب، استأذنت من الجميع وخرجت طيلة مسيرنا كنت أفكر ماهي المكافأة ياترى ماذا ستفعل؟ لم يطل انتظاري، دخلت فقادني الخادم إلى فوق طرقت الباب كانت ملكتي ترتدي قميص نوم من الدانتيل أسود ورائحة الغرفة أروع ما شممت والضوء الخافت والموسيقى تزيد من الجو رومانسية لايعلوها شئ.
كانت كنمرة مفترسه تلتهم بنهم كل شئ وبلا شبع وتطلب مني القيام باشياء لو بقيت العمر كله لن أعرف كيف أعملها كانت منتشية لدرجة غريبة، أعطتني حبة وكأس ماء شربتها، لم أعرف ماجرى بعدها لم ألاحظ إلا والساعة السابعة والنصف ليلا أفقت، كنت متعبة لدرجة لا أستطيع تحريك ذراعي، وملابسي ملقاة على الأرض، وهي ليست موجودة سمعت صوت الماء، إنها في الحمام خرجت برويها الأبيض تربط رأسها بفوطة.
أنتي صحيتي؟

أشعلت سيجارة، وفتحت الروب.
شوفي عملتي فيا إإي، بدأت بالضحك أنتي مجرمة.
فتحت عيني وفزعت لما رأيت من جروح وازرقاق واحمرار في جسدها حاولت النهوض بكل قوتي نظرت لنفسي أنا ايضا بي جروح وخدوش كثيرة.
يلا مريوم قومي خذي شاور عشان تصحصحي هنروح نسهر شوية وبعدها أوصلك البيت.
: كنت أخاف أن تراني ضعيفة خائرة القوى، تحاملت على نفسي ودخلت الحمّام.
كانت أمسية رائعة، ذهبنا لأحد النوادي، رقصنا الساعة الآن الحادية عشر، كلمتني والدتي للاطمئنان.
أوصلتني مس تهاني البيت، وغادرت.
كانت أمي في انتظاري هي والمجموعة؛ لإكمال السهرة معهم كنت كمن يجلس في قارب تتقاذفه الأمواج في بحر لجي ليلة الأول من الشهر العربي .
غفوت وأنا جالسة معهم، سمعت ضحكات بنات خالتي وكلمات أمي وخالتي أن تذهب العروس للنوم؛ لأنها متعبة، لم أصدق أني وصلت سريري لأحتضنه في رحله البحث عن الاحلام إلى بعد ظهر اليوم التالي،
أفقت على صوت ياسمين وورد والوسائد تنتظرني كي تلتحف وجهي وجسمي المنهك ...

حاولت التملص منهم دون جدوى فأنا لا أقوى على هذا النزاع، استسلمت لضرباتهم وسعدت بضحكاتهم ومزاحهم ....
نزلنا لتناول الإفطار، جو من البهجة يملأ الدار خصوصا لخالتي عندما أتى خالد ليبارك لي.
كان كالأب الحنون.. جلب لي شيكولاتة أحبها عندما كنت صغيرة وشيبسي وببسي، كان في كل مرة يجلبهم لي فأفرح بهم..
لا أنكر أنني اليوم سعيدة بهم، إحساس بالحنان لم أحسه من قبل، صوته الدافئ الذي يدخل أغوار الروح ويهدئها... كان يأتيني بسعادة مختلفة كثيرا عما أحسه تُرى لماذا هذا التناقض في المشاعر؟ وما وجه الاختلاف في سعادتي مع مس تهاني وهيا؟ وسعادتي بحلوى وصوت خالد!!!؟
لم تدعني خالتي أفكر كثيراً إذ قاطعت حوار المتمردين الساكنين عقلي.
هيام: أيوة يا عم شيكولاتة وشيبسي وببسي نسألك النجاح.
ضحكت أمي....
: تعيش وتجيب حبيبي.
لم أدعه يهنأ بالفوز والإطراء.
: هو فيه إيه حتة شيكولاتة وشيبسي وببسي كلهم بعشرين جنيه هو جاب اللي ميتجابش.
خرجت مني الكلمات متسارعة الواحدة تلو الأخرى وسط وجوم والدتي وتعجب خالد وخالتي حتى البنات لم يعجبهم ماقلت،

ولكنهم عقبوا ضاحكين أيوة ياباشاا أنت مستني الهدية التقيلة.
فطنت لما قلت وفعلت فاستدرجت ضاحكة كأن كلامي كان دعابة على الرغم من حدة نبراتي، وأنا تداركت الموقف.
: هو زمان وأنا مش أولى على المدرسة كان بيجيبلي زيهم إيه يعني لما يجيب دلوقت أنا مش بتكروت بحتة شيكولاتة.
فهمت خالتي فضحكت وضحك خالد معها بعد أن كان الدم يكاد ينفذ كنافورة من رأسه من حنقه وغضبه، لكنهم فهموا أني لم أكن أقصد إهانته، تداركت أمي الموقف.
يلا يابنات هاتو نشارك البت دي اللبس والشكولاتة.
أخذت الكيس وبدأت توزع ما فيها والإبتسامة الباهتة على وجه خالد الذي كلما حاول التقرب خطوة كان ردي عليه يبعده خطوات..؟
مرت ثلاث أيام ولم ألتق بمس تهاني، واليوم ستزورنا هيا وأمها، أعدت أمي واجب الضيافة، واستقبلناهم بكل حفاوة، تجاذبنا أطراف الحديث أخبرتني أن خطبتها على رامي ستتم في أول سبتمبر حيث سيأتي والده ووالدها، كنت أبدو باردة جدا مع دعوات بالتوفيق، لكني من الداخل بركان يغلي يمسك فوهته بصعوبة.
: طيب يا هيا ألف مبروك، ونفسي أقول لرامي كمان.
فردت مسرعة بجد أنتي فرحانة ونفسك تباركي لرامي.
: أيوة يا هيا سعادتك هيّا سعادتي، أنتي نسيتي والا إيه، أنت صديقتي الوحيدة.

طيب حبيبتي ربنا ميحرمناش من بعض.
يارب
لا أعرف وقتها من أنا؟؟! طيبة مخلصة تحب سعادة صديقتها؟
أم شريرة تتصنع الطيبة وتتمنى أن يذهب رامي إلى الجحيم!!!
كانت هذه أول لبنه في عودة المياه إلى مجاريها مع هيا، ولكن دون الصعود إلى غرفة النوم، الاطمئنان بالهاتف وزيارات وأحيانا الذهاب مع الأهل في نزهه أو التسوق، مرت أسابيع وانا أتردد على مس تهاني كل جمعة نمضي وقتا نسرقه من عمر الزمن، أحيانا نذهب للديسكو وأحياناً للنادي.

الهاوية:

١

وفي ليلة اتصلت بي وأخبرتني بوجود فرقة لبنانية اسمها مشروع ليلى، ستعمل حفلات روك بديل، كانت هيا ووالدتها معنا طلبت منها أن أطلب هيا معي فوافقت وقالت إنها ستحصل على ثلاث تذاكر من منظم الحفلة.
كنت سعيدة جدا لوجود هيا وتهاني معي هما الاثنتان.
ولكن هيا كانت مترددة على الرغم من اشتياقها لرؤيه هذه الفرقة التي يتكلم عنها الجميع خوفا من غضب رامي وزعله.
: يابنتي مامتك موافقة ورامي لسه مش خطيبك يعني لسه ملوش حكم عليكي.

هيا: بس خايفة يقول لأ.... أنتي عارفة فرقة وفيها شباب.
: طيب متقوليلوش إنك رايحة.
هيا: إزاي هيعرف.
: يابنتي هيعرف منين خلّي طنط متتكلمش.
متقلوش وأنتي متقوليش، نروح ونرجع من سكات لا من شاف ولا من دري.
هيا: لأ ... لأ أنا خايفة.
: طيب لحظة ناخذ رأي الكبار ونشوف هيقولو إيه، كان هناك شيطانا يتحرك في داخلي يريد إقناع الجميع بذهابها معي، كنت أتمنى وجودها والاحتكاك بها والتماس معها.
: طنط لو سمحتي دلوقت مس تهاني حجزت لنا تذاكر بعد إذنكم طبعا انا سألتكم وقلتو ماشي دلوقت هيا خايفه رامي يزعل.
طيب يقلها ملوش حكم عليكي، لسه طنط بس هيا اللي تقول لأ أو آه.... صح كلامي.
طنط: .. أيوة صح مريوم.
: طيب خايفة ليه بقلها مش ضروري يعرف هو أنتي تعرفي كل حياته؟ بيروح فين وييجي منين؟؟
متقلوش نروح ونرجع طنط تكون مع ماما هنا لحد منيجي تمام كدة.
طنط: تمام يا مريوم روحوا وأنا أستناكم هنا، ماشي حلو الكلام.
: إيه رأيك يا هيا، ومس تهاني تأخذنا بأيدينا وترجعنا هنا.

ماشي قالتها بتغريدة بأرق صوت سمعته أذني.
متى يأتي بعد غد، أخاف أن تغيّر رأيها أو أن يحدث أي ظرف ولا تكتمل فرحتي.
مر اليومان كأنهما عامان إلى أن أتى اليوم الموعود، لم أكن أعرف أنه الهوة السحيقة التي لن أخرج من دوامتها ما حييت.

الحفلة:

١

أتت هيا ووالدتها، ولم يعرف رامي بالأمر، وقفت سيارة مس تهاني ونزلت ملكتي لتسلم علينا ووعدت بإرجاعنا عند انتهاء الحفلة.. جلست هي وهيا على المقعد الخلفي وجلست أنا أمام جانب السائق فانطلق ..وبدأت رحلة كشف المستور.
نقطة اللاعودة بدأت من هذه الساعة على الرغم أنها بدت حفلة جميله شباب وبنات متحمسين للأغاني، وفرقة مشروع ليلى الذائعة الصيت بدت لنا كحضور حفلة لجنيفر لوبيز أو مايكل جاكسون
كنا مبهورين بكل شئ بالأنوار والحضور والأغاني، كل مافيها كان رائعا وأنا وهيا كنا أكثر تلامسا كانت مس تهاني تتركنا لتذهب مع منظمي الحفلة إلى أن حدث شي لم نكن نتوقعه، رفعوا أعلام في الحقيقة لم أكن أعرف ما هي هذه الأعلام ...فقط قال لنا امسكوا هذه ولوّحوا بها!!

كنت أنا وهيا ومجموعة من الشباب نلوّح بها فرحين ظنا منا أنها تحية من الجمهور للفرقة...
بعدها بدقائق وجدنا شباب يمسكون منا الأعلام ويقودونا إلى غرفة خلفية بمزيد من الشتائم..
ونحن في ذهول لم نكن نعرف ما يجري حاولت أن اكلم مس تهاني لم يسمحوا لأحد بالحديث معنا..
اتصلت بها على الهاتف النقال تلفونها مغلق!!!

٢

كنت كقشة تتقاذفها الرياح، وهيا تبكي أحاول تهدئتها دون فائدة إلى أن فتحوا الباب.. كنا نظن أننا سنخرج، ولكن للأسف خرجنا إلى المجهول إلى سيارات الشرطة، ومنها إلى مخفر الشرطة!!!!
لم أستطع الكلام، كنت واجمة ساكتة، وأنا أقف أمام الضابط ترتعد أوصالي وأمسك دون شعوري بيد هيا، بدأ بالسؤال كل واحد منا عن اسمه وبطاقته التعريفية أتى دوري.
الضابط: أنت يا واد إسمك إيه ... آه بنت سحاقية حضرتك؟؟
: إيه يا فندم.
الضابط: اخرسي ومترديش وسيبي أيد الكلبة اللي معاكي.
تنهت إني أمسك يد هيا فتركتها مسرعة.
الضابط: اسمك وسنك وبيتكم فين.
: مريم محمد ١٦سنة.

تخرج الكلمات كأنها وليد من بطن أمه تعسرت ولادته لا يقوى على الصراخ.

الضابط: كنتي رافعة علم المثليين ليه يا روح ماما، عاوزة الناس كلها تبقى زيك.

: أبدا يا فندم معرفش أنه علمهم.

: اخرسي، ثم التفت إلى هيا.

وانتي يا شاطرة شكلك حلوة أي واحد يتمناكي إيه جبرك على السحاق. هم الرجالة خلصوا.

كان ينظر لها بعينين تشعان لهيبا يتمنى لو سمحت له الفرصة لافتراسها.

الضابط: اسمك وسنك وساكنة فين؟

كان صوت هيا صدى خفيفا يرجع من وادي بعيد.

الضابط: طيب هتباتو هنا الليلة دي وبكرة تترحلوا على النيابة.

نيابة أخذت هيا بالصراخ، وأنا أهدئ بها والجندي يقتادنا إلى حجز النساء.

صرير الباب كان كطلقات مدفع رشاش مصوب إلى قلوبنا.. دفع بنا الجندي إلى الحجز وأغلق الباب، رائحة الغرفة جعلتني أنا وهيا نفرغ مافي بطوننا في الدلو القابع في زاوية الغرفة..

تقدمت منا عجوز في العقد السادس تتوشح السواد حاولت تهدأتنا.... دقائق وأتت ثلاث بنات من معنا في الحفلة، التصقت بالجدار خوفا من النساء الموجودات، كانت عيونهم تتفحصنا

فنحن الخمسة من هيئتنا نختلف كثيرا عنهن، تقربت مني السيدة وسألتني انتو هنا ليه يا حبيبتي.

: معرفش صدقيني معملناش حاجه!!!

كنت أرد عليها وجسدي كله يرتعد، وهيا تخبئ وجهها تحت إبطي.

ردت عليّ واحدة كانت تجلس على دكة مقابلة لنا ترتدي فستانا مكشوف الصدر وتحمل حقيبة ذهبية، وقد امتزجت ألوان المساحيق على وجهها وسال الكحل أسفل عينها ..كلنا متعرفش جابونا هنا ليه

ردت عليها السيدة العجوز...

اسكتي يا مرة أنتي مش عارفه أنتي هنا ليه؟

انتفضت ونهضت من على الدكة.

: بتقوليلي مرة يا أم قويق يقتالة القتلى وهمت تمسك بها لولا تدخل واحدة كانت تمسك بيدها سيجارة، وأتأمل ماسيحدث بينهما لتتدخل سيدة في الثلاثين تلبس بنطالا من الجينز وحذاء رياضي وبلوزة عفا عليها الزمن.

أنتو هتتكتمو والا أقوم أشرحكو أنتو الاتنين.

كان صوتهاكالرعد هز أركان الغرفة وارتد صداه ليزلزل قلوب من فيها،

عادت المرأتان إلى مكانهما بدون أي صوت أو أدنى حركة!!! كأن ملكا جبارا أمر جنوده بالتراجع.

تحركت ناحيتنا ووجهت لي السؤال.

أنتو باين عليكو ولاد ناس إيه اللي حصل لكم.
كانت نبرات صوتها أقل حدة بل كانت أقرب إلى الرقة.
: والله معارفين كنا في حفلة وأعطونا أعلام، قالو ارفعوها عشان ترحبوا بالفرقة، رفعناها لقينا البوليس هجم علينا وخدنا في البوكس وجابونا هنا.
السيدة..ولاد الكلب يمكن أعلام إسرائيل أو اعلام ضد الحكومة ومخدتوش بالكم.
: معرفش والله معرفش ثم أردفت وكلي يرتعش.
زمان أهلنا هيتجنوا.
السيدة: مكمكلمتهومش.
: لا خدوا منا الموبايلات.
: حافظة نمرة أهلك.
آه قلتها بصوت مخنوق منكسر.
السيدة: طيب لحظة.
تقربا منا الفتيات اللاتي كانوا ملتصقات بالحائط دون كلام.
الله يخليكي أنا كمان.
السيدة: طيب اكتبوا نمركم وأخلي أهل البت دي يكلموهم.
أيوة أيوة ...لحظات هرج ومرج وأصبح الصوت عاليا مع البنات مما جعلها تصرخ.
فيه إيه لحظة ملوني بالراحة، كتبت الأرقام في رسالة وكتبت رقم أمي. واتصلت...

السيدة: خذي بيرن بسرعة يلا.
مسكت الفون القديم المتهالك المربوط بلاصق.
: ألو ماما كنت أتوسل وأكمل بسرعة.
حبيبتي أنا كويسة حصل معانا حادث عوزاكي تيجي بكرة النيابة ومعاكي محامي وتكلمي مامة هيا فيه رسالة هبعتهالك فيها أرقام تليفونات اتصلي بيهم وقولي لهم يجو ومعاهم محامين أمام النيابة.
ماما كلمي مس تهاني وشوفي.
انقطع الخط.
الرصيد خلص.
شكرا كتر خيرك.
أخذت الموبايل، وذهبت لمكانها كانت هيا منهارة، وكنت أحاول التخفيف عنها، في الصباح خرجنا من الحجز لغرفة التحقيق، وجدت والدتي ووالدة هيا ورامي والمحامي وآباء البنات ينتظروننا.
إلهام: فيه إيه مريوم إيه اللي سمعناه ده دي مصيبة.
: مش عارفة ماما.. مش عارفة ..كانت أمي تبكي والجندي يشدني ليدخلني إلى مكتب التحقيق، أصوات الأهالي تعلو، نسمعها أمام الضابط الذي أمر بتحويلنا إلى النيابة.
خرجنا والحديد بيدنا رجالا ونساء، وضعونا في بوكس الشرطة ورحلونا للنيابة وسط تجمهر الناس والصحفيين وأهالي المرحلين، استقبلونا جمهرة أخرى وءدخلونا مكتب وكيل النيابة الذي أمر بالكشف الطبي علينا.

لا أعرف ما السبب !!!؟؟

كنت في دوامة تسونامي تلف بي لا أعرف ماذا يحدث؟

دخل المحامي وطلب الإفراج عني ولكن وكيل النيابة قرر التحفظ علينا وإجراء الكشف الطبي علينا.

أحالونا إلى مستشفى الطب العدلي، دخلنا المشفى كنا مجموعة لا بأس بها بنات وشباب وحتى رجال كبار في السن وقفنا طابور يحرسه الجنود.

وصل الدور لي دخلت الغرفة المزكمة للأنف من شدة رائحة الكلور والمعقمات، كان هناك ثلاثة من الأطباء وممرضه سألوني عن اسمي وعمري وطلب مني خلع البنطلون، النوم على وجهي.

أحسست بنار تدخل مقعدي فصرخت.

وطلب مني النوم على ظهري وأخذ يفحص مابين فخذي وسألني عن الدورة الشهرية، وهل عملت سونار، أولا أجبته بالنفي، لم تأتي لحد الآن، قال: البسي كان الطبيب الذي يكتب معه ويلاحظ يكلمه بالإنجلش سمعت هيرمافروديت، ارتديت ملابسي ووقفت قال: أخرجي أخذتني الممرضة إلى الغرفة المجاورة أنتظر، كان دور هيا التي أتت محمرة الوجه من البكاء.

مالك اتأذيتي؟

مصيبه يا مريم مصيبة أهلي هيكتشفوا إني .....وأخذت تجهش بالبكاء.

: فيه إيه فهميني.

هيا: رامي جوزي أمام ربنا أنا خايفة أوي خايفة بابا يعرف قبل ميخطبوني ونتجوز.
دارت بي الأرض وانفصلت عني كأني لا أقف على شئ، هيا قد أعطت رامي كل شئ، وماذا سيحصل لو عرف والدها ؟؟
بل ماذا سيحصل لي بعدما عرفت أن حب حياتي قد دمره رامي لم اتمالك نفسي، وبدأت اصرخ كالمجنونة ليه؟ ليه؟
حرام عليكي.. كنت ازأر كأسد جريح يتألم وصوت صدى زئيره يهز الكون كله، ولكن لامجيب ولا أحد يستطيع نجدته.
بدأ الكل بتهدأتي، انتبهت على نفسي عندما نادى الطبيب على كي يأخذني لغرفة السونار؛ لكي يكمل التقرير، دخلت مع الشرطي ومع الممرضة التي تحمل أوراقاً إلى غرفه السونار، في نهاية دهليز مظلم يزداد ظلمة كلما اقتربنا، طرقت الممرضة الباب..
انتظرت أنا والشرطي المكلف بحراستي بعدها أدخلتني، وأخذت لي سونار البطن وأعادوني إلى الغرفة، وأنا خائرة القوى مهانة أشكو من آلام في جسدي كله ....
استقبلتني هيا وافسحت لي.
هيا: ها عملتي إيه.
: خذوا لي سونار ومعرفش هيحصل إيه.
أنهيت كلامي وأرجأت رأسي إلى الوراء وأصوات من معي وهمهمتهم تكاد تفقدني عقلي.
كسر هذا الجنون صوت الشرطي وهو ينادي على أسمائنا.

كل اللي أناديلوا يوقف في الصف.
كنت أنا والبنات الأربعة، وجميع الرجال من نادى عليهم، لم يستثني أحد ثم أدخلنا واحدا تلو الآخر.
المحقق: مريم محمد أنتي عارفة أنتي عملتي إيه؟؟
: والله ما عارفة!!!
المحقق: أنتي رفعتي علم المثليين زمايلك.
: أنا معرفش حد منهم.
المحقق: مريم تهمتك مش قليلة ده أسمه ازدراء أديان، فاهمه يعني إيه؟؟ده يودي السجن..
خارت قواي وبدأت أبكي وأتوسل.
: والله ما أعرف هم أدّونا الأعلام، كنا نتصور إنها ترحيب بالفرقة، طرق الباب الشرطي طالبا من وكيل النيابة أن هناك المحامي يريد الدخول.
وافق وكيل النيابة على إدخاله، وبعد أن دخل بدأ يشرح له إنني الأولى على المدرسة، وأن والدي طبيب ووالدتي دكتورة، وأن هذا يؤثر على سمعتي، وطالب بالإفراج عني وأني قاصر تعرضت لخديعة لم أفهمها، حاول المحامي مع وكيل النيابة الذي فاجأه بأني منهم وأني خنثى، وذلك بتقرير من الطب الشرعي يؤكد ذلك كانت صعقة للمحامي، وبدأ بالتراجع لولا أني تكلمت.
: يا فندم أنا معرفش إني كدة إلا دلوقت مش عارفة حتى يعني إيه ده أرجوك أنا مش منهم ولا في يوم فكرت أكون غير البشر السوي،

هل في تقرير الطبيب الشرعي اني بنت غير سوية؟
: المحقق الحقيقة لم يثبت عليك اللواط.
التقطها المحامي من فمه وانفتحت عقدة لسانه، وأصبح كأنه يقف أمام القاضي ويترافع عني.
قرر وكيل النيابة الإفراج عني بضمان مكان الإقامة، ومراعاة لكوني قاصر قد غرر بي.

٣

أخذني المحامي، وخرجت من غرفة وكيل النيابة لأجد أمي تنتظرني ونحن نهم بالخروج، كانت هناك جمهرة من لجنة حقوق الإنسان والصحفيين والمدافعين عن المثليين وخالتي وخالد الذي كان يفض الجموع من حولي ولا يسمح لأحد بالاقتراب مني، كنت كعصفور غرق في بحر متلاطم أضع كلتا يدي أحيط بهما وجهي وأمي تحتضنني والخطى تتسارع لنخرج من هذا الشرك الذي نصبه الصحفيون والميديا ليتسابقوا بالأحاديث عن الفريسة، وسبق صحفي على حسابي.
وصلنا السيارة جلسنا إلى الخلف أنا وأمي كان خالد ينطلق بنا بأسرع ما أمكنه وخالتي تشتم وتسب أصوات كأنها قنابل تتفجر في رأسي!! لم أعد أتحمل أجهشت بالبكاء... كنت منهارة تماما.
عندما دخلنا البيت أسرعت لغرفتي وأغلقت الباب.
كان المحامي قد وصل وشرح لهم أبعاد القضية وأخبر والدتي أني

خرجت من بين فكي الأسد، ولا يعرف كيف أنقذني الله من هذه الورطة فالجميع أبقاهم وكيل النيابة وسيحالون إلى محاكم الاختصاص رغم أنهم مثلي في الوزر، ولكن عناية الله أخرجتني.... لم ألبث طويلا لوحدي الطرق على الباب يتزايد أمي تريد مني النزول بعد ذهاب خالتي والمحامي.

فتحت الباب لم اجدها أرادت مني النزول دون أن تنتظر، نزلت وأنا مطرقه رأسي إلى الأرض.

: أيوة حبيبتي.

إلهام: اقعدي لم أسمع من قبل هذه النبرة القاسية جلست أمامها ولم أرفع عيني بعينها.

إلهام: إيه اللي حصل احكيلي وبالتفصيل.

حكيت لها ماحصل بأدق تفاصيله.

وإيه حكايه مس تهاني راحت فين وسابتكم.

: مش عارفة ملقيناهاش معانا.

إلهام: تصلت بيه وقالت الكلام اللي قلتيه ..وقالت إنها كانت في إدارة المسرح مع اللجنة المنظمة متعرفش حاجة عن رفع الأعلام وطلبت مني أروحلك.

كانت نبرات أمي حازمة صارمة، لايوجد بها أي نوع من الرحمة لقد بدأ العصفور بالغرق، اليد الوحيدة التي كان يأمل بانقاذها له بدأت تنسل عنه ...

إحساس بالفراغ الروحي، أحس أني أعجاز نخل خاوية... تلحفني

الرياح تصر في روحي، عاتية باردة، تغطيني موجة الخذلان والفشل .. آه يا روحي المعذبة كم عانيت!!!!

سيل من النقد والرجوع بي إلى أيام خلت، إلى قص شعري ولبسي وتصرفاتي.

إلهام: إزاي مخدتش بالي إزاي منتبهتش عليكي إزاي قدرتي تخدعيني؟؟؟؟؟

قاطعتها والدموع شلالا يهطل بلا هوادة.

: أبدا مكنتش بخدعك أنا نفسي مكنتش أعرف أنا إيه.

إلهام: اخرسي اخرسي مش عايزة أسمع صوتك.

قالتها ...لا لم تقلها رمتها رماح في قلبي أصابتني بمقتل.

ركعت تحت رجلها.

: ماما مليش غيرك أرجوكي متسيبينيش.

انتفضت واقفه كأن جمرة من جهنم أحرقت يدها حين لمستها.

إلهام: أنتي خلتيني أكره اليوم اللي خلفتك فيه.

روحي غرفتك مش عاعاوزأشوفك دلوقت...

أنتي فاكرة القضية خلصت؟؟

أنتي لسه مدانة، ولسه ورانا تكملة الفضيحة!!

اطلعي ومتنزليش إلا لما أقولك.

ذهبت غرفتي وأغلقت الباب، ارتميت على أشواك سريري الذي كان بالأمس يحتضنني وارتاح عليه، اليوم يوخزني حتى هو أصبح لا يطيقني

مرت ساعات وأنا وحدي أفكر فيما جرى صوت أمي تناديني نزلت مسرعة.

إلهام: خذي شاور وغيّري هنخرج.

كانت تأمرني وجهها باتجاه المطبخ وظهورها يقابلني لاتريد النظر إلىّ.

: حاضر... خرجت مني هذه الكلمة منكسرة كروحي مخذولة مهزومة

دخلت أخذت حمّامي وغيرت ثيابي، ونزلت فتحت أمي الباب وخرجت وركبت سيارتها دون أن تتكلم، وانا أتبعها كما يتبع الكلب سيده، ولكن بلا نباح.

وصلنا إلى مكان صفت به السيارة ونزلنا وأنا امشي ورائها إنها عيادة طبيبة أمراض نساء.

إلهام: مساء الخير أنا حاجزة مستعجل باسم مريم، كانت تكلم السكرتيرة.

السكرتيرة: أيوة يا فندم دقائق اتفضلي حضرتك.

لم نجلس إلا دقائق، خرجت واحدة فأدخلتنا.

سلمت على الدكتورة.

إلهام: دي بنتي البيريود مجتلهاش لحد دلوقت والشعر كتير في جسمها، عاوزين نشوف حالتها إيه.

أخذت جميع البيانات من والدتي، وطلبت مني الاضطجاع على السرير للكشف.

بدأت تكشف على بطني وبين فخذي، ومن ثم كشفت بالسونار.
الدكتورة: طيب حبيبتي البسي.
إلهام: ها يا دكتورة خير.
الدكتورة: عاوزه أعمل تحليل هرمونات؛ عشان يكون عندنا جزم بالحالة.
إلهام: طيب حضرتك شايفه إيه دلوقت.
الدكتورة: الحقيقة البنت تملك خصية في البطن، ولاتملك رحم الجهاز التناسلي مشوه، ليس بالذكر ولا بالأنثى، أعتقد أن الدوا اللي حضرتك والوالد خذتوه أثر عليها ....العيب الخلقي ده سببو طفرة في تشكيل الكروموسوم نتيجة الأدوية.
شكرنا الدكتورة وذهبنا لعمل التحاليل التي أكدت أن هرمون الذكورة عندي عالي جدا.
نزلت من باب السيارة لأدخل البيت بعد أمي، التي لم تتكلم ولا كلمة، بعد خروجنا طلعت غرفتي ونظرت إلى نفسي أتساءل لماذا؟؟؟
لماذا يارب خلقتني هكذا؟؟؟
لماذا دوما لا تكتمل فرحتي!!!!؟
لماذا كل شئ ناقص في حياتي؟
كنت أعوي كذئب في صحراء الموت بين جثث أبنائه، كنت أعرف أن هناك خللا في داخلي لم أعرف مصدره..
كانت هناك هالة سوداء تجعلني لا أرى ولا أعي ما أفعل،

كنت منقادة وراء غريزة جعلت مني تابع مرة لهيا والأخرى لمس تهاني!!.

كنت أتحجج بحجج واهيه، البيانو والتفوق لكي أتقرب منها لم أراها جيدا لم أراها !لم أراها! كنت اضرب المنضدة بيدي دون أن أشعر

أريد أن أعرف من أنا ؟؟؟

من هي مريم هل أنا رجل بثياب امرأة !!؟

أم امرأة بثياب رجل؟

بكيت كثيرا كانت دموعي حارقات تخرج من أعماقي المشتتة.. جلست على سريري أنتظر قرار العقاب أو العفو لم أعرف ماذا سيكون مصيري مرت ساعات وأنا والهواجس كعاشقين نحاور بعضنا البعض إلى أن فتحت والدتي الباب على غير عادتها دون طرق وقالت بلهجة الآمرة: انزلي عاوزين نتكلم.

نزلت وراءها أجرّ الخطى، مريم التي كانت تقفز نزولا وتملأ البيت ضجيجا وصخبا.

أصبحت لا أقوى على النزول منكسرة الروح والنفس.

جلست أمام والدتي مطرقة رأسي لا أستطيع النظر إليها، بدأت بدون مقدمات تلومني وتجرح بي لأني خنت ثقتها وخنت ثقة الجميع، لم استطع الكلام أو حتى النظر إليها كان صوتها يدل على أنها تبكي بغزارة مخنوقة حروفها على الرغم من أنها تحاول أن تبدو صارمة معي، وأخيراً أخبرتني أنها ستعمل محاولة مع الطبيب كي

نرى إلى أي جنس ممكن أن أتحول.
أمرتني بالذهاب لغرفتي... إحساس كريه مقيت أن تحس أنك غير مرغوب فيك من أقرب الناس إلى قلبك.
يا الله أجرني فأنت من خلقتني، ولم يكن لي يد في خلقي هكذا..!!
نعم لقد أخطأت في كل ما ارتكبته مع هيا ومس تهاني، أعرف أن الذنب كبير ولم أستطع السيطرة على نفسي، ولكن ليس ذنبي أن تولد تلك الغريزة الجامحة وتتوفر لها كل الفرص !
كنت أتضور جوعا لم تفكر أمي بأني لم أكل منذ أول أمس!
كانت في حالة نست فيها كل شئ إلا كوني هيرمافروديت.
كنت أنظر من شباك غرفتي حين أتت خالتي.
حمدت الله أن هناك من سيقف معها ...
ولكني بعد ذلك عرفت أنها لن تأتي ببناتها خوفا عليهم مني ولاتريد الالتقاء بي .. أقرب الناس إليّ رفضوني ورفضوا وجودي معهم كيف سيكون وضعي في العالم الخارجي...؟؟؟
كيف سأواجه الناس ما هو مصيري .؟؟!!!!
مرت أيام وأنا أعاني من الوحدة والإنكار، حاولت الاتصال بهيا ومس تهاني لم أستطع تركوني جميعا في اليم الهائج وحدي ولم أستطع الإفصاح عن أي شئ أو شرح اي شئ لأمي تحملت تبعات ما فعلت لوحدي صامتة تتكلم عني دمعاتي.
إلهام: مريم البسي هنروح إلى الطبيب.
هكذا كانت تكلمني أمي لم تحاول الأستاذة الجامعية المثقفة

العارفة ببواطن الأمور أن تحتويني .!!
أن تخفف وجيعتي.. كأنني ضربتها في مقتل لكوني خنثى، وهل لي يد بذلك ؟؟
هل أنا من خلقت نفسي؟
لم تحاول أن تكلمني أو تمسح عني بعضا من همي وحزني كانت خالتي وكلام الناس والمركز الاجتماعي هو المهم بل الأهم !
ذهبنا إلى طبيب آخر، لم تقنع أمي بحديث الدكتورة عن صعوبة تحويلي لرجل أو بقائي بنت..... أراد فحصا بالرنين المغناطيسي وتحليل للدم والبول والغدة الكظرية وكذلك السونار للبطن،
كان الإعياء باديا على وجه أمي لقد نظرت إليها أخيرا وهي تكلم الممرض الذي سيأخذ تحليل الدم، لقد كبرت حبيبتي في هذه الأيام سنينا لم أرها بهذه الصورة من قبل.
عدنا للطبيب بما طلب منا أخبرنا بوجود خصية في بطني وإن إحدى الكليتين ضامرة، ولايوجد رحم لدي وان هرمون التستستيرون لدي عالي لذا تحويلي لذكر أقرب باعطائي بعض الهرمونات، ولكن تشوهات العضو التناسلي عندي من الصعوبة ان تتحور، ونصح والدتي بالتريث في إجراء عملية التحول لحين استكمال العلاج الهرموني.
كانت الأيام تمر كجبال راسيات لا تتحرك، والعزلة التي أنا بها تكاد تميتني عندما تأتي خالتي أكون في غرفتي حبسا منفردا لا أغادرها إلا عندما تذهب، وتدخل والدتي غرفتها وأغلق عليها الباب لأدخل

المطبخ وأحضر ببعض الطعام.
انتهى كورس العلاج، وبعد شهر ستبدأ المدرسة هل سأدخلها مريم؟؟
أم إن اسمي سيتغير!؟؟؟
وما هو رد فعل زملائي وزميلاتي؟
أسئلة كانت كدوي خلية نحل تطن في رأسي، وتقلق منامي خصوصا بعد أن بدأ صوتي يخشن والشعر يزداد في وجهي وعلامات الرجولة تتضح أكثر، ولكن الطبيب قرر عدم إجراء العملية لعدم جدواها فلا يمكن تصليح أعضائي ولا طائل من تعريضي لمثل هذه العملية،
ولكن الهرمونات حددت الجنس الآن، كان وقع الكلام كالصاعقة على أمي.
إلهام: يعني إيه دكتور هتفضل رجل بأعضاء أنثى.
الطبيب: شوفي يا هانم ممكن نعمل عملية، ونضع عضو بلاستيكي بديل مش هتستفاد منه أولا مفيش تيستس ولا فيه أعضاء داخلية ذكرية، وحتى الخارجية تمتلك الاثنان إنها حاله نادرة جداً، لذلك انصحك بالاهتمام بها من الناحية النفسية، وتأهيلها على تقبل الوضع، وكذلك مراعاة الناحية الصحية هي تعيش بكليه واحدة تحتاج لرعاية أكثر.
إلهام: طيب دكتور ألف شكر.
كانت كلمات الدكتور بلسما خفف من شدة الحروق ولكنه لم

يزلها... تنبهت أمي إلى أني قد هزلت ، وأن وزني قل بشكل ملحوظ وأن أوراقي بدت صفراء للناظرين.
إلهام: أنتي مش بتاكلي.
قالتها وهي تقود سيارتها عائدين للبيت.
: لأ باكل كان صوتي مرتعشا خافتا منكسرا كانكسار روحي.
إلهام: مس تهاني حطت الذنب كله عليكي علشان رحتي مع الولاد دول، كان هذا اول نقاش بيننا منذ زمن.
أنا هوديكي مدرسة تانية مش هيرضوا تكوني فيها السنة دي مس تهاني نصحتني إني أنقلك منها.
لم أرد، جاوبتها دمعات سقطت دون إرادتي، هكذا تخلت عني مس تهاني.
وأردفت تكمل حديثها، أنا شفتها امبارح في فرح هيا ..وهيا كمان نقلوها من المدرسة اول ما جاء باباها، كتبوا الكتاب ودخلت إمبارح.
هذه أيضا تخلت عني وسترها رامي، وستكون ام حظت بمن تحب وستنسى كل شئ، آمالنا غرقت في جب لا قرار له تائهة ما بين كوني أنثى أو ذكر.
لم أر بنات خالتي بعد، كنت كجرثومة يخافون الاقتراب مني.

بداية النهاية:

إنه أول يوم لي في المدرسة، ربطت شعري وحلقت وجهي وشذبت حاجبي لكي أكون مريم كما أرادت أمي وتخفي عن العالم تحويلي؛ لأنه يحتاج إلى تحويل أوراقي من أنثى لذكر، ومعاملات حكومية طويلة، قالت أمي نحن في غنى عنها.

أول يوم لي في المدرسة كان أصعب يوم مر في حياتي، لم أكن أعرف أن صورتي كانت على صفحات الميديا، تناقلها الناس.. دافع عنا من دافع وشتمنا وأراد حرقنا من تصور أننا جميعا مثليون.

لم أعرف أن أحد الطلاب كان يتابع القضية عندما بدأ يتحدث معي كان يرحب بي كزميلة جديدة وعبر لي عن استياءه لمعاداتهم لي في الحفلة، دارت بي الأرض، وكدت أفقد وعيي خصوصا عندما رأيت بنتين تتغامزان وتضحكان علي، كنت أحس أن الدنيا كلها تراني وأنا عارية تماما ..

الكل يشير إلى جسدي ويضحك، لم أستطع البقاء، انزويت لوحدي بعد أن ترخصت منه.

في نهاية الحصة كانت هناك ضربة قصمت ظهري، وأنهت علىّ لقد طلبني الناظر، اشتكت البنتان من وجودي بينهم.

أخذ الناظر بالتحقيق معي، سألني هل أنا مريم التي قبض عليها مع المثليين؟ أجبته بنعم ولكني أفرج عني ولم أُحبس، أجابني الناظر: شوفي لك مدرسة تانية، ولحين هذا الوقت أفضل أن لا تأتي، صعقت من كلامه، إنه يطردني من المدرسة .

: لكن يا أستاذ أنا الأولى على مدرستي.
الناظر: إحنا يهمنا الأخلاق قبل العلم.
خرجت من المدرسة هائمة على وجهي، أسير في الشوارع، أألقي بنفسي تحت عجلات المراكب؟؟
أم ألقي بنفسي في النيل؟؟؟
أم آخذ كمية من الحبوب لأستريح من هذا الحيف الذي أرّق مُهجتي
لم أستطع فعل شئ، كان منظر أمي أمامي وهي وحيدة تبكيني، لم أستطع أن أجرح قلبها أكثر كفاها ما عانت بسببي.
مشيت كثيرا وبدأت آلالام في بطني وجنبي أحس بها تقطعني.
لا أعرف كيف وصلت البيت، أكثر من ساعتين، وأنا أذرع الشوارع، دخلت وكلي يتسائل كيف سأبلّغ أمي بقرار الناظر؟؟
وجدتها تنتظر عودتي لتفاجأني.
إلهام: اتأخرتي ليه الناظر طردك من ساعتين.
تهاوى جسدي الخائر على المقعد، وسقطت حقيبتي القديمة على الأرض فغرت فاهي من الدهشة.
إلهام: إيه فكراني مش هعرف؟؟؟
لم أستطع الرد، كان الألم في قمته وأنهارا، تسيل بلا توقف من عيني.
إلهام: متعيطيش أنا عارفة مش هيقبلوكي في أي مدرسة هنا الكل عرف حكايتك .؟

أعمل إيه أروح بيكي فين؟
بدأ صوتها يعلو وصراخها يزداد، رفعت حقيبتي ودخلت غرفتي؛ أتوارى وراء خبيتي وقلة حيلتي.

٢

مرت أيام وأنا على حالتي هذه، لم يكن هناك سوى الألم يزداد، وكلما شعرت به أخذت المسكن وعدت للكتابة، لقد دونت كل شئ بكل صراحة وجرأة .
كانت سلوتي والوحيدة وعزائي في وحدتي.
لم يسأل عني أحد سوى خالد اتصل بوالدتي بعد أن اتصل بي، ولم أردّ.
فجر اليوم كنت أحس برغبة عارمة في الصلاة لا أعرف كأن أحدا أيقظني من سبات عميق، لقد كنت أصلي فيما قبل، نعم علمتني والدتي الصلاة.
ذهبت للوضوء، كانت المياه تنزل باردة على وجهي تزيد من حبي للوضوء، ثم توجهت للصلاة، لم أعرف كم الوقت الذي سجدت فيه كل ما أذكره أني كنت أدعو الله أن ينهي هذا الألم ، أحس ان أن العالم ليس بعالمي.
استغفرت ربي كثيرا عن كل ما عملت أليس هو خالقي ؟؟
أليس هو من يعلم سري وجهري؟
أنا متمسكة الآن بحبال وصلة، أريد الخلاص.

أنهيت صلاتي وذهبت للنوم ثانية، كنت أحس براحة لم أحس بها من قبل.

ولكن أيقظني كابوس من الألم، بدأت أصرخ وأتلوى في الأرض، ألم في جنبي لا أعرف لماذا؟

إنها الجهة اليمنى.

أخذت المسكن دون أن تهدأ.

يا الله لم أنتبه للون البول إلا الآن!!

كان في الفجر كلون الشاي قليل، والآن أنه يكاد يكون بضع نقاط بنية اللون.

أحس أن جسمي بدأ بالانتفاخ، وجهي تعلوه الصفرة.

يا الله ماذا أعمل؟ هل أوقظ أمي، بدأت أحس بالخوف، أوصالي ترتعد سأنزل لأكلمها.

طرقت الباب وفتحته ودخلت.

: ماما أنا تعبانه أوي

إلهام: مالك، قالتها وهي فزعة.

: جنبي اليمين، قلتها وأنا أنحني ولا أستطيع الاعتدال، آلالام ولون البول بني غامق، أنا خايفة أوي يا ماما.

احتضنتها منذ شهور، لم أحس بملمس وحنان حضنها، لم يكن دافئا مثل قبل ولكن أحس بالأمان الآن.

إلهام: مالك حبيبتي انتي سقعانة وبتترعشي.

يا الله قالت لي حبيبتي كم اشتقت لدفء هذه الكلمة.

: مش عارفة احضنيني يا ماما.
أحتضنتني أكثر.
لازم نروح المستشفى هكلم خالتو وخالد.
إلهام: خالد الحقني مريم تعبانة ، أغلقت الهاتف دون أن تسمع الرد.
إلهام: يلا حبيبتي تعالي نجهز نروح بسرعة وشك أصفر أوي.
صحبتني لغرفتي ارتديت ملابسي، وأخذت معي دفتر المذكرات سحبته من على الطاولة دون أن أحس، ووضعته تحت المعطف، أتى خالد وكانت اللهفة والخوف بادية عليه كان يقود السيارة وعينه في المرآة ينظر لنا أنا وأمي.
وخالتي تجلس بجانبه لم تتفوه بكلمه واحدة معي، وصلنا المشفى أدخلوني العناية المشددة، وعملوا التحاليل وأعطوني حقن، لا أعرف عددها، لم أستطع إكمال الكتابة، كانت يدي معاقة بما وضعوه فيها من محاليل وحقن، عرفت أن كليتي الثانية توقفت نهائيا، وان ساعاتي معدودة ولكني لم أيأس غبت عن الوعي قليلا، فتحت عيني لأرى الجميع حولي عيونهم تترقرق بالدموع وخالد خانته دمعاته فسقطت وهو يقول لي متخافيش أنتي كويسة.
مش خايفة يا خالد لكن عندي ليك حاجة، أرجوك تحفظها وتنشرها تقرأها كويس أخذت المفكرة من تحت مخدتي وأعطيتها لخالد،
آه نسيت، هات اكتب كم كلمة، يدي ترتعش لم أستطع الكتابة،

المحاليل معلقة في يدي همست لخالد اكتب عني، وحملته مسؤولية نشر قصتي، اقترب خالد مني كثيرا لكي يسمعني وأنا أملي عليه ما يكتب، تساقطت بعض دمعاته على الورقة.

(إلى إلهام حبيبتي وأيقونتي الجميلة .. إلى مجتمع قام بإعدامنا دون أن يحاسب نفسه، ويعرف سبب جنوحنا .. إلى كل من يتصور أننا خلقنا هكذا بارادتنا!

أقول حاولوا إحتوائنا نحن بشر مثلكم، حكم علينا القدر ببعض الطفرات..

ليس بيدي أن أكون ناقصة أو بي زيادة واختلاف..

وليس بيدك أن تكون كاملا تقربوا منا لا تنبذونا، اشركونا في عالمكم لاتدعونا للضياع)

هذه روايتي أضعها بين أيديكم؛ كي لا تحكموا على الناس من الظاهر، وأضع فيها تجربة فتاة هي نموذج حي لمجتمع لا يرحم.

مع محبتي

نبتون